ملحمة البحور السبعة لُجّ ٢

ملكة الغرانيق

أسامة المسلم


لُجّ ٢
ملحمة البحور السبعة
ملكة الغرانيق

© دار الادب العربي للنشر والتوزيع ، ١٤٣٨هـ

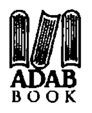
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المسلم ، اسامة
ملكة الغرانيق. / اسامة المسلم - ط٣. ـ الدمام ، ١٤٣٨هـ
..ص ؛ ..سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٢٦-٢٨-٥

١- القصص العربية - السعودية أ.العنوان
ديوي ٨١٣,٠٣٩٥٣١ ١٤٣٨/١٠٤٤٩

رقم الإيداع: ١٤٣٨/١٠٤٤٩
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٢٢٦-٢٨-٥



مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع

الموقع الإلكتروني :
www.daapd.com

مركز الأدب العربي
@Services_Book
@Services_Book
مركز الأدب العربي
adabarabic7
services_book@outlook.sa

للتواصل:
0597777444
لجنة النشر :

المملكة العربية السعوديه- الدمام

التجهيز الفني للكتاب
مركزخدمة المؤلفين



تصميم، تسويق، طباعة، توزيع
للتواصل واتس:
مصر- 00201120102172



ملحمة البحور السبعة

ملكة الغرانيق

الروائي

أسامة المسلم

تويتر: komontage
انستقرام: komontage_
سناب: komontage
اسك: komontage

الطبعة الثالثة

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧ م

«الشر بذرة تُبذر في النفوس منذ البدء، وتبقى كامنة حتى تُسقى بماء الكره والحقد، لتنمو شجرة قبيحة ثمارها مرة وأشواكها أذى لكل من يحاول الاقتراب..»

أسامة.

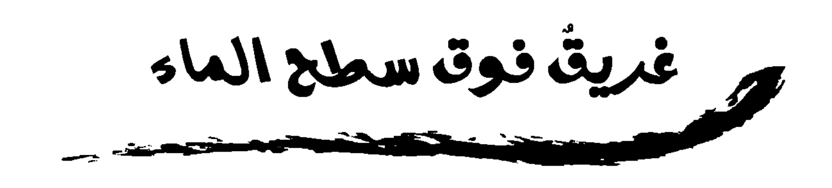
«إذا كنت ترى القبح في كل
شيء فأنت ترى نفسك . .»

ملكة الغرانيق

ما نحن يا أمي . . ؟

غرانيق؟ سايرينات؟

أم ماذا..؟



وقف طاقم سفينة «الماسة الزرقاء» يحدقون باستغراب وتوتر بما لفظته شباك صيدهم على سطحها فوق تل الأسماك التي كانت تنتفض وتقفز بحثاً عن الماء. نزل (كوفان) من دفة القيادة وعينه منصبة على تلك الفتاة العارية بين كومة الأسماك وعندما اقترب منها متجاوزاً رجاله الواقفين والمصدومين قال: من أنتِ ومن أين أتيتِ؟

نظرت (لج) حولها بوجهٍ متوتر ومبتل وشفة نازفة وأعين مرعوبة..

(كوفان) يقترب منها بحذر ويمد يده ممسكاً بفكها السفلي قائلاً: أنتِ تنزفين..

لطمت (لج) يد (كوفان) وأبعدت قبضته عن فكها وتراجعت للخلف زحفاً لإحدى زوايا السفينة وعانقت نفسها وبدأت ترتجف وتحدق بالطاقم مباشرة في أعينهم واحداً تلو الآخر وكأنها قط محاصر.

(حربة) هامساً في أذن (كوفان): يبدو أن سفينتها غرقت وهي تائهة في البحر

(كوفان) وعينه على (لج): نعم يبدو ذلك.. لكن لِمَ هي عارية ولِمَ هي مرعوبة هكذا؟

(حربة) في أذن (كوفان): هل تمزح أيها القبطان؟.. نحن لا نعلم بالظروف التي مرت بها وهي في عرض البحر.. أنا رجل تجاوزت الستين من العمر ولو وجدت نفسي عارياً أمامكم فسأقفز من سطح السفينة دون تردد

(كوفان) وهو يلتفت خلفه مبتسماً وينادي على أخيه الأصغر بصوتٍ مرتفع: (طيسل)! تعال هنا!

(طيسل) وتركيزه بـ(لج) ينقطع ويسير تجاه أخيه الأكبر: نعم!

(كوفان): أحضر الشراع الاحتياطي من الصندوق الكبير في غرفة التخزين

بقي (طيسل) سارحاً في (لج) ولم يتحرك..

(كوفان) بعصبية: لِمَ ما زلت واقفاً؟!.. هيا تحرك!

جرى (طيسل) نحو المخزن وعاد بالشراع ومده لـ(كوفان) الذي أخذه وقص بخنجره جزءاً منه ثم مده تجاه (لج) وهو يقول: «خذي هذا وغطي به نفسك». تراجعت (لج) خوفاً وحذراً وألصقت

ظهرها بالزاوية خلفها وبدأت تنظر لـ(كوفان) بحدة وتتنفس بثقل.

(حربة) بسخرية: يبدو أنها لا تثق بك أيها القبطان

(كوفان) وهو يمد قطعة الشراع لها مجدداً ويقول بصرامة: خذي هذه وغطي نفسك!

(حربة): لا فائدة مما تفعله أيها القبطان

(كوفان): وماذا تريد مني أن أفعل؟.. أتركها هكذا عارية على سطح السفينة؟!

(حربة): لا لكن..

(كوفان) بعصبية: لكن ماذا؟!

(حربة): أحياناً يجب أن نقسو كي نقدم الحنان..

(كوفان) بتهكم: هل تقترح أن أضربها؟

(حربة) وهو يأخذ قطعة القماش من يد (كوفان) مبتسماً: لا.. أحضر لي حبلاً فقط

طلب (كوفان) من أخيه الأصغر (طيسل) إحضار حبلٍ كانوا يستخدمونه لرفع الشباك وعندما ناوله إياه مده لـ(حربة) الذي

رماه بدوره لـ(أنجر) الواقف بجانبهما وقال: عندما أعطيك الإشارة قيدها

(أنجر) وهو يلف الحبل على ساعده الضخم: حسناً

بدأ (حربة) بالتقدم نحو (لج) المنزوية والمرتعدة وهو يرفع قطعة القماش الكبيرة وما أن أصبحت المسافة بينهما بضع خطوات حتى نهضت وأدارت وجهها للبحر وبدأت تتسلق طرف السفينة في نية للقفز وعندما رأى (حربة) ذلك جرى مسرعاً نحوها ولفها من الخلف بالقماشة وأشار لـ(أنجر) الذي قام بربطها في الحال وهي تصرخ بقوة.

(طيسل) بتوتر: لا تؤذوها!

(كوفان) ببرود وهو يراقب ما يحدث: لا تقلق هذا لمصلحتها

(حربة) ممسكاً بـ(لج) المربوطة وهي تصرخ وتحاول التفلت: هذه الفتاة قوية جدّاً!

(أنجر) وهو يمد يديه: ناولني إياها وسآخذها للداخل

أخذ (أنجر) اللفة التي لُفت بها (لج) ورفعها على كتفه الأيسر وسار بها نحو غرفة التخزين وهي تصرخ وترفس بقدميها وعند وصوله وضعها على أرضية الغرفة وأغلق الباب خلفه بعد خروجه.

(أنجر) وهو يقترب من بقية البحارة: هذه الفتاة نشيطة جدّاً بالرغم من أنها خرجت للتو من الماء ومن المفترض أن تكون منهكة

(كوفان): سنعتني بها ريثما نعود للساحل

(طيسل): وماذا ستفعلون بها؟

(حربة): لن نستطيع مساعدتها إذا لم تتحدث معنا

(كوفان): ستتحدث لكنها تحتاج أن تهدأ قليلاً وتستعيد عقلها

(طيسل): هل هي مجنونة؟

(كوفان) وهو ينظر لباب المخزن الذي حُبست فيه (لج): نحن لا نعرف ما الذي مرت به تلك الفتاة من فواجع وقد تكون الآن في حالة صدمة فقط.. على أي حال فليعد كل منكم لعمله ولنبحر نحو الساحل قبل أن نفقد الريح

(طيسل): ماذا عن الأسماك؟

(كوفان) وهو يتوجه لقمرة القيادة: أي أسماك؟

(طيسل): الأسماك التي اصطدناها مع تلك الفتاة

(كوفان) وهو يصعد للأعلى: نظفها مع (حربة) وخزنوها فهي صيدنا الوحيد

أبحرت «الماسة الزرقاء» تجاه الساحل وقبل حلول المساء بقليل توقفت الريح ورفع البحارة الأشرعة وبدؤوا يعدون العشاء.

(كوفان) وهو ينزل من قمرة القيادة: الريح قد تستأنف عند منتصف الليل لذا يجب أن لا ننام حتى ذلك الوقت كي نستفيد منها لإكمال مسيرنا

(حربة): ماذا عن الفتاة؟

(كوفان): ماذا عنها؟

(حربة): عندما دخلنا عليها لتخزين الأسماك كانت تبكي

(كوفان): الفتيات يبكين على الدوام ما الغريب في الأمر؟

(حربة): لا غريب في ذلك لكني أعتقد أنها هدأت ويمكننا التفاهم معها الآن

(كوفان): هل تقترح أن نفك قيودها؟

(حربة): القرار يعود لك أيها القبطان

(كوفان) وهو يأخذ نفساً عميقاً: أعدوا العشاء أولاً ثم سنرى

(حربة): حسناً

(طيسل) يقترب من (كوفان) المحدق بالبحر من طرف السفينة..

(كوفان) وأعينه منصبة على الأفق: ماذا تريد يا (طيسل)؟

(طيسل) بتردد: الفتاة..

(كوفان): ما بها؟

(طيسل): هل ستبقى مربوطة حتى نصل للساحل؟

(كوفان): هل لديكم ملابس إضافية كي نعيرها لها؟

(طيسل): أنا لا أملك سوى ما ألبسه علي

(كوفان): اسأل بقية الرجال إن كانوا يملكون ملابس يمكننا أن نعيرها لها

سأل (طيسل) بقية الرجال إن كانوا قد أحضروا ملابسَ إضافية لكنهم أجابوه بالنفي لكن (حربة) خلع قميصه ومده لـ(طيسل) قائلاً: خذ.. يمكنها لبس هذا

(طيسل) وهو يأخذ القميص ويشمه: رائحته بشعة!

(حربة) وهو يشق بخنجره ما تبقى من الشراع الاحتياطي: خذ هذا معك أيضاً

(طيسل): ماذا تفعل؟

(حربة) يمد قطعة من قماش الشراع لـ(طيسل): يمكنها أن تستخدمها كإزار

(طيسل) وهو يأخذ قطعة القماش: لكن يجب أن نحررها كي تتمكن من لبس كل هذا

(حربة): القبطان لم يوجه بذلك بعد.. لننتهِ من إعداد العشاء أولاً

(طيسل): حسناً

أنزل الليل أستاره وابتسم القمر بهلاله فجلس البحارة يتسامرون فيما بينهم بعد تناول وجبتهم..

(كوفان): طعام لذيذ كالعادة يا (حربة)

(حربة) مبتسماً: لم يكن سوى بعض السمك المشوي وأعرف بأنك لا تحب السمك كثيراً يا قبطان

(طيسل) وهو يراقب عظام السمك التي كومها بجانبه وقد اجتمع عليها بعض الذباب: أمر غريب..

(كوفان) وهو ينظف أسنانه بعودٍ صغير: ما الغريب؟

(طيسل) وعينه على كومة العظام: من أين يأتي الذباب ونحن في عرض البحر؟

(أنجر) بتهكم: وكالعادة يشاركنا (طيسل) أفكاره غير المفيدة دون أن يطلب أحدٌ منه ذلك

(طيسل) ملتفتاً على (أنجر) بتجهم: تريدني أن أكون مثلك؟! شخصٌ يغلق عقله ولا يريد التفكير بشيء سوى بطنه!

(حربة) متجاهلاً النقاش وموجهاً كلامه لـ(كوفان): ماذا سنفعل بشأن الفتاة يا قبطان؟

(كوفان): هل أطعمتموها؟

(حربة): بقي بعض السمك.. هل آخذه إليها؟

(طيسل): وكيف ستأكل وهي مقيدة؟

وجه الجميع أنظارهم لـ(كوفان) الذي ابتسم وقال: حلوا وثاقها وضعوا أمامها الملابس والطعام واتركوها حتى تنتهي ثم سنحاول التفاهم معها

(أنجر): ومن سيقوم بذلك؟

(كوفان):.. (طيسل)

(طيسل) بتوتر: أنا؟.. لمَ أنا بالذات؟

(كوفان): أنت أكثر شخصٍ بيننا متعاطفٍ معها..

(طيسل): لا!.. لا!.. أرسل أحداً غيري..

(حربة) وهو يضحك ساخراً: هل تخاف من فتاة؟!

(طيسل): لا ولكن..

(أنجر) ضاحكاً: لا ألومه فقد كانت قوية جدّاً وقد تطيح به أرضاً بصفعة واحدة

(كوفان) مبتسماً وموجهاً كلامه لـ(طيسل): هل تريد أن يذهب معك أحد ليعاونك؟

(طيسل) حاملاً الملابس والطعام: لا.. سأذهب وحدي

توجه (طيسل) للغرفة التي حُجزت فيها (لج) وفتح الباب عليها بهدوء ورآها مستلقية على الأرض وظهرها للباب فدخل بخطواتٍ

حذرة ووضع السمك المشوي خلفها والملابس عند رأسها وقال بتوتر: سوف أحل وثاقك الآن كي تأكلي وتلبسي..

التفتت (لج) ونظرت إليه بنظرة حادة دون أن تتكلم فدب الرعب في قلبه وأخرج خنجره وبدأ بقطع الحبال المقيدة لها. ما أن تحررت حتى انقضت عليه وقضمته في ساقه فصرخ بأعلى صوته طالباً للنجدة وكان أول من لبى نداءه (أنجر) الذي دخل وركل (لج) في بطنها بقوة وأبعد أنيابها عنه. سحبه (أنجر) من لباسه ودفعه نحو الباب وهم بالخروج بعده لكن (لج) انقضت عليه هو الآخر وغرست مخالبها في أكتافه فصرخ من شدة الألم وما كان منه إلا أن أمسك بها ورماها بقوة على أحد الجدران لتفقد الوعي مباشرة.

(كوفان) وهو يدخل على عجالة للغرفة: ما الذي يحدث؟! ما هذا الصراخ؟!

(أنجر) وهو يتفحص ظهره النازف: هذه الحمقاء هاجمتني بمخالبها!

(كوفان) باستغراب: مخالب؟

(أنجر): نعم.. انظر إليها فهي تملك أنياباً ومخالب كالحيوانات!

(كوفان) ممعناً النظر في (لج): إنها مجرد أظافر طويلة.. اخرج الآن واطلب من (حربة) أن يضمد جراحك

(أنجر): وماذا عنك أيها القبطان؟

(كوفان) وهو ينظر لـ(لج) المغمى عليها: سوف ألبسها وأقيدها مرة أخرى وعندما تستيقظ سنعرف ما حكايتها

قبل خروج (كوفان) من الغرفة بعد أن قيد (لج) بالحبال وألبسها قميص (حربة) وربط الإزار حول خصرها بعقدة محكمة سمع صوت أنينها وهي تفتح عينيها ببطء فاقترب منها وقال: أعتذر عن تصرف صاحبي لكن أنتِ من أجبره على ذلك. لم ترد عليه (لج) وبدأت تحاول التفلت من قيدها فاقترب منها أكثر وقال: يمكننا تحريرك لو قطعتِ لنا وعداً بأنك لن تهاجمي أحداً منا.

(لج) وهي تسند رأسها لأرضية الغرفة الخشبية وتقول بنبرة حزينة: ماذا تريدون مني؟

(كوفان): لهجتك غريبة.. من أين أنت وكيف انتهى بكِ المطاف في عرض البحر؟

(لج): أنا تائهة..

(كوفان) ينزل على ركبتيه: أعرف ذلك لكن أحتاج منك تفاصيل أكثر كي أستطيع إرجاعك لأهلك

(لج) وهي تلتفت على (كوفان): وما أدراك عن أهلي أيها البشري؟

(كوفان) بتعجب: بشري؟

أدارت (لج) وجهها عنه وصمتت مجدداً وعلى محياها ارتسمت معالم الحزن..

نهض (كوفان) من أمامها ولم يكمل معها الحديث وخرج لبقية طاقم السفينة الذين كانوا ينتظرونه لمعرفة تفاصيل حديثه معها لكنه اكتفى بالسرحان عند أحد أطراف السفينة بصمت.

(حربة) مقترباً من (كوفان): هل أخبرتك عن السفينة التي كانت تستقلها وكيف غرقت؟

(كوفان) وهو سارح في الأفق: لا

(حربة): ماذا إذاً؟ من أين أتت؟

(كوفان): هذه الفتاة يبدو أنها فاقدة لعقلها ولن نستطيع معرفة شيء منها

(حربة): هل سنعود بها للساحل وهي مقيدة هكذا؟

(كوفان) وسرحانه ينقطع: لا لا.. حلوا وثاقها

(أنجر) ينضم للحديث ويقول بعبوس: وإذا حاولت مهاجمتنا مرة أخرى؟!

(حربة) بسخرية: نحن أربعة رجال ماذا يمكنها أن تفعل لنا؟

(أنجر) بغضب: حل وثاقها أنت إذاً!

(حربة) وهو يستل خنجره ويسير نحو الغرفة: سأفعل..

(أنجر) موجهاً كلامه لـ(كوفان) وهو يراقب (حربة): هل من الحكمة أن نطلق سراحها يا قبطان؟

(كوفان) وهو يعود للسرحان في السماء: ما الذي ستفعله؟ نحن في عرض البحر والماء يحيط بنا من كل جانب.. لا أرى ضرراً من تحريرها.. لعلها تثق بنا أكثر إن فعلنا ذلك

دخل (حربة) على (لج) وما أن رأته حتى جلست وزحفت بأقدامها للخلف في حذرٍ شديد..

(حربة) وهو باسط يده وباليد الأخرى يمسك خنجره ويقترب منها: لا تخافي سوف أحررك من قيودك فقط..

قطع (حربة) الحبال الملتفة حولها وما أن تحررت حتى نهضت بسرعة ووقفت مكانها في حالة من التأهب. أعاد (حربة) خنجره في غمده

وقال بهدوء: نحن لا نريد إيذاءك حاولي أن تفهمي ذلك

(لـج) وهي تتفحص الملابس التي عليها: ما هذه الأوراق التي غطيتموني بها؟

(حربة): هذه ليست أوراقاً إنها ملابس

(لـج) تشد الإزار القماشي الذي غطى جزأها السفلي للأعلى كاشفة عن سيقانها: ملابس؟

(حربة): نعم ملابس.. ألا تعرفين ما هي الملابس؟

(لـج) تحاول نزع القميص: لا أحب ملمسها على جلدي!

(حربة) يحاول مبتسماً منعها من خلع القميص بهدوء: يجب أن تبقيه عليك

(لـج) وهي ترفع نظرها نحو (حربة): لماذا؟ أنت لا تلبس واحداً مثله

(حربة) مبتسماً: القميص الذي تلبسينه هو قميصي وقد أعرتك إياه

(لـج) باستغراب: قميص؟

(حربة): أقصد الأوراق التي تغطيك

(لج): ولمَ تغطيني ولا تغطي نفسك؟

(حربة) ضاحكاً: لن أدخل معكِ في هذا النقاش الآن المهم أن تبقي مغطاة حتى نعود للساحل

(لج) وهي تتحسس أنفها: لقد أمضيت فترة طويلة خارج الماء

(حربة): تقصدين داخل الماء عندما غرقتِ

(لج): أنا لم أغرق

(حربة): كيف انتهى بك المطاف هنا إذاً؟

(لج): أنتم من أسرتموني

(حربة) بتعجب: لقد علقتِ بشباكنا وهذا من حسن حظك

(لج): لماذا؟

(حربة): ما رأيك أن نخرج من هنا وتتعرفي على بقية أفراد الطاقم؟

(لج): طاقم؟

(حربة): نعم طاقم السفينة.. الرجال الواقفون خارج هذه الغرفة؟..

(لج): لا أعرف عن ماذا تتحدث؟

(حربة): لهجتك غريبة بالمناسبة من أين أنتِ؟

(لج): لقد سألني صاحبك السؤال نفسه

(حربة): وبماذا أجبتِه؟

(لج): لم أجبه

(حربة): وهل ستجيبينني أنا؟

ترددت (لج) في الرد لثوانٍ ثم قالت: من البحر الأصفر..

(حربة): تقصدين أن مدينتك تقع على ضفاف البحر الأصفر

(لج): أنا كنت أسكن في وادي.. وادي المرجان

(حربة): لم أسمع به من قبل لكن لا تقلقي سنعيدك إليه

(لج): لا أريد العودة إليه

(حربة): إذاً فأنتِ هاربة من أهلك

(لج): أين البحر؟

(حربة) بتعجب: ماذا تقصدين؟

(لج): أقصد أين يمكن أن أجد البحر؟

(حربة) وهو يشير للباب: نحن ما زلنا في البحر اخرجي وانظري بنفسك

سارت (لج) بصعوبة وهي تستعين بالجدار القريب منها وبدأت تأخذ خطوات ثقيلة نحو الباب..

(حربة): ما بك؟.. هل تشعر أقدامك بالخدر؟

(لج) وهي تحاول السير متجاوزة (حربة) للخارج: أين البحر؟

خرجت (لج) ورأت بقية أفراد الطاقم حيث كان (طيسل) ينظف بعض الأسماك و(أنجر) يلف الحبال و(كوفان) متكئ على طرف السفينة يحدق بالبحر. خرج (حربة) خلفها ووقف بجانبها وقال: هؤلاء هم أفراد الطاقم الذين أخبرتك عنهم..

التفت الجميع نحوها في الوقت نفسه عندما سمعوا صوت (حربة) وهو يحدثها فشعرت بالرهبة وجرت مسرعة لأحد أطراف السفينة وكأنها تريد القفز في الماء. هرع (كوفان) الذي كان الأقرب إليها وأمسك بها عند طرف السفينة قبل أن تقفز فبدأت بالصراخ ومحاولة التفلت من قبضته بشراسة.

(كوفان) لـ(حربة): ما الذي قلت لها كي تحاول القفز في الماء؟!

(حربة) بتوتر: لم أقل شيئاً!.. تحدثت معها فقط!

(طيسل) وهو يشارك البقية بصوت مرتفع بسبب صراخ (لج): ربما تريد العودة!

(أنجر): العودة إلى أين؟!

انقطع حديثهم بصرخة من (كوفان) عندما قامت (لج) بعض يده فرماها على الأرض بقوة وهي تصرخ أريد العودة للبحر!

(كوفان) وهو يهز (لج) ويصفعها: كفي عن هذا الجنون!

(طيسل) بتوتر: لا تقسُ عليها هكذا!

(كوفان) بغضب: ألا ترى جنونها؟!

في تلك اللحظة صمتت (لج) وتوقفت عن البكاء فجأة ووضعت يدها على عنقها وقالت بصوتٍ متحشرج: أشعر بالاختناق..

(حربة): حاولي أن تهدئي وتتنفسي ببطء..

(لج) وهي ترفع نظرها لـ(حربة) بأعين دامعة: ماذا يحدث لي؟.. ماذا تريدون مني؟!

(كوفان) وهو يلتفت على (طيسل): أحضر لها بعض لماء

(أنجر): ما العمل الآن؟ الريح سوف تنشط خلال ساعات ويجب أن نقرر..

(كوفان): نقرر ماذا؟

(أنجر): نقرر ما سنفعله بهذه المجنونة

(لج) وهي تصرخ في (أنجر): أنا لست مجنونة أيها البشري الحقير!

(أنجر) وهو يضحك بسخرية: بشري؟ ماذا تظنين نفسك؟.. سمكة؟!

(حربة) وهو يسحب (أنجر) جانباً: إذا كنت لا تملك كلاماً مفيداً لتقوله فاصمت!

(أنجر) بعصبية لـ(حربة): ألا ترى أنها فاقدة لعقلها؟!

(حربة): وهل هذا سبب كي نثيرها؟!.. من الأولى أن نتعاطف معها لا أن نوبخها!

(أنجر) وهو يبتعد سائراً نحو مقدمة السفينة: سوف أكمل عملي!.. افعلوا ما تشاؤون بها!

(طيسل) وهو يمد قربة الماء لـ(لج): خذي..

(لج) بتوتر: ما هذا؟

(كوفان) مبتسماً: بعض الماء

(لج): وما حاجتي به؟

(كوفان): ألا تشعرين بالعطش؟

(لج): أشعر بالجوع

(كوفان) مبتسماً: حسناً سنحضر لكِ بعض السمك

(لج): أريد قريدس

(طيسل) مبتسماً: لم نصطد أيّاً منها اليوم

(لج): حسناً سأكتفي بالسمك

(حربة) وهو يمد لها بعض السمك المشوي باسماً: خذي وتناولي هذه

(لج) وهي تأخذ سمكة مشوية وتنظر لها بتعجب: ما بها هذه السمكة؟

(كوفان): ما بها؟

(لج) وهي تتفحص السمكة: ميتة وجسدها مشوه وكأنها مصابة بمرض

(طيسل): إنها مشوية

(لج) وهي ترمي السمكة على الأرض باشمئزاز: لا أريدها!

تبادل الثلاثة الأنظار فيما بينهم ثم أشار لهم (حربة) بمجاراتها وقال لها: ما نوع السمك الذي تريدينه؟

(لج): لا أريد شيئاً.. هل يمكنني إزالة الأوراق عن جسدي الآن فهي تضايقني؟

(كوفان) باستغراب: أي أوراق؟

(حربة) يمسك بيد (لج) ويُنهضها: لا.. تعالي معي

(لج) وهي تسير معه: إلى أين؟

(حربة) وهو يُجلسها حيث اعتاد طاقم السفينة الجلوس: هنا

جلست (لج) وبدأت تحك جسدها وتتذمر قائلة: هذه الأوراق مزعجة!

(كوفان) يسير ويدنو من (حربة) هامساً في أذنه: ما الحكاية؟.. عن أي أوراق تتحدث؟

(حربة) يجيب (كوفان) بصوت خفيض وعينه تراقب (لج) المنشغلة بلباسها: هذه الفتاة أمرها عجيب.. تبدو طبيعية لكنها عندما تتحدث لا تبدو كذلك ولكنتها الغريبة تدل على أنها قد تكون من قاطني الجزر البعيدة

(كوفان): وماذا تقترح أن نفعل؟

(طيسل) ينضم لحديثهما: عن ماذا تتحدثان؟

(حربة) متجاهلاً (طيسل) وموجهاً كلامه لـ(كوفان): لنحاول الحديث معها أكثر لكن بهدوء فقد نعرف منها مكان إقامتها ومهما كان كلامها غريباً حاولوا أن لا تستفزوها

(كوفان) وهو يمد كفه للأمام في إشارة لـ(حربة) بالبدء بالحديث: تفضل..

جلس الثلاثة أمام (لج) و(أنجر) ينصت لهم خلال قيامه بعمله من بعيد..

(لج) بتوجس: ما بكم تنظرون إلي هكذا؟

(حربة) مبتسماً: نريد أن نسمع حكايتك

(لج): أي حكاية؟

(كوفان): نريد أن نعرف كيف وصلتِ إلى هنا؟

(لج): أنتم من أحضرني إلى هنا

(طيسل): يبدو أننا سندور في دائرة مفرغة

(حربة) مشيراً بيده لـ(طيسل) بالصمت: أخبرينا أي شيء عنك

(لج): مثل ماذا؟

(كوفان): أي شيء.. ولن نقاطع حديثك

(لج) بتردد: حسناً.. أنا..

حكت (لج) لطاقم السفينة تفاصيل رحلتها منذ خروجها مع (موج) من وادي المرجان إلى أن علقت بشباكهم وهم ينصتون لها في حالة من الذهول دون أن يقاطعها أحد حتى انتهت.

(لج): هل يمكنني أن أعود للبحر الآن؟

(حربة) بفم مفتوح من الدهشة وأعين منصبة على (لج): ما رأيك أيها القبطان؟

(كوفان) بالتعجب نفسه وبصوتٍ مسموع لـ(حربة) فقط: هل يملك المجانين خيالاً واسعاً هكذا؟

(حربة): لا أعتقد.. ربما.. لا أعرف..

(طيسل) لـ(لج) بتساؤل: هل أنت إذاً حورية أم غرنيق أم سايرينا؟

(لج) وهي تحك قميصها: لا أعرف أنا الآن شيء آخر تماماً

(حربة): وأين تلك القارورة التي شربتِ منها؟

(لج): سقطت مع (ناسك) عندما رفعتموني خارج الماء

(أنجر) بسخرية وهو يلف بعض الحبال: بالطبع ستسقط..

(لج): ماذا تقصد؟

(كوفان): تجاهليه.. أخبريني الآن.. هل يمكنك الحديث مع كائنات البحر كلها؟

(لج): عندما كنت بوادي المرجان لم أكن أملك القدرة على التحدث مع الكائنات الصغيرة والكبيرة لكن ومنذ أن خرجت من الوادي بدأت أكتشف بأني أستطيع التحدث مع الكثير من الحيوانات والدليل أني أتحدث معكم الآن بسهولة

(طيسل): نحن لسنا حيوانات

(لج): ألستم ببشر؟

(كوفان): بلى

(لج): إذاً أنتم حيوانات

ضحك (حربة) من كلام (لج) وأتبعه (كوفان) بابتسامة و(طيسل) بسؤال: هل قابلتِ (ذا الأذيال) من قبل؟

(كوفان) وهو يرفع كفه في وجه (طيسل) مبتسماً: حسناً يكفي حديثاً الآن لقد بدأت الريح بالتحرك!

(حربة) لـ(أنجر) بصوتٍ مرتفع: هل الأشرعة جاهزة؟!

(أنجر) يشد وثاق عقدة: نعم

(كوفان) ينهض متوجهاً لدفة القيادة: لنبحر نحو الساحل إذاً فقد أضعنا الكثير من الوقت

(لج) بتوتر: لا يمكنني الذهاب معكم يجب أن أعود!

(حربة): تعودين إلى أين؟

(لج): للبحث عن العنصر الرابع

(كوفان) مجارياً (لج): حسناً لكن يجب أن نعود للساحل قبلها

(لج) وهي تنهض وتشد ملابس (كوفان): هل تعدني بذلك؟!.. هل تعدني بأنك ستعيدني؟!

(كوفان): أعدك بذلك..

(حربة) مقترباً منها بحذر كي لا يستثيرها: يجب أن ترتاحي الآن

(لج) لـ(حربة) بقلق: يجب أن لا أتأخر كثيراً..

(حربة) مطمئناً (لج) ويقول مبتسماً: لا تقلقي كل شيء سيكون على ما يرام

أشار (حربة) لـ(طيسل) بأخذها للغرفة وبعد ما قام بإيصالها وإغلاق الباب عليها انشغل الطاقم بتوجيه السفينة نحو الساحل بالاستعانة بالرياح القوية التي اشتدت عند منتصف الليل وبعد ما انتهوا اجتمع الأربعة وبدؤوا بالحديث.

(طيسل) لـ(كوفان): كيف ستفي بوعدك لـ(لج)؟

(كوفان): أي وعد؟

(طيسل): وعدك لها بأن تعيدها للبحر

(حربة): لا تقل لي يا (طيسل) بأنك صدقت قصتها

(طيسل): ولِمَ لا أصدقها؟

(أنجر) يكتم ضحكة بينه وبين نفسه..

(كوفان): هذه الفتاة مسكينة يا أخي ويبدو أنها تعرضت لصدمة كبيرة أفقدتها عقلها لذلك اختلقت تلك القصة بلا إدراكٍ منها

(طيسل): صدمة؟.. صدمة من أي نوع؟

(كوفان): لا أعرف.. ربما كانت مسافرة مع أهلها وتعرضت سفينتهم للغرق أو للقرصنة وفقدتهم جميعاً هذه صدمة كافية لفتاة في عمرها لأن تفقد عقلها

(طيسل) بعصبية: ماذا عن هيئتها؟

(حربة): ماذا عنها؟

(طيسل) مخاطباً الجميع: ألا ترون أنها ليست طبيعية؟.. أنيابها أطول من المألوف وكذلك أظافرها والوسم الغريب على جبينها!.. كلها علامات تؤكد قصتها!

(كوفان): ليست خارج المألوف أبداً ولا يثبت ذلك شيئاً سوى أنها

لفقت القصة بعناية والعلامة التي على جبينها ما هي إلا وحمة نراها عند الكثير من الناس وقد تكون وشماً

(طيسل) بتجهم: أنت تخادع نفسك!

(كوفان): المهم أن لا تخدعك هي

(أنجر): أنا متيقن من أنها فتاة فقيرة هربت من فقر أهلها

(طيسل): ماذا عن الخاتم؟

(كوفان): أي خاتم؟

(طيسل) باندهاش ونبرة ساخطة: هل أنا الوحيد فيكم من يملك أعيناً؟!.. الفتاة تلبس خاتماً بفص أزرق ويبدو أنه غالي الثمن ولا تلبسه فتاة فقيرة!

(حربة) بتهكم: يبدو أنك تفحصتها جيداً بعينيك الثاقبتين

(طيسل) بعصبية: لا تغيروا الموضوع!.. الفتاة تخفي سرّاً!

(كوفان) بلا اكتراث: على أي حال سوف نجاريها إلى أن نعرف حقيقتها

(طيسل): كان الأجدر بك أن لا تعدها بأنك سوف تعيدها للبحر

(كوفان): سوف أفي بوعدي بأن أعيدها لأهلها إذا كان لها أهل ينتظرونها

(حربة): ألم تلاحظ يا قبطان أن تلك الفتاة خرقاء بعض الشيء

(كوفان): ماذا تقصد؟

(حربة): أقصد أن مشاعرها تبدو باردة أو مصطنعة معظم الوقت.. حتى عند بكائها ينتابني شعور بأنها تخدعنا

(كوفان): ربما لأنها ما زالت صغيرة ولا أستبعد كلامك بأنها تحاول خداعنا

(أنجر): أنا أرى أنها قاسية وميتة القلب حتى مع تلك الدموع

(طيسل) باستنكار وتعجب: عن ماذا تتحدثون؟!.. ما هذه الظنون السوداء؟!

(كوفان): ستكون مشكلة أهلها عندما نعيدها إليهم..

(حربة): وكيف ستجدهم يا قبطان؟

(كوفان) وهو ينهض: انسوا الموضوع الآن الريح بدأت تفقد عزيمتها

(أنجر) متوجهاً لعمود الأشرعة: ستعطينا الريح ساعة أخرى قبل أن تتوقف تماماً

(كوفان) موجهاً كلامه لـ(طيسل): أين الشباك؟

(طيسل) باستغراب: هل تنوي الصيد في هذا الوقت يا أخي؟

(كوفان) وهو ينظر من طرف السفينة المتحركة: نحن في منطقة غنية بسمك «الجيذر» وربما نستطيع اصطياد واحدة أو اثنتين لتعويض خسائرنا

(حربة): أسماك «الجيذر» ضخمة ولا يمكن اصطيادها بالشباك

(كوفان) وعينه منصبة على البحر: لا يمكن اصطيادها لأنها سوف تمزق الشباك.. أعرف

(حربة): نعم.. لذلك فالصيادون يصطادونها بالحراب مثل الحيتان لكن صيدها ليلاً شبه مستحيل

(كوفان): سنستخدم الشباك لأسرها فقط بعدها يمكنك غرس ما تشاء من الحراب فيها

(أنجر): لِمَ لا ننتظر الصباح يا قبطان فلم يبقَ سوى ساعات قليلة على الفجر

(كوفان) وهو يرفع نظره للسماء: وقتها سنكون قد خرجنا عن مناطق سيرها ولن نجد سوى سمك «السيجان» في شباكنا

(حربة) وهو يسير نحو غرفة التخزين: حسناً سوف أعد الحراب وأشحذها..

(طيسل) يلحق به قائلاً: وأنا سوف أجهز الشباك

(أنجر) لـ(كوفان): هل تريد مني تخفيف سرعة إبحارنا أيها القبطان؟

(كوفان) وهو يسير نحو مقدمة السفينة: لا.. حافظ على سرعتك الحالية فقط

(أنجر): أمرك

دخل (حربة) و(طيسل) لغرفة التخزين حيث كانت (لج) نائمة في إحدى زواياها بشكل غريب فقد كانت جالسة وليست مستلقية على الأرض ومحتضنة لنفسها وترتجف وتتمتم ببعض الكلمات بصوت غير مسموع والعرق يتصبب من جبينها.

(حربة): ما بها؟

(طيسل) يدنو منها ويضع كفه على جبينها: إنها مصابة بالحمى!

(حربة) وهو يُخرج الحراب: أمر طبيعي بعد بقائها في الماء البارد كل هذه المدة بلا ملابس

(طيسل) بقلق: وماذا سنفعل؟!

(حربة) وهو يتفحص رأس إحدى الحراب بإبهامه: لا تقلق لدي بعض الأعشاب التي يمكن أن نسقيها من مغليها

(طيسل) بعصبية: ماذا تنتظر؟!.. هاتها!

(حربة) بتعجب: ما بك؟ الأمر ليس بتلك الخطورة.. سوف ننتهي من الصيد أولاً ثم أعد لها الدواء

(طيسل) بتذمر: لمَ تعاملونها بهذه القسوة؟!.. لمَ لا تكترثون لأمرها؟!

(حربة) بهدوء: لمَ تكترث أنت؟

انقطع حوارهما عندما سمعا (أنجر) يصرخ قائلاً: سفينة في الأفق!

خرج الاثنان من المخزن جرياً ليريا (أنجر) فوق أحد الصواري يراقب الأفق بتركيزٍ شديد خيالُ سفينةٍ تقترب منهم وكانت رؤيتها ممكنةً إلى حد ما بسبب النجوم التي ملأت السماء و(كوفان) عند طرف السفينة يراقبها بالاهتمام نفسه. (حربة) يقف بجانب (كوفان)

ويشاركه مراقبتها وهي تقترب أكثر وأكثر منهم ويقول بقلق: ما هذه السفينة يا قبطان؟

(كوفان) بأعين متوجسة ومنصبة على السفينة في الأفق: في الغالب صيادون مثلنا..

(حربة) بقلق: ماذا لو لم يكونوا صيادين يا قبطان؟

(طيسل) ينضم إليهما: ماذا يمكن أن يكونوا إذاً؟

(أنجر) يصرخ من الأعلى: قراصنة!!

(كوفان) يصرخ في (أنجر): هل أنت متيقن؟!

(أنجر) وهو يشير بأصبعه أمامه: لقد رفعوا الراية السوداء للتو!

شد (حربة) على الحراب التي كانت بيده وقال بغضب: هل يمكننا التملص منهم؟!

(كوفان): فات الأوان على ذلك.. لم يرفعوا رايتهم إلا عندما تيقنوا أننا أصبحنا في مرماهم

(طيسل) وهو يرتجف مرعوباً: هل سيقتلوننا؟!

(حربة) بحزم لـ(كوفان): يجب أن نقاومهم!

(كوفان) يصرخ في (أنجر): انزل عن الصاري بسرعة!

نزل (أنجر) واجتمع الأربعة قبل وصول سفينة القراصنة إليهم بدقائق استغلها (كوفان) بصفته القبطان لتوجيه تعليماته الأخيرة:

(كوفان): نحن لن نقاومهم..

(حربة): لكن..

(كوفان) بغضب: لا تقاطعني يا (حربة) فليس أمامنا وقتٌ كافٍ!.. سوف نتعاون معهم.. هدفهم السرقة فقط وعندما يرون أننا مجرد سفينة للصيد ولا نحمل أي بضائع ذات قيمة لهم فمن المرجح أنهم سيتركوننا وشأننا

(أنجر) وهو ينظر لسفينة القراصنة التي أوشكت على الوصول إليهم: وإذا لم يفعلوا؟

صوت إبْزِيم حديدي يتعلق بأحد أطراف السفينة..

(كوفان) بتوتر وعلى عجالة: اثبتوا مكانكم ولا تتحدثوا معهم.. أنا من سيقوم بالحديث!.. مفهوم؟!

صوت إبْزِيم حديدي آخر يتعلق يتبعه ارتطام خفيف لسفينة القراصنة بسفينتهم تلاه نزول مجموعة من الرجال المسلحين

يتقدمهم رجل بلحية حمراء وفيرة يمسك سيفاً بيده. انتشر الرجال حول الرجل ذي اللحية الحمراء الكثيفة والذي أشار بسيفه لطاقم السفينة وخلال لحظات تم تقييدهم وتركيعهم أمامه.

(الرجل ذو اللحية الحمراء الكثيفة): أنا القبطان (خرمان) وسفينتكم تحت إمرتي الآن.. من هو القبطان بينكم؟

(كوفان) وهو مقيد وجاثٍ على ركبتيه: أنا

(خرمان): ما البضائع التي تنقلونها معكم؟

(كوفان): نحن سفينة صيد ولسنا لنقل البضائع

(خرمان) وهو يجول بنظره حوله: الصيادون لا يملكون شيئاً ذا قيمة في العادة لكننا سنفتش السفينة على أي حال

بدأ القراصنة بالتفتيش والتقليب على سطح السفينة وطاقمها المقيد يراقبهم بصمت حتى وصلوا لغرفة التخزين فقال أحدهم لـ(خرمان): لم نجد شيئاً يستحق الاستيلاء أيها القبطان ولم يتبقَّ سوى هذه الغرفة

(خرمان) موجهاً كلامه لـ(كوفان): على ماذا تحتوي هذه الغرفة؟

(كوفان) بتوتر: مجرد أدوات الصيد التي نستخدمها

(خرمان) لرجاله وهو يحك لحيته الكثيفة ونظره على (كوفان): فتشوا الغرفة..

فتح ثلاثة من الرجال المخزن وأخذوا بضع خطواتٍ داخله وبعد لحظات قال أحدهم بصوتٍ مرتفع: هناك شيء يجب أن تراه أيها القبطان!

سار (خرمان) نحو الغرفة ودخل إليها ورأى (لج) وهي متكورة في إحدى زواياها ترتجف..

(خرمان) وهو يحدق بها: فتشوا المكان..

بحث الرجال الثلاثة في الغرفة وقلبوا الأغراض التي فيها لكنهم لم يجدوا شيئاً ذا قيمة..

(أحد القراصنة): لا يوجد شيء أيها القبطان

خرج (خرمان) وعلى وجهه معالم الغضب والسخط وصفع (كوفان) بقوة وقال: إذا لم نجد شيئاً يستحق فسوف نقتلكم جميعاً!

(كوفان) بوجه متجهم ونظره للأرض: السفينة أمامك خذ ما تشاء..

(خرمان) مبتسماً بخبث: تلك الفتاة قد تكون ذات قيمة

(طيسل): لا شأن لك بها!

(خرمان) ضاحكاً ومنادياً على أحد رجاله: سوف نأخذ هؤلاء الصيادين كأسرى لنبيعهم كعبيد في أقرب ميناء نرسو به

(القرصان): وماذا عن الفتاة؟

(خرمان) وهو يجلس ويسند سيفه لسطح السفينة الخشبي: دع الرجال يستمتعوا بها الآن ثم سنأخذها معهم وستباع هي كذلك

(القرصان) بابتسامة خبيثة: أمرك

أشار القرصان لبقية زملائه باللحاق به للغرفة ودخل وأغلق الباب خلفه وبقي الآخرون في انتظار دورهم. بدأت أصوات صراخ (لج) تُسمع من الخارج فبدأ القراصنة بالضحك وقبطانهم يبتسم ويحدق بـ(كوفان) الذي تجهم وقال: سوف تندم على فعلتك هذه!

(خرمان) بسخرية: وماذا ستفعل أيها الصياد الوضيع؟

توقف صراخ (لج) فجأة وبدأ القرصان الذي دخل عليها بالصراخ مستنجداً بدلاً منها ففتح زملاؤه الباب ودخل بعضهم لرؤية سبب استنجاد صاحبهم لكن لم يمضِ ثوانٍ على دخولهم حتى بدؤوا بالصراخ هم أيضاً. نهض (خرمان) من مكانه وصرخ فيمن تبقى

من رجاله قائلاً: ما الذي يحدث؟!.. اذهبوا وتحققوا من الأمر!!

دخل جميع الرجال للمخزن وكما حدث سابقاً تعالت أصواتهم بالصراخ والعويل حتى توقفت الأصوات فجأة وعم المكان هدوء مخيف لم يعكره سوى صوت الأمواج المرتطمَةِ بقاع السفينة.

(خرمان) وهو يحدق بباب المخزن المفتوح جزئيّاً: لِمَ صمتوا هكذا؟

كان بقية أفراد طاقم سفينة (كوفان) يراقبون باب المخزن بنفس الحيرة والترقب حتى قرر (خرمان) بعد ما قبض على سيفه السير ببطء نحو المخزن وعند وصوله للفتحة أطل برأسه ليسحبه شيءٌ بسرعة صاحبها زمجرة مخيفة وكأنها زمجرة وحش مفترس تبعها صرخات مؤلمة للقبطان توقفت بعدها بلحظاتٍ قصيرة. بقي (كوفان) المقيد مع رجاله ينظرون بعضهم لبعض في حيرة حتى تحدث (طيسل) وقال: ما الذي حدث؟

(حربة) بتوتر: هل تستطيع النهوض أيها القبطان؟

(كوفان) وعينه المتوترة منصبة على باب المخزن: نعم أظن ذلك

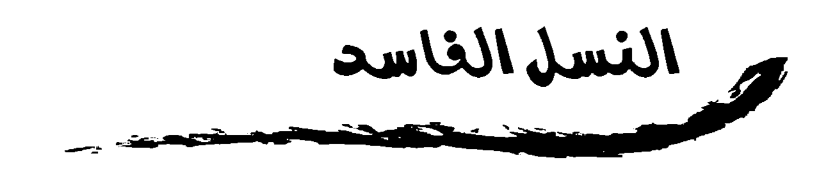
(حربة): حاول أن تمسك بالحربة الملقاة أمامك كي نستخدمها في فك قيودنا

نهض (كوفان) وسار تجاه الغرفة بخطواتٍ حذرة..

(حربة): إلى أين؟!.. الحربة في الجهة الأخرى!

لم يرد (كوفان) على (حربة) وأكمل سيره تجاه الغرفة حتى وصل لبابها المفتوح جزئيّاً ودفعه بقدمه ليرى (لج) فوق جثث القراصنة الممزقة وهي تلعق أصابعها المبتلة بدمائهم فاتسعت عيناه من هول المنظر رعباً وفي اللحظة نفسها التفتت عليه بوجهها المغطى بالدماء وقالت:

لم أعد أشعر بالجوع..



النسل الفاسد

خارج جبلٍ كبير منحوت في قلب البحر الأبيض..

سلحفاة معمرة تتحدث مع أخطبوط أحمر ضخم يُدعى (مارج)..

(مارج): لقد أحضرت الحورية الأخيرة يا معالي الوزيرة

(طيمة): هل هي من دمٍ نقي؟

(مارج): نعم لم أكن لأحضرها لو لم تكن كذلك؟ نسلها نقي أباً عن جد كما هو الحال مع الأخريات

(طيمة): سنرى.. الملك (عقيق) أكد علي بأن لا نعرض عليه إلا الحوريات من ذوات النسل المعروف

(مارج): الآن لدينا أربع حوريات اثنتان منهن أختان من النسل نفسه

(طيمة): قبل أن ندخلهن على الملك كي يختار زوجته وملكتنا القادمة أريد أن أسألك سؤالاً

(مارج): تفضلي

(طيمة): أيهن تراها الأنسب؟

(مارج) بتعجب: لمَ تسألينني؟.. الرأي في النهاية للملك (عقيق)

(طيمة): هل تظن أن الملك سينظر لشيء غير حراشفهن واستقامة أذيالهن؟

(مارج): ماذا تقصدين؟

(طيمة): أقصد أن الحورية التي سيختارها الملك زوجة له ستكون ملكة وأمرها سينفذ علي وعليك لذا يجب أن يقع اختياره على واحدة لا تهدد مناصبنا ووجودنا حول الملك (عقيق)

(مارج): كلهن حوريات صغيرات وساذجات ولا أعتقد أن اهتماماتهن ستتعدى لبس التاج الملكي والاستمتاع بحياته في رخاء وبذخ

(طيمة): إذا كنت تفكر بهذه الطريقة فهذه سذاجة منك أنت ودليلٌ على عدم أهليتك لأن تكون مستشاراً عندي ومسؤولاً عن جيش الملك

(مارج): اعذري جهلي يا سعادة الوزيرة

(طيمة): أحضرهن لي الآن.. أريد رؤيتهن قبل أن نعرضهن على الملك (عقيق)

(مارج): أمرك

حرك الأخطبوط مجساته الضخمة وغاص مبتعداً عن المكان وبعد فترة عاد للوزيرة (طيمة) ومعه أربع حوريات يعمن خلفه وعندما توقف أمامها أشار لبقية الحوريات اللاتي كنّ يتبعنه بالتوقف وتقديم التحية لها. حنى الحوريات الأربع رؤوسهن أمام الوزيرة (طيمة) التي حركت مجاديفها وسبحت تجاههن وعند وصولها لإحداهن مدت زعنفتها تحت ذقنها ورفعت رأسها وحدقت بأعينها الخضراء الواسعة وقالت: ما اسمك يا حورية؟

(الحورية ذات الأعين الخضراء): (يَمَّ) يا سيدتي..

(طيمة) وهي تبعد زعنفتها عن ذقن (يَمَّ): أنت ابنة (فُلك) أليس كذلك؟

(يَمَّ) وهي تنزل رأسها بخجل: بلى

رمقت الوزيرة (طيمة) الأخطبوط بنظرة عدم رضا وحركت زعانفها لتواجه الحورية الأخرى التي كانت بجانب (يَمَّ) وقالت

لها: وأنتِ يا صاحبة الشعر الأحمر؟

(الحورية ذات الشعر والأعين الحمراء) وهي ترفع رأسها مبتسمة: (لظى)..

(طيمة): لم أرَ حورية بأعين حمراء من قبل

(لظى): ورثتها عن أبي

حركت الوزيرة (طيمة) زعانفها مبتسمة لتواجه الحورية الثالثة والتي كانت أكبرهن حجماً وبشعرٍ أزرق طويل وقالت لها: ومن أنتِ؟

(الحورية ذات الشعر الأزرق الطويل) برأس محني: (لؤلؤان) يا سيدتي..

وجهت (طيمة) نظرها بغضب للحورية بجانب (لؤلؤان) والتي كانت الأصغر سنّاً في المجموعة لأنها كانت تلعب مع سمكة صغيرة تحوم حولها وقالت بتجهم: ومن هذه الطفلة ذات الشعر الأسود يا (مارج)؟!

(لؤلؤان) بخجل وتردد: هذه أختي الصغرى (درة)

(طيمة) بوجهٍ غاضب: ومن سألك أنت؟!.. الزمي الصمت إذا لم يوجه لكِ الحديث!

(لؤلؤان) وهي تنزل رأسها: حاضر

(مارج): لقد أحضرتها مع أختها يا سعادة الوزيرة لأن الشروط منطبقة عليها

(طيمة) تراقب (درة) اللاهية مع السمكة الصغيرة بعبوس: من الشروط التي أمرتك بأن تتقيد بها هي الرصانة والعقل وهذه الطفلة تفتقدهما!

ضربت (لؤلؤان) السمكة الصغيرة التي كانت تلعب بها (درة) فرفعت رأسها بعصبية وقالت: لمَ فعلتِ ذلك؟!

(طيمة) وهي تسبح تجاهها: كم عمرك يا حورية؟

(درة): سبع سنوات

(طيمة) لـ(مارج) بغضب: هل أنت أحمق؟!

(مارج) بتوتر: أقسم لكِ بأن أمها أخبرتني بأنها أتمت الثامنة

(طيمة): هذه الحورية لن تدخل على الملك وسنكتفي بالثلاث

(لؤلؤان): إذا لم تدخل أختي معي فلن أدخل أنا أيضاً

(طيمة) بعبوسٍ: ألم أنهك عن الحديث إذا لم يوجه لكِ الكلام؟

(لؤلؤان) بتعالٍ وأنفة: سأتحدث وقتما أشاء ولسنا مجبرات على البقاء هنا!

(طيمة) وعبوس وجهها ينفرد: هل ترفضين لقاء الملك؟

(لؤلؤان): هو من يرغب بلقائنا وليس نحن وإذا لم تأتِ أختي معي فلن أبقى!

تجهمت الوزيرة (طيمة) من كلام (لؤلؤان) بينما كان الجميع ينظرون إليها باستغراب وتعجب من جرأتها في الحديث ومجادلتها للوزيرة بمن فيهم (مارج). حركت (طيمة) مجاديفها وسبحت مبتعدة عنهن وهي تقول لـ(مارج) أحضر الحوريتين فقط واصرف البقية.

(مارج) وهو يومئ برأسه الضخم: حاضر

بدأ (مارج) بدفع (لؤلؤان) و(درة) بأحد أذرعه الضخمة وبذراعٍ آخر ضم (يَمَّ) و(لظى) إليه وبدأ بالسباحة خلف الوزيرة (طيمة) وأشار لهما بأن تلحقا به. التفتت (طيمة) خلفها عندما عام (مارج)

بجانبها وقالت بهدوء: كنت أقصد الحوريتين الأخريين أيها المستشار..

(مارج) بتعجب: تقصدين تلك الفظة مع أختها الصغيرة؟

(طيمة) وهي تعوم تجاه مدخل الجبل المنحوت: نعم ولا تتأخر

أوقف (مارج) تقدم الحوريتين اللتين كانتا تلحقان به وقال: توقفا.. لم نعد بحاجتكما يمكنكما العودة

(يَمّ) بتعجب: لماذا؟

(لظى) بسخط: لم يتبقَّ أحدٌ غيرنا!.. أم أن الملك سيتزوج من تلك السلحفاة العجوز؟!

لطم (مارج) بذراعه الضخم (لظى) على وجهها مما تسبب لها بجرحٍ امتد من رقبتها لأعلى جبينها وقال ببرود: لم تعودي صالحة للملك الآن.. هيا ارحلي..

وضعت (لظى) كفها على وجهها وبدأت بالبكاء وهي مصدومة وحركت ذيلها وعامت مبتعدة عن المكان فالتفت (مارج) على (يَمّ) ونظر إليها بحدة فقالت وهي تهم بالرحيل بوجه عابس: أنا راحلة أيضاً!

في تلك الأثناء كانت (لؤلؤان) مع أختها الصغرى (درة) قد ابتعدتا عن المكان لمسافة ليست بالقصيرة لكن (مارج) لحق بهما واعترض طريقهما وهو يقول: انتظرا!.. الملك يدعوكما لقصره

(لؤلؤان) بسخرية: ماذا حدث؟ ألم تعجبه أي من الحوريتين الأخريين؟

(مارج): الاختيار وقع عليكما وأنا أسأت الفهم

(لؤلؤان): هل تعني أن الملك لم يقابلهما؟

(مارج): الملك لم يقابل أحداً وهو بانتظاركما الآن

(درة) وهي تزفر بعض الفقاقيع بتذمر: ألم ينتهِ هذا اليوم؟!.. أريد العودة للمنزل!

عاد الثلاثة نحو الجبل الكبير والذي كان يعرف بجبل «الجير» وقد كان جبلاً ضخماً بمدخلٍ واحد وقليل من شعب الحور تمكن من دخوله ورؤية دواخله فالملك (عقيق) كان يحكم من خلال وزيرته (طيمة) ومستشاريه والذي كان (مارج) أحدهم بالإضافة لحوتٍ رمادي ضخم يدعى (كوكب) لا يفارق الملك أبداً إلا إذا أمره بذلك. عند وصولهم لفوهة الجبل استوقفهما (مارج) وقال: يجب أن

تكونا مهذبتين خلال الحديث مع الملك ولا تتحدثا معه إلا عندما يوجه لكما الحديث

(لؤلؤان): حاضر

(درة): أنا لا أريد الحديث معه من الأساس

نظر (مارج) لـ(درة) بتجهم فنهرتها (لؤلؤان) بقول: الزمي الصمت ولا تتحدثي مطلقاً!

(درة) بتهكم: حتى لو تحدث معي الملك؟

(مارج) لـ(لؤلؤان): هل ستتسبب أختك بالمشكلات؟.. الملك ليس كالوزيرة وإثارته قد تنهي حياتنا جميعاً

(لؤلؤان): لا تقلق أيها المستشار أختي ستلتزم بالأدب في حضور الملك (عقيق)

(مارج) وهو يهم بالدخول للجبل: حسناً.. هيا اتبعاني

عندما تبعت (لؤلؤان) الأخطبوط (مارج) لم يكن لديها أي تصور عن ما كانت ستشاهده فمعظم شعب الحور يعيشون في جحور متواضعة حول الجبل الكبير وبعضهم لا يملك حتى مأوى صخريّاً وينام بين الشجيرات والشعب المرجانية وهذا لم يكن انتقاصاً لهم بل

كانت طريقة عيشهم وحياتهم فهم في الغالب لا يملكون بيوتاً أو ممتلكاتٍ مادية عدا بعض الحلي والأصداف التي تهدى للحوريات المتزوجات وتبقيها معها طيلة حياتها وتورثها معظم الوقت لبناتها من بعدها، لذا وعندما شاهدت (لؤلؤان) جدران الممر الذي عامت فيه مع أختها خلف (مارج) وهو مرصوف باللآلئ بمختلف الألوان والأحجام في قوالبَ من المرجان المتشعب انبهرت بشدة وفقدت تركيزها وأصابها الافتتان بما رأته. مع تقدمهم في العوم والسباحة عبر ذلك الممر المزركش والذي لم يزدد إلا جمالاً وبدأت تظهر حولهم وأسفل منهم كائنات بدا عليها الرخاء والنعيم فقد كانت ممتلئة الأجساد مغطاة بالحلي النادر ولا أثر للخدوش أو الجروح على أجسادها وكأنها خرجت للتو من بيضتها. أحست (لؤلؤان) لوهلة وهي تمر بين تلك الجموع أنها لا تنتمي لتلك الطبقة بالرغم من رغبتها المفاجئة في أن تكون جزءاً من تلك الكائنات المتغطرسة على عكس أختها الصغيرة التي كانت تعوم وتضحك من أشكال وحركات بعض الكائنات وهي تأكل وتعوم بطريقة لم تألفها وكأنها تتصنع وتحاول تقليد كائنٍ آخر. انتهى الممر بمفترق طرق كبير حوى خمسة مداخل وكان ذلك المكان أيضاً مكتظّاً بالكائنات البحرية المختلفة من أسماكٍ وقشريات وحيتان ودرافيل والكثير الكثير من

كائنات البحر المختلفة ولفت نظر (درة) أن بعض تلك الكائنات كانت تلبس الحلي والمجوهرات بشكلٍ مبالغ فيه لدرجة أن ظهورها كانت مقوسة من ثقلها وعندما علقت (درة) على ذلك المنظر بتهكم نهرتها (لؤلؤان) وأمرتها بالصمت.

سلك (مارج) أحد الطرق الخمسة والتي كانت محروسة بقرشين ضخمين لم يعترضا طريقه لكنهما اعترضا (لؤلؤان) و(درة) وكشرا عن أنيابهما لكن (مارج) أشار بأحد مجساته للحارسين بأن يسمحا لهما بالمرور فتنحيا عوماً عن طريقهما لكنهما بقيتا محتضنتين بعضهما لبعض خوفاً ووجلاً لأنها كانت المرة الأولى التي تريان فيها قروشاً عن قرب فمثل تلك الكائنات المفترسة لا تجرؤ على الاقتراب من مملكة الملك (عقيق) لمعرفتها السابقة بالسخط الذي سيطالها إن فعلت ذلك بلا إذن. نهرهما (مارج) وأمرهما بالتحرك فعامت (لؤلؤان) وهي ممسكة بـ(درة) المتسمرة رعباً. بعد سباحة قصيرة في ممرٍ أكثر جمالاً من السابق وصل الجميع لتجويفٍ كبير كانت تتوسطه الوزيرة (طيمة) وهي تحرك زعانفها وعندما رأتهم مقبلين تبسمت وقالت لهما: هل أنتما جاهزتان لمقابلة ملك البحور السبعة؟

هزت (لؤلؤان) رأسها والتوتر ظاهر عليها واكتفت (درة) بالصمت وهي تحدق بـ(طيمة)..

(طيمة) وهي تعوم نحو مدخلٍ كبير زينت أطرافه بأحجار براقة ولامعة كالزجاج: اتبعاني وابقَ أنت هنا يا (مارج) حتى أستدعيك..

بعد تجاوزهن المدخل أقبلن على عرشٍ حجريٍ كبير يجلس عليه حوري ضخم وعلى يمينه وشماله حيتان كبيرة بالإضافة لحوريات كنّ أسفل العرش ممسكات بأصداف كبيرة مملوءة بالأسماك الصغيرة والقشريات الملونة.

(طيمة) وهي تهبط عند أقدام الحوري الكبير وتحني رأسها: لقد أحضرتهما يا جلالة الملك..

(عقيق) ينظر بتمعن لـ(لؤلؤان) المرتعدة من هيبة حضوره و(درة) المختبئة خلفها ويقول: لقد طلبت منكِ إحضار مجموعة من الحوريات وليس واحدة فقط يا (طيمة)

(طيمة) ونظرها للأسفل: هي من انطبقت عليها شروطك يا صاحب الفخامة

(عقيق): ما اسمها؟

(طيمة):.. (لؤلؤان)..

(عقيق) محاولاً النظر لـ(درة): ومن تلك التي تختبئ خلفها؟

(طيمة): أختها الصغيرة

(عقيق): ما الأمر؟.. هل سأنتقي زوجة أم أسرة بأكملها

(لؤلؤان): أختي لا تفارقني أيها الملك

نظرت الوزيرة (طيمة) لـ(لؤلؤان) بنظرة غضب شديد لأنها خالفت الأعراف بالحديث المباشر مع الملك دون أن يتحدث معها وفي العادة يكون عقاب ذلك عظيماً للمتحدث ومن أدخله على الملك لكن ذلك لم يحدث فقد ابتسم الملك وقال: ألا تعرفين بأن من أختارها زوجة لي يجب أن تقطع صلتها بعائلتها؟

(طيمة) بتوتر: أعتذر أيها الملك سوف أخرجها من هنا فوراً

(عقيق) يشوح بيده: لا داعي لذلك أيتها الوزيرة

(طيمة) تحني رأسها: أمرك

انتبه الملك (عقيق) لـ(درة) وهي تختلس النظر من خلف (لؤلؤان) لأحد أطباق القشريات الذي كانت تحمله إحدى الحوريات

المصطفات في المكان وقال لها: هل ترغبين بتناولين بعضها؟

(لؤلؤان) بتحرج وهي تدفع رأس (درة) خلفها: لا أيها الملك هي فقط منبهرة من المكان فقط

(طيمة) بغضب مكبوت وبصوت حانق موجه لـ(لؤلؤان): توقفي عن وقاحتك بالحديث دون إذن!

(عقيق) ونظره على (لؤلؤان): وأنتِ من سمح لكِ بالحديث يا (طيمة)؟

(طيمة) بخوف: اصفح عني يا جلالة الملك لكنها تخالف الأعراف

(عقيق): اخرجي..

حركت الوزيرة (طيمة) زعانفها واستدارت نحو (لؤلؤان) وبدأت تشوح لها بالخروج وهي تقول: اخرجي فالمقابلة انتهت..

(عقيق): كنت أعنيك أنتِ يا (طيمة)

(طيمة) بوجه مصدوم ومتعجب: أنا؟

(عقيق): هل سأكرر كلامي؟

(طيمة) وهي تنزل رأسها: أمرك مطاع يا جلالة الملك

خرجت الوزيرة (طيمة) من المكان وبقيت (لؤلؤان) مع أختها أمام الملك وبالرغم من أن الوزيرة كانت حازمة معهما إلا أن وجودها كان مطمئناً لهما إلى حدٍّ ما وبعد خروجها زاد توترهما وخصوصاً (لؤلؤان). نظر الملك لهما وأطال النظر ثم قال: اتركي أختك تتناول بعض محتوى الطبق..

(درة) من خلف (لؤلؤان): هل يمكنني ذلك يا أختي؟

(لؤلؤان) مبتسمة: هذا أمر الملك ويجب أن تنفذيه

عامت (درة) من خلف أختها وتوجهت نحو إحدى الحوريات الحاملات للأطباق وبدأت بتذوق إحدى الكائنات الصغيرة وبمجرد ما أن قضمت رأسها قالت بصوت مرتفع: إنها لذيذة!!

تحرجت (لؤلؤان) من ارتفاع صوت أختها بهذا الشكل لكن الملك بدأ بالضحك بصوت مرتفع..

(لؤلؤان) بخجل: أعتذر يا جلالة الملك من تصرف أختي فهي لم تعتد الوجود في مثل هذه الأماكن ولا تجيد التصرف بلباقة

(عقيق) مبتسماً: هي غير ملومة فتلك القشريات من أطيب الأنواع وتجلب لي خصيصاً من قاع البحر الأسود

أطبقت (درة) على مجموعة من تلك الكائنات الصغيرة بقبضتها واندفعت سباحة نحو الملك (عقيق) فاعترضها الحوت الرمادي الضخم (كوكب) المتمركز خلف الملك مباشرة وقال بغضب: لا تقتربي من الملك!

(عقيق) مبتسماً: ابتعد أنت ولا تعترض طريقها يا (كوكب)

تنحى الحوت الكبير عن طريق (درة) التي تجمدت مكانها وهي قابضة على بعض القشريات الصغيرة حتى أشار لها الملك باسماً بالاقتراب منه..

(درة) وهي تقترب من الملك وتبسط يدها وتقول وهي خائفة كنت أريد أن أطعمك واحدة منها فقط

(عقيق) مبتسماً: اختاري أنتِ واحدة لي

(درة) تلتقط قريدسة زرقاء برأسٍ أحمر وتمدها للملك: هذه تبدو لذيذة!

تناول الملك القريدسة وأجلس (درة) في حجره وكان جميع الحضور متعجبين مما يحدث لأنها المرة الأولى التي يقوم فيها الملك بالتودد مع أحد من شعبه. أكملت (درة) تناول القشريات وهي في حجر الملك

الذي وجه كلامه لـ(لؤلؤان) المتحرجة من أختها قائلاً: ما بك؟

(لؤلؤان): محرجة من سلوك أختي مع جلالتك

(درة) بغضب: تتحدثين وكأنكِ ملكة الآن؟

(عقيق) ضاحكاً: هل ترين أنها تستحق أن تكون ملكة؟

(درة) وهي تنظر للقريدسات بيدها وتلتقط واحدة بغضب: لا تسألني كي لا أضطر للكذب عليك!

ضحك الملك بقوة ثم وجه نظره لـ(لؤلؤان) وقال: سوف أسألكِ ثلاثة أسئلة أجيبي عليها دون تحفظ أو خوف

(لؤلؤان): سأفعل يا سيدي..

(عقيق): أيهما أقوى.. الحب أم الكره؟

(لؤلؤان): من يعرف الأقوى بين الحزن والخوف سيعرف الإجابة..

(عقيق): هذه ليست إجابة

(لؤلؤان): هي إجابة لمن يريد أن يعرف

(عقيق): حسناً.. كيف نستطيع علاج الطمع؟

(لؤلؤان): إذا لم تستطع الحصول على ما تريد فاكتفِ بما تحتاج..

(عقيق) مبتسماً: هل هناك شيء أكثر إيلاماً من الموت؟

(لؤلؤان): مؤلمٌ أن تموت لكن الأشد إيلاماً أن ترى من تُحب يحتضر..

(عقيق) بابتسامة رضا: ستكونين زوجتي يا (لؤلؤان) وستصبحين ملكة شعب الحور..

أنزلت (لؤلؤان) رأسها خجلاً ولم ترد على الملك لكن (درة) قاطعته وقالت: هل يمكنني الرحيل الآن؟

(عقيق) لـ(درة) مبتسماً: يمكنك الرحيل الآن

(لؤلؤان) بقلق: هل معنى ذلك أنني لن أراها مرة أخرى؟

(عقيق): هذا هو القانون الملكي.. يجب أن تقطع الملكة كل صلتها بعائلتها

(درة) بتجهم: قانون أحمق!

خرجت بعض فقاعات الهواء من منخار (كوكب) والذي كان يعوم خلف عرش الملك ويحدق أمامه وكأنه كان غاضباً من أسلوب حديث (درة) مع (عقيق) الذي قال لها: وماذا تقترحين أن نفعل؟

(درة): أنت الملك أليس كذلك؟

(عقيق) مبتسماً: بلى

(درة): غير القانون إذاً

صمت الملك (عقيق) مبتسماً لثوانٍ قضاها محدقاً بـ(لؤلؤان) ثم قال: ما رأيك يا جلالة الملكة؟

(لؤلؤان) ورأسها محني للأرض: لا رأي لي بوجودك جلالتك

(درة) مقاطعة الحديث: لا عليك منها فهي تتظاهر بالخجل أمامك والحقيقة أنها سليطة اللسان

نهرت (لؤلؤان) أختها وقالت: اصمتي!

ضحك (عقيق) بقوة وقال: حسناً سوف نستثني هذه الحورية الصغيرة من القانون.. لكن هي فقط

(لؤلؤان): شكراً يا سيدي

(درة) وهي تعوم نحو أختها تاركة حجر الملك: هل يمكننا العودة الآن فبطني تؤلمني؟

(عقيق) مبتسماً: عودي لأهلك وأمضي معهم ثلاثة أيامٍ فقط وبعدها عودي كي نتمم الزفاف

(لؤلؤان) وهي تدير ظهرها وتشد معصم أختها: أمرك

(عقيق): انتظري..

(لؤلؤان): بماذا تأمر يا جلالة الملك؟

أشار الملك (عقيق) لثلاثة من الحيتان الكبيرة في المكان بأن يرافقوا (لؤلؤان) وقال: منذ الآن يجب أن لا تسيري بلا حراسة خارج جبل «الجير»

عادت الأختان لأهلهما وأصيبت أمهما بحزن شديد عندما علمت أن كلتيهما سترحلان عنها فقد كانت مستعدة للتخلي عن واحدة منهما لكنها لم تكن تتوقع أن يقرر الملك إبقاءهما معاً في جبل «الجير». بعد عودة (لؤلؤان) للجبل أقيم حفل زفافٍ كبير وأمر الملك (عقيق) أن تُنقل الاحتفالات للبحور السبعة وأن يحتفل كل ملك بالكائنات التي يحكمها فقد كان لكل بحرٍ حاكم مفوض من الملك (عقيق) وكان ملزماً بأوامره وتعليماته التي تُنقل إليهم بانتظام.

لم تكن هذه الزيجة الأولى للملك (عقيق) فقد تزوج قبلها مرتين وكان هدفه من الزواج في جميع الحالات الحصول على وريث يرثُ مملكته من بعده لكن زوجاته السابقات لم يحبلن بأي بيوض. زوجته

الثانية التي انفصل عنها كانت الأقرب لقلبه وكان من المؤلم عليه فراقها لأن قانون الحور ينص على أن الملكة إذا لم تحبل خلال السنة الأولى تُطلق تلقائيّاً من الملك ويسحب منها اللقب وتنفى خارج البحر الأبيض وبسبب ذلك الألم الذي أحس به الملك (عقيق) لفراق زوجته الثانية تردد كثيراً قبل أن يعيد التجربة مرة أخرى.
طريقة التناسل والولادة بين الحور تكون بأن تحبل الأنثى لثلاثة أشهر تقريباً بعدها تبيض بيضة صغيرة بقشرة شفافة ورقيقة يمكن من خلالها رؤية الجنين بوضوح داخل البيضة تضع الأم بعدها تلك البيضة الرقيقة في مكان تخصصه للحضانة وهو في العادة صدفة كبيرة مصقولة من الداخل. تبقى البيضة وتنمو وتكبر على مدى ثلاثة أشهر أخرى. تقوم الأم بتغذية جنينها بلحس القشرة الرقيقة للبيضة يوميّاً بلسانها الذي يفرز خلال فترة الحضانة مادة لزجة غنية بالعناصر الغذائية البسيطة التي يحتاجها جنين الحور. يمكن لأنثى الحور أن تبيض عدة بيوض في وقتٍ واحد لكنها تختار بيضة واحدة منها فقط وتلتهم البقية لأنها لا تستطيع الاعتناء بها جميعاً وبعد انقضاء فترة الحضانة تتكلس القشرة وتصبح بيضاء تماماً وتفقس بعدها بأيام قليلة.

كان الملك (عقيق) مستاءً قبل زواجه من (لؤلؤان) من تأخر قدوم وريثه لكن همه انجلى عندما دخلت عليه الوزيرة (طيمة) بعد زواجه بأسابيع قليلة وهي تزف له نبأ سارّاً وهو أن الملكة حبلى بوريثه المنتظر. ابتهج الملك كثيراً وأمر بإقامة احتفالٍ كبيرٍ لكن الوزيرة نصحته بأن يُبقي الأمر سرّاً ولا يعلنه.

(عقيق) مستغرباً من كلام وزيرته: لمَ يا (طيمة)؟

(طيمة): هل يمكننا التحدث وحدنا يا جلالة الملك

أمر الملك كل من كانوا حوله بالانصراف وعندما خلا المكان قال بتجهم: ما الأمر؟! لمَ لا تريدين مني الاحتفال بقدوم وريثي؟!

(طيمة): أستسمحك عذراً يا مولاي فهذا ليس من حقي أو من حق أي أحد في البحور السبعة

(عقيق): ماذا إذاً؟!

(طيمة): أنت تعلم بأطماع الغرانيق في حكم البحور السبعة وتعلم بأنهم ينتظرون اليوم الذي يستولون فيه على مملكتنا من بعدك والشيء الوحيد الذي خفف مضايقاتهم لنا وللممالك في البحور الأخرى هو اطمئنانهم أن المسألة مسألة وقت وأنهم سيحكمون بعد

وفاتك لأنك بلا وريث

(عقيق) بغضب شديد: كيف تتحدثين معي بهذه الطريقة؟!

(طيمة): اعذرني يا جلالة الملك لكني أتحدث معك الآن كوزيرة لشؤون المملكة ومن واجبي النصح مهما كان كلامي جافّاً

(عقيق) وثورة غضبه تهدأ: ماذا تريدين مني أن أفعل؟ أخفي ابني على شعبي؟

(طيمة): لا أيها الملك فقط حتى يفقس وعندها أعلن عن ولادته وباهِ به أمام الجميع

(عقيق): وما الحمكة من ذلك؟

(طيمة): الغرانيق لن يسكتوا إذا علموا أنك تنتظر وريثك وسيكثفون هجماتهم علينا وسنقضي الشهور الستة القادمة في حروب نحن في غنى عنها

(عقيق): الغرانيق ما هم إلا مجموعة من الكائنات الخسيسة وهم بلا حاكم يقودهم فهم مجرد عصابات تتقاتل فيما بينها أكثر من اقتتالها مع غيرها

(طيمة): بالضبط ونريدها أن تبقى كذلك حتى يشرفنا وريثك

(عقيق) بتجهم: هل تظنين أني عاجز عن إبادتهم جميعاً؟

(طيمة): أعرف بأنك قادرٌ على ما هو أعظم من ذلك لكن هذا لن يكون بلا ثمن فهم كما قلت عصابات همجية وسوف يقومون بالتخريب والقتل في مختلف البقاع في البحور السبعة ولن يواجهوا جيشك وجهاً لوجه وأكرر نحن في غنى عن ذلك الآن

صمت (عقيق) وبدأ يفكر..

(طيمة): صدقني يا جلالة الملك هذا هو الخيار الأمثل في الوقت الراهن..

(عقيق): اتركيني الآن..

(طيمة) وهي تهم بالرحيل: أمرك

(عقيق): أين (لؤلؤان)؟

(طيمة): مع الأميرة (درة) في مهجعها

(عقيق): سأزورها بعد قليل.. أعدوا العدة لاستقبالي عندها

(طيمة): أمرك يا جلالة الملك

من عادات ملوك الحور أن لا يتركوا أماكنهم إلا للخروج من

المملكة فهم لا يتنقلون بين أركان قصورهم الجبلية إلا نادراً وفي حالات خاصة جدّاً وزيارة الملكة في مهجعها خلال حملها أو عنايتها ببيضتها كانت من تلك الحالات. بعد ما استعدت كائنات الجبل وحاشية الملك لتحركه من مكان عرشه لمهجع زوجته عام الملك في مسارٍ من الحيتان والقروش والأخابيط الضخمة حتى مدخل مكان إقامة (لؤلؤان) وبالرغم من أن القوانين تمنع وجود أحدٍ معها خلال زيارة الملك إلا أن (درة) كانت تنعم باستثناء خاص. دخل الملك على زوجته ووجدها مستلقية على صدفتها الكبيرة في غرفتها المزينة باللآلئ والجواهر وبجانبها (درة). همت الملكة بالنهوض حين رأت الملك لكنه استوقفها وقال: لا تتحركي يا (لؤلؤان)..

(درة) وهي تحني رأسها: مبارك أيها الملك على قدوم وريثك

(عقيق) وهو يعوم ويجلس بجانب زوجته واضعاً يده على بطنها: لم يأتِ بعد..

(درة) مبتسمة: سيأتي ويدخل السرور لقلبك

(لؤلؤان) لأختها: هل يمكن تركنا وحدنا يا (درة)؟

(درة) تحني رأسها وتهم بالخروج: حاضر يا جلالة الملكة

(عقيق) يلتفت ويراقب (درة) خلال خروجها مبتسماً: لقد كبرت بسرعة خلال أشهر قليلة

(لؤلؤان) مبتسمة: لقد خرج الدم من سرتها قبل عدة أسابيع ومنذ ذلك الوقت وهي متغيرة تماماً

(عقيق) وهو يعود بنظره لزوجته: سوف أنقطع عنكِ حتى يفقس ابننا..

(لؤلؤان) بابتسامة رضا: أعرف العادات الملكية.. لا تقلق أختي ستكون معي..

(عقيق): هل اخترتِ اسماً له؟

(لؤلؤان) مبتسمة: وكيف تعرف بأنها لن تكون حورية؟

(عقيق): لأني أريد ذكراً

(لؤلؤان): سأحاول أن أحقق رغبتك

قبل الملك (عقيق) زوجته على جبينها وحرك ذيله الضخم وخرج من المكان لتدخل بعده (درة) بثوانٍ وتجلس بجانب أختها وتقول ممازحة لها: ماذا قلتِ له؟

(لؤلؤان): وما شأنك أنتِ؟ كفي عن التطفل

(درة): سمعت أن من عادات ملوك الحور أن يقدموا هدية للملكة عندما تحبل.. أين هي؟

(لؤلؤان): هل أتتكِ أخبار من أمي اليوم؟

(درة): نعم.. الرسول الذي أرسلته لها طمأنني عليها.. أخشى أن يعرف الملك بأننا ما زلنا على تواصل مع أسرتنا وخالفنا أمره وتكون عاقبتنا وخيمة

(لؤلؤان): لا تقلقي بشأن (عقيق)

(درة): لِمَ أنا ممنوعة من زيارة الملك أيضاً خلال فترة حملك وحضانتك للبيضة؟

(لؤلؤان): وما دخلك أنت؟

(درة): لا أعرف (طيمة) أخبرتني بذلك

(لؤلؤان): تلك العجوز تقلقني

(درة): أنت الملكة وهي خادمة عندكِ.. هل بدر منها شيء؟

(لؤلؤان): لا لكنها ترمقني من وقتٍ لآخر بنظراتٍ غير مريحة..

وكأنها تريد التخلص مني

(درة): لا تلقي لها بالاً فهي سلحفاة خرفة

(لؤلؤان): اخرجي الآن أريد أن أرتاح

(درة): حسناً

مضت الثلاثة الأشهر الأولى ووضعت (لؤلؤان) بيضتها وكانت الوزيرة (طيمة) حاضرة خلال ولادتها كي تبشر الملك وبالفعل تمت الولادة ونُقلت البيضة للصدفة المخصصة للحضانة ووضعت بجانب الملكة لتعتني بها حتى تتكلس وتفقس. بعد ما نقلت (طيمة) الأخبار السارة للملك عادت لمكانها المخصص لها في الجبل لتجد (مارج) في انتظارها.

(طيمة): ماذا تريد أيها المستشار؟

(مارج): حديث مهم أريد التحدث فيه معكِ

(طيمة) تلتفت خلفها لثوانٍ ثم تقول: اتبعني..

توجهت الوزيرة (طيمة) لنفقٍ عميق في الجبل لا يدخله أحد وعندما استقرت التفتت على (مارج) وقالت: أرى في عينيك الصفراوين قلقاً كبيراً.. هات ما عندك

(مارج): بعض الأخبار التي نُقلت لي اليوم من البحور السبعة لم تكن جيدة

(طيمة): أي أخبار؟

(مارج): تعرفين بأنه لا يوجد حور خارج حدود البحر الأبيض

(طيمة): هناك بعض المنشقين القلائل لكنهم لا يعمرون طويلاً فهم في الغالب يلقون مصرعهم على يد الغرانيق الحاقدة أو يتزاوجون معهم لينتجوا تلك الفصيلة القذرة المسماة بالسايرينات

(مارج): وصلتني أخبار أن هناك شعباً كاملاً من الحور في البحر الأخضر

(طيمة) بتعجب: شعب كامل؟.. تقصد تجمعاً بسيطاً لبعض الهاربين

(مارج): لا.. يبدو أن الهاربين من البحر الأبيض عبر السنين الفائتة قد كونوا لهم مملكة في البحر الأخضر

(طيمة) وهي مصدومة: كيف يحدث مثل هذا الأمر ولا يصلنا علمه إلا الآن؟!

(مارج): البحر الأخضر هو أبعد البحور عن مملكتنا وفيها يبدو أن الكائنات التي كانت تنقل لنا أخبار تلك المنطقة متواطئة معهم

(طيبة) بغضب: متواطئة مع من؟!

(مارج): مع ملكتهم التي عينوها حاكمة عليهم

(طيمة) وهي مذهولة مما تسمع: ملكة؟! مملكة؟! شعب حور؟!!.. ما الذي يحدث؟! ما هذه الغفلة التي نحن فيها؟!.. هذه مصيبة!

(مارج): لذا أخبرتك قبل أن أنقل الخبر للملك (عقيق)

(طيمة) بعصبية شديدة: تنقل ماذا يا أحمق؟!.. لو بلغ هذا الأمر الملك فسوف يقتلنا جميعاً! هذا تقصير لا يغتفر!

(مارج): وما العمل إذاً؟

(طيمة): من هي تلك الملكة التي تحكم هؤلاء الحور؟

صمت (مارج) وأنزل رأسه وكأنه يخشى من سخط (طيمة) لو أخبرها لكنها نهرته وقالت: تحدث يا كيس الحبر!!

(مارج) ورأسه الضخم للأرض:.. (سلسبيل)..

(طيمة) وهي مصدومة: هل هو مجرد تشابه أسماء أم أنها..

(مارج): لا.. ليس تشابه أسماء.. هي بعينها زوجة الملك (عقيق) الثانية..

(طيمة) وهي لا تزال مصدومة: كيف حدث ذلك؟!

(مارج): يبدو أنها وبعد نفيها وجدت طريقها للبحر الأخضر واكتشفت حوراً هناك

(طيمة): ولَم يعينونها ملكة عليهم فهي ليست من نسل ملكي ولقبها نُزع منها بعد طلاقها من الملك فهي بدون ذلك اللقب مجرد حورية عادية

(مارج): هذا هو الخبر السيئ الذي كنت أريد أن أقوله لكِ

(طيمة) بعبوس وتجهم: وهل قلت شيئاً حتى الآن سوى الأخبار السيئة؟!

(مارج): الملكة (سلسبيل) كانت حبلى وقد أنجبت حوريّاً يحمل على جبينه الوسم الملكي وقد احتفى بها شعب الحور في البحر الأخضر وعينوها ملكة عليهم ريثما يبلغ (سايدن) سن الرشد ليحكمهم

(طيمة) وهي تكاد تفقد عقلها من الذهول: (سايدن) من؟!

(مارج): ابن الملك (عقيق) من الملكة (سلسبيل)..

بدأت (طيمة) تعوم في دوامة وهي تهذي وتحدث نفسها وتقول: لقد فحصتها قبل تطليقها.. لقد فحصتها قبل تطليقها.. لم تكن حبلى.. لم

تكن حبلى.. سوف يقتلني الملك (عقيق)..

(مارج): يبدو أن فحصك لم يكن دقيقاً أيتها الوزيرة

(طيمة) وهي تصرخ في (مارج): أطبق فمك!

صمت (مارج) ولم يتفوه بكلمة أخرى وظَل يراقب الوزيرة (طيمة) وهي تسبح في دوائر وكأنها فقدت عقلها حتى توقفت والتفتت عليه وقالت: اسمع أيها الأحمق.. يجب أن نحل هذه المشكلة فوراً! لو علم الملك بما حدث فسيطال سخطه الجميع وقد يمحو أهلنا وذريتنا بالكامل من البحور السبعة

(مارج): توقعت أن يسعد الملك بهذا الخبر

(طيمة) بعصبية: يسعد؟!.. ما حدث تدنيس والملك لن يغفر لنا ما قمنا به أبداً فقد فرقنا بينه وبين زوجته وحرمناه من وريثه المنتظر هل تعتقد أنه سيكافئنا على ذلك؟!

(مارج): ما العمل إذاً؟

(طيمة): اسمع!.. كثف عدد الكائنات الناقلة للأخبار في البحر الأخضر أريد معرفة كل شيء يدور هناك وخصوصاً ما يتعلق بـ(سلسبيل) وابنها

(مارج): ثم ماذا؟

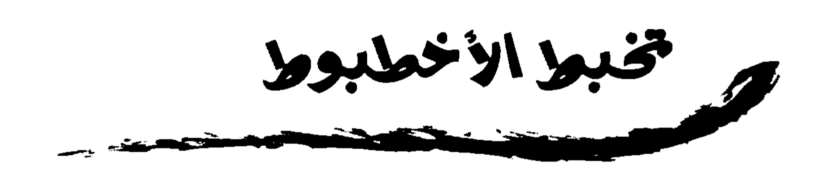
(طيمة): بيضة (لؤلؤان) يجب أن لا تفقس ويجب أن نتخلص منها هي مع أختها في أسرع وقت!

(مارج) باستغراب: لماذا؟.. ما علاقتهما بما حدث؟

(طيمة): الأمر أصبح حياة أو موتاً بالنسبة لنا ويجب أن ندير كل شيء بأنفسنا ونحدد من هو الوريث القادم

(مارج): لا أفهم شيئاً من كلامك يا سعادة الوزيرة

(طيمة): نفذ ما آمرك به فقط واترك التفكير لي فأمثالك لم يخلقوا للتفكير



تخبط الأخطبوط

بعد اكتشاف الوزيرة (طيمة) أن الملكة المنفية (سلسبيل) قد أنجبت وريث الملك الأول في غفلة وسوء تقدير منها أحست بالرعب الشديد لأن مهمة التحقق من حمل الملكات كانت مسؤوليتها وحدها ولم يكن الملك ليطلق زوجته دون تأكيد وزيرته أنها ليست حبلى بعد مرور عامٍ كامل على ارتباطهما. لم تكن (طيمة) تخشى على نفسها فقط فالعقوبة في مثل هذه الحالات قد تطالها وتمتد لغيرها فالملك (عقيق) لن يتردد في القضاء على جميع السلاحف المنتمين لفصيلتها وإبادة عرقها بالكامل وهذه لن تكون المرة الأولى التي يطبق فيها مثل هذا الحكم الجائر خاصة وأن الجريمة كبيرة وتسببت في تدنيس أنساب ملكية لذا كانت الوزيرة (طيمة) يائسة ومستعدة للقيام بما هو أسوأ للحفاظ على نفسها وفصيلتها من الإبادة.

أدركت (طيمة) بعد تفكيرٍ طويل أن فرصتها في النجاة هي بالتخلص من الملك (عقيق) نفسه والتواصل مع مملكة الحور في البحر الأخضر

والتعاون معهم والتنسيق لنقل الحكم لـ(سايدن) وكانت متيقنة بأن الملكة (سلسبيل) سترحب بالفكرة خاصة وأنها نفيت بشكل مهين ولم يلتفت الملك لتوسلاتها بالبقاء في البحر الأبيض لكن تلك الخطة كان يقف أمامها عائقٌ كبير وهو الوريث الآخر المنتظر والذي تحتضنه (لؤلؤان) وتنتظر أن يفقس فكان لا بد من التخلص منه أولاً قبل الشروع بأي انقلاب على الملك (عقيق). كانت خطة الوزيرة (طيمة) للتخلص من الوريث المنتظر محكمة فالاستثناء الذي مُنح لـ(درة) بالدخول على أختها والخروج عنها خلال فترة الحضانة هو الثغرة التي استغلتها الوزيرة لتحقيق مآربها ففي إحدى الليالي وخلال غياب (درة) عن مهجع أختها تسلل ثعبانٌ مائي مُرسل من (طيمة) ودخل المهجع وسبح بهدوءٍ خلال نوم الملكة وقام بغرس أنيابه المسمومة في قشرة البيضة الرقيقة ونفث سمه الزعاف داخلها ولم تمضِ دقائق بعد خروجه حتى سُمع صراخ (لؤلؤان) فهرعت إليها الوزيرة (طيمة) التي كانت قريبة من المكان عمداً ودخلت عليها وهي تقول متظاهرة بالقلق: ماذا حدث يا جلالة الملكة؟!

(لؤلؤان) وهي تبكي بحرقة: البيضة!.. البيضة تهشمت وفقدت جنيني!

(طيمة) وهي تعوم وتضع زعنفتها على الملكة: لا بأس.. هذا أمر مقدر

(درة) وهي تدخل للمكان مفزوعة: ما الأمر؟! لَمَ تبكين يا (لؤلؤان)؟!

لم ترد (لؤلؤان) من هول ما حدث واستمرت بالبكاء فخرجت الوزيرة (طيمة) مصطحبة معها (درة) وشرحت لها الأمر فحزنت حزناً شديداً لكن حزن الملك كان أكبر عندما أبلغته (طيمة) بموت وريثه وتحول حزنه لغضبٍ جامح عندما لمحت له بأنها تشك بأن الأمر بفعل فاعل وليس عارضاً.

(عقيق) وهو مستشيط غضباً: أخبريني! من قتل وريثي؟!

(طيمة) بخوفٍ مصطنع: أرجوك يا جلالة الملك أن تعتقني من الإجابة فأنا لست متيقنة ولا أريد أن أظلم أحداً بظنوني

كانت الوزيرة (طيمة) تعلم بأن الملك (عقيق) يفقد الكثير من حكمته خلال غضبه وكانت تعول على ذلك وعلى تهوره في اتخاذ الأحكام والقرارات وهو بتلك الحالة غير المستقرة فقالت له وهو يتفجر غضباً: أعتقد أن الملكة (لؤلؤان) هي من أفسدت بيضتها

بنفسها.. لكن صدقني كان ذلك رَغماً عنها ولم تكن قاصدة لذلك

(عقيق) والغضب لا يزال مطبقاً على بصيرته:.. (لؤلؤان)؟!.. لماذا؟!.. لماذا تفعل ذلك؟!

(طيمة): أخبرتك أنها قامت بذلك عن غير قصد

صرخ الملك في وزيرته وكأنه لم يسمع شيئاً مما قالته وقال: أحضريها إلى هنا فوراً!

خرجت (طيمة) وبعد دقائق دخلت الملكة (لؤلؤان) مع أختها على الملك المتفجر غضباً وقبل أن تتفوه بشيء صرخ فيها قائلاً: لماذا فعلتِ ذلك؟! لماذا قتلتِ ابني؟!

(لؤلؤان) وهي مصدومة: أنا؟!.. من أخبرك بذلك؟!

(عقيق) وهو لا يزال غاضباً بشدة: إذاً فالكلام الذي وصلني صحيح؟!

(درة) مخترقة الحديث الملتهب بغضب: وصلك مِن مَن؟!

(لؤلؤان) ناهرة أختها: لا تتدخلي!

(عقيق) وهو مغيب بغضبه: حكمت عليكِ بالموت!

(لؤلؤان) وهي مفجوعة بكلام زوجها: ماذا؟ الموت؟!

(عقيق) وهو يشير للحوت (كوكب): نعم والتنفيذ حالاً!

(درة) صارخةً في الملك: انتظر!.. لم تكن هي الفاعلة!

(عقيق) وهو يشير لـ(كوكب) المندفع نحو (لؤلؤان) بالتوقف وينهض متحدثاً بحدة وغضبٍ أقل: من إذاً؟.. أخبريني يا (درة).. أنا أثق بكِ.. أخبريني..

نظرت (درة) لأختها المنهارة ثم أعادت نظرها نحو الملك بثقة وقالت: أنا.. أنا من أفسد البيضة..

جلس الملك (عقيق) على عرشه بهدوء وقد أخرسته الصدمة وبقي يحدق بتلك الحورية التي أحبها ووثق بها وخالف قوانين الحور لأجلها ولأول مرة في حياته لم يملك شيئاً ليقوله وخلال صدمته وصمته عامت (لؤلؤان) نحو أختها وصفعتها وصرخت فيها قائلة: لماذا؟!

(درة) بعيون دامعة: لأني..

(لؤلؤان) وهي تصفع أختها وتصرخ في وجهها بقوة: لأنكِ ماذا؟!

(عقيق) بهدوء وهو سارح أمامه: الغيرة.. الغيرة هي التي دفعتها

لقتل وريثي.. لقد خالفت قانون أجدادي وانا أدفع الثمن الآن..

(لؤلؤان) وهي تستدير نحو الملك: أرجوك سامحني..

(عقيق): أنتِ لم تقترفي خطأً.. الإثم كله يقع على أختك الحاقدة وعلي لخرق القوانين لأجلها لكن ذلك سينتهي الآن

(لؤلؤان): نعم معك حق.. هي الفاعلة.. هي من قتلت ابني بسبب حقدها علي..

أشار الملك مرة أخرى لـ(كوكب) الواقف خلفه والذي اندفع سباحة والتقط (درة) في فمه وما أن أطبق عليها حتى خاطبه الملك قائلاً: سلمها لـ(مارج) كي يعدمها فوراً. خرج الحوت الضخم من المكان و(درة) بين فكيه دون أن تقاوم. أنزل (كوكب) جسد (درة) المرهق من إطباقه الشديد عليها أمام (مارج) وقال: الملك يأمر بإعدام هذه الحورية وفي الحال..

(مارج) بتعجب: الأميرة (درة)؟

(كوكب): لم تعد أميرة.. نفذ أمر الملك فوراً!

حرك الحوت الرمادي الضخم ذيله عائداً من حيث أتى تاركاً (درة) تحت مجسات (مارج) المندهش لكنه لم يطلْ في التفكير وقام بلف

أحد أذرعه حولها والعوم بها خارج جبل «الجير». استمر (مارج) بالعوم حتى ابتعد عن أماكن وجود كائنات مملكة الحور واستقر في مكان رملي شاسع قام بعدها بوضع (درة) على الأرض ثم لف أحد مجساته حول رقبتها وبدأ بالضغط وتضييق الخناق عليها لقتلها. لم تبدِ (درة) أي مقاومة بل كانت مستسلمة تماماً لـ(مارج) الذي انتابته حالة غريبة من تأنيب الضمير لم يعتد عليها سابقاً دفعته لإرخاء قبضته عن عنقها وسؤالها: لِمَ أمر الملك (عقيق) بإعدامك؟

(درة) وهي مستلقية على الأرض وبصوتٍ مختنق حزناً: اقتلني ولا تطل بقائي..

(مارج) وهو يسحب طرف ذراعه عن عنق (درة): ارحلي..

(درة) وهي تحاول النهوض بثقل: ماذا؟.. أرحل إلى أين؟

(مارج): البحر الأخضر.. هناك ستجدين حياة جديدة

(درة): لِمَ تخالف أمر الملك.. ألا تفكر بما يمكن أن يحدث لك؟

(مارج) وهو يهم بالرحيل: أمثالي لم يخلقوا للتفكير..

بقيت (درة) في ذلك المكان الخاوي وحدها ولم تكن تعرف ماذا تفعل فبعد ما سلمت للموت وتقبلت فكرة الرحيل عن الدنيا

وجدت نفسها قد بُعثت من جديد وكانت في قاعٍ مظلم حرفيّاً ومجازيّاً. بعد فترة وجيزة من السرحان استفاقت (درة) من توهانها وبدأت بالسباحة بلا وجهة في ذلك البحر المظلم البارد وبعد ما قطعت مسافة ليست بالقصيرة تغيرت تضاريس المكان من حولها ورأت بعض الأحجار والثغور مما زاد خوفها وتوجسها فقد كانت في عمقٍ لا يسمح لها بمعرفة الليل من النهار وبالرغم من قدرة الحور على الرؤية بشكل جيد نوعاً ما في الظلمة إلا أن حلكة الظلام في ذلك القاع كانت أشد مما تستطيع الرؤية من خلاله لمسافة بعيدة. تمكن التعب منها أخيراً فأسندت رأسها لإحدى الصخور المرجانية المتحجرة وأغمضت عينيها ونامت. لم تنتبه (درة) إلى أنها قد أعطت ظهرها لجحرٍ مظلم خرج منه كائن كالثعبان بوجهٍ بشع وقال: حورية في هذا المكان؟

انتفضت (درة) مفزوعة من الثعبان البشع وقالت: من أنت؟!

(الثعبان البشع):.. (جريث).. وأنت؟

(درة) بتوجس واشمئزاز: اسمك بشعٌ مثل وجهك..

(جريث): لم أعهد الوقاحة من الحوريات وخاصة الجميلات مثلك

(درة) بسخرية: هل تقابل الحوريات كثيراً في هذه الأرجاء؟

(جريث) بنبرة خبيثة: فقط من يتم نفيهم من مملكة الحور

(درة) بتجهم: أنا لست منفية!

(جريث) يفتح ويغلق فكه مصدراً صوتاً كالقرقعة: أيّاً كان سبب خروجك من مملكة الحور فأنت في عداد المنفيين الآن وأظن أن وجهتك التالية ستكون للبحر الأخضر

(درة): تملك معلوماتٍ كثيرة بالنسبة لكائنٍ يقيم في جحرٍ مظلم

(جريث): لا يهم النور حولك بقدر النور بداخلك..

(درة): لا أظن أن داخل هذا الوجه نوراً

(جريث): تعيبين على شكلي كثيراً.. لماذا؟

(درة): لم أعتد على القبح في حياتي..

(جريث): لم يعد هناك جمالٌ في هذه الحياة.. كل شيء إما قبيحٌ أو أقبح

(درة): إذا كنت ترى القبح في كل شيء فأنت ترى نفسك..

(جريث) يفتح ويغلق فكه: أعتقد أنك رأيتِ الكثير منه لكنه كان أفعالاً وليس أشكالاً

صمتت (درة) وهي تحدق بوجه ذلك الثعبان البشع ذي الفك العظمي الكبير والأعين البيضاء الميتة ثم قالت: ماذا تريد مني؟

(جريث) وهو يطبق فكه ويفتحه: أنا مظلوم مثلك وأريد أن أقتص ممن ظلمني

(درة): وما شأني أنا؟

(جريث): سأساعدك للانتقام ممن ظلمك بمقابل

(درة): لا أريد الانتقام من أحد

(جريث): لن تصلي للبحر الأخضر أبداً فالرحلة شاقة وطويلة ومعظم من سلكوها لقوا حتفهم في الطريق

(درة): لن أذهب للبحر الأخضر سأبحث عن أي مكانٍ هادئ وأمضي بقية حياتي فيه

(جريث): الغرانيق لن تترككِ وشأنك وسوف تجدك وتقتلك فالبحر يعج بها

(درة): وما أدراك بالغرانيق؟ هل قابلت أحدها من قبل؟

(جريث) وهو يخرج ذيله من الجحر ويمده أمام نظرها: ذيلي لم يقطع نفسه بنفسه..

(درة) تمعن النظر في ذيل (جريث) المقطوع: هل هذا من فعل الغرانيق؟

(جريث): نعم

(درة) بسخرية: وهل تنوي الاقتصاص من جميع الغرانيق؟

(جريث): لا فمشكلتي ليست معهم

(درة) باستغراب: مع من إذاً؟

(جريث): مع الملك (عقيق)..

(درة): ما علاقة (عقيق) بذيلك المقطوع؟

(جريث): حكمه المترهل ولهوه بنفسه حول البحور السبعة لموائد افتراس بين الكائنات فهو يظن أن كلمته مسموعة وأن الكائنات تلتزم بقوانينه لكنه لا يرى خارج البحر الأبيض ويتركنا بين فكوك وحوش البحر التي لا ترحم.. لو كان ملكاً جديراً بعرشه لما أصبحنا

طرائد للغرانيق أو غيرها.. البحر يحتاج ملكاً جديداً غير هذا الكهل المتشبث بعرشه الحجري!

(درة) وهي تبتسم: تبدو ساخطاً عليه كثيراً

(جريث): معظم كائنات البحر ساخطة على هذا الملك الخرف لكنها بلا حيلة فهي في النهاية كائنات ضعيفة

(درة): هل تتوقع أني سأصدق أنك تريد الخير لكائنات البحر بأن تسعى أن يحكمهم حاكم عادل؟

(جريث): من قال إني أريد الخير لأحد أو إني أريد حاكماً عادلاً؟

(درة): ماذا تريد إذاً؟

(جريث) بنبرة جنونية مخيفة: أريد حاكماً بقلبٍ أسود ملوث بالحقد والكره ليصبغ بذلك السواد البحور السبعة.. أريد بحراً بلونٍ واحد فقط.. اللون الأسود.. ليصبح عالماً يعمه الظلام للأبد

(درة): الأحمق فقط هو من يرى أن إصلاح الماضي يكون بتدمير المستقبل..

(جريث): هذا حلمي وسوف يتحقق!

(درة) بتهكم: ومن أنت لتحلم مثل هذه الأحلام؟

(جريث): أنا (جريث)!

(درة) بسخرية: حسناً يا (جريث) ومن هو هذا الحاكم المظلم الظالم الذي ستساعده للوصول لعرش البحور السبعة؟

(جريث) وهو يطبق فكه العظمي ويفتحه: أنت..

ضحكت (درة) بقوة وقالت: نعم نعم.. الحاكمة المرعبة (درة).. هذا الاسم سيثير الرعب في قلوب الرخويات فقط

(جريث): هل لديك ما تخسرينه؟

(درة) بتعجب: أنت جادٌّ في كلامك أيها الثعبان البشع؟

(جريث): لا تستصغري ما يمكن أن أقوم به

(درة) بسخرية: حسناً سوف أجاريك من باب التسلية فقط.. ما هي خطتك للسيطرة على البحور السبعة؟

(جريث): يجب أن تحكمي شعب الغرانيق وتوحديهم ليصبحوا جيشاً تغزين به الملك (عقيق)

(درة): الغرانيق يكرهون الحور أم أنك نسيت ذلك أيها المستشار؟

(جريث): ومن قال إنكِ ستحكمينهم كحورية؟

(درة) كماذا إذاً؟!

(جريث): كواحدة منهم.. كغرنيق

(درة) وهي تهم بالعوم مبتعدة عن (جريث): لقد اكتفيت من جنونك أيها البشع

لحق (جريث) بـ(درة) والتف حول عنقها فقالت بغضب: ماذا تفعل؟!.. ابتعد عني!

(جريث) وهو يشير بذيله المقطوع للغرب: بعد مسافة من هنا ستجدين تياراً يأخذك للبحر الأزرق

(درة) وهي توجه نظرها بارتياب نحو الاتجاه الذي أشار له (جريث): وماذا يوجد هناك؟

(جريث) وهو يطبق فكه العظمي ويفتحه: ملوك الجن..

(درة): ملوك الجن؟

(جريث): نعم.. وهم وحدهم من سيمكنونك من حكم الغرانيق

بقيت (درة) تحدق بالطريق بصمت حتى تحدث (جريث) مرة

أخرى قائلاً: أعدك بأنكِ ستحكمين البحور السبعة وستقتصين من الملك المتهالك (عقيق).. أعدك يا (أمفرتيت)

(درة) باستغراب: (أمفرتيت) من؟

(جريث): منذ الآن أنتِ (أمفرتيت) ملكة الغرانيق..

(درة) مبتسمة: جنونك بدأ يعجبني أيها البشع

(جريث): ماذا تنتظرين إذاً يا مولاتي؟

حركت (درة) ذيلها وعامت بالاتجاه الذي أشار إليه (جريث) والمؤدي للتيار الذي سيقودها للبحر الأزرق..


ذات الوشاح الأخضر

فتاة تشق غابة كثيفة يتبعها رجلٌ يكبرها عمراً وحجماً يشوح بسيفه لقطع أغصان النباتات والأشجار حوله ليمشي بسهولة وليرى الطريق أمامه بشكلٍ أوضح. تقف الفتاة وتمسح بوشاحٍ أخضر كانت تربط به شعرها الأحمر عرق جبينها المتراكم والمتصبب ثم تُخرج خريطة جلدية من جيب صدرها وتفرشها أمامها وتمعن النظر فيها. يدنو منها الرجل ويُطل من خلف كتفها ويشاركها النظر في الخريطة قائلاً: لِمَ توقفنا يا (بلشون)؟

(بلشون) وهي لا تزال تحدق بالخريطة وتشير بسبابتها لرمزٍ رسم باللون الأحمر عليها: لقد اقتربنا من المكان يا قبطان..

(القبطان): أليس من المفترض أن نتوجه لقمة الجبل كما قلتِ؟.. نحن ما زلنا بعيدين عن الجبل ونور النهار في تناقص والليل سيحل قريباً وسنتعرض للخطر مرة أخرى

(بلشون) تطوي الخريطة وتدسها في جيب صدرها وتنظر أمامها:

يجب أن نجد مصدراً للماء قبلها والرمز يشير لمنبع ماء قريب من هنا

(القبطان): أليس من الأولى أن نختبئ في الوقت الحالي ونترك البحث عن الماء والطعام لاحقاً؟

(بلشون) تستأنف السير: لقد مشينا مسافة طويلة دون ماء وليس من الحكمة أن نبقى يوماً آخر دون أن نشرب

(القبطان) وهو يلحق بها ويلوح بسيفه ليقطع غصن شجرة كانت تعترض طريقه: ماذا عن ذلك الكائن الذي افترس طاقم سفينتي؟

(بلشون) وهي تسير بين الأغصان الكثيفة بجسدها الهزيل: ماذا عنه؟

(القبطان): ألن يهاجمنا؟

(بلشون): هو لا يخرج إلا ليلاً فالنور يزعجه

(القبطان): كيف يزعجه وهو لا يملك أعيناً؟

(بلشون) بسخرية: لمَ لا تسأله عندما تقابله؟

(القبطان) بتجهم: هذا ليس وقتَ مزاح!

(بلشون) تقف وتشير أمامها: فعلاً يجب أن نستغل الوقت للشرب الآن

نظر القبطان حيث كانت (بلشون) تشير ورأى صخرة كبيرة بين الأشجار الكثيفة وكان ينبع من شقين منها شلالان صغيران من الماء يصبان في حوضين أسفل منهما ويجريان في مجرى تحت الأرض كلٌّ على حدة دون أن يختلط ماء مجرى مع الآخر. هرع القبطان جرياً نحو الماء المتدفق وانحنى عند أحد الأحواض الصخرية التي تجمع فيها الماء المتدفق وهم بالشرب. صرخت (بلشون) فيه قائلة: توقف!

(القبطان) وهو يرفع كمية من الماء بين كفيه ويقربها من فمه: ما بك؟.. ألم نقطع كل تلك المسافة كي نشرب؟

(بلشون): الماء ليس صالحاً للشرب

(القبطان) يباعد بين كفيه ليتدفق الماء المجتمع بينهما على الأرض: ماذا؟.. غير صالح للشرب؟ لمَ قطعنا كل هذه المسافة إذاً؟!

(بلشون) تخرج الخريطة من جيبها وتلقي عليها نظرة وتقول: منبع الماء في الخريطة رسم باللون الأحمر وهذا يشير لتحذير ما

(القبطان) وهو ينهض ويقول بغضب: لمَ أتينا هنا إذاً؟!

(بلشون) ترفع نظرها لمنبع الماء ثم تعيده للخريطة عدة مرات ثم تقول: أحد الشلالين مسموم والآخر صالح للشرب..

(القبطان) موجهاً نظره لمنبع الماء: وكيف سنعرف أيهما صالح للشرب؟

(بلشون): هذا متروك لنا لنكتشفه

(القبطان) بسخط: لَم كل هذا التعقيد؟!

(بلشون) وهي تعيد الخريطة لجيبها: هل كنت تظن أن الوصول للكنز سيكون بتلك السهولة؟

(القبطان) رافعاً نظره للأعلى محاولاً النظر بين أغصان الأشجار الكثيفة والمتشابكة: الوقت يداهمنا والشمس إلى غروب

(بلشون) تشير لمنبع الماء وتقول بصوت خفيض: انظر!

وجه القبطان نظره للمنبع ورأى طائراً صغيراً يحط على أحدهما ويبدأ بالشرب..

(القبطان): ماذا؟ لا يوجد شيء..

(بلشون): هذا الطائر سيخبرنا أي المنبعين آمن

(القبطان): كيف؟

حلق الطائر بعيداً بعد ما أخذ بعض الرشفات بمنقاره من المنبع الأيسر وحط على غصنٍ في شجرة قريبة وبدأ يغرد..

(بلشون) بارتياح: يبدو أن الكائنات هنا تعرف أي المنابع هو المسموم

(القبطان): هل أشرب الآن؟

(بلشون): نعم.. لنأخذ كفايتنا من الماء ونعبئ قربتنا ونتوجه لقمة الجبل بسرعة

سار القبطان نحو المنبع الأيسر وجثا على ركبتيه وأخذ حفنة من الماء وهم بشربها. قبل أن يتذوقها قفزت (بلشون) عليه وطرحته أرضاً فدفعها بغضب وصرخ فيها قائلاً: ماذا تفعلين؟!

(بلشون) وهي ملقاة على الأرض بجانبه وتشير خلف القبطان: لا أنصح بالشرب من هذا المنبع..

وجه القبطان نظره حيث كانت (بلشون) تشير ورأى الطائر الصغير على الأرض يتلوى ويرتجف حتى توقف عن الحركة تماماً.

(القبطان) بتوتر: ما الذي حدث له؟

(بلشون) وهي تنهض: لقد شرب من المنبع المسموم

(القبطان): هل يعني ذلك أن المنبع الآخر هو الآمن؟

(بلشون) تنظر للمنبع الأيمن بتوجس: نعم على ما أظن

(القبطان): جربي أنت.. أنا لست مستعداً للمخاطرة بحياتي مرتين

(بلشون) بتهكم: أليست الشجاعة والإقدام للرجال؟

(القبطان) وهو ينهض: ألم تقولي بأنك تريدين أن تكوني بحاراً بين الرجال؟.. هذه فرصتك لتثبتي بأنكِ جديرة بذلك

(بلشون) تسير نحو المنبع الأيمن وتغرف بكفها بعض الماء: أنا قرصان ولست بحاراً..

شربت (بلشون) الماء والقبطان يراقبها بقلق..

(بلشون) تحدق بشلال الماء الصغير وتبتسم: هيا أيها البحار الشجاع كي نعبئ القربة ونأخذ كفايتنا قبل غروب الشمس

بعد ما انتهى الاثنان بدأا بالمسير نحو قمة الجبل الكبير الذي توسط الجزيرة وخلال سيرهما قال القبطان: ما الذي يوجد في قمة ذلك الجبل؟

(بلشون): كهف..

(القبطان) بتعجب: كهف؟.. ولمَ نتوجه لذلك الكهف؟ هل الكنز هناك؟

(بلشون) وهي تكسر بيدها أحد الأغصان الكبيرة التي اعترضت طريقها: إيجاد الكنز لن يكون بتلك السهولة

(القبطان): ماذا إذاً؟ لمَ نسير للكهف؟

(بلشون): لأنه المكان الوحيد الآمن على الجزيرة خلال الليل

(القبطان) وكيف تيقنتِ من ذلك؟

(بلشون): من خط الخريطة رسم قطّاً بجانب الكهف والقط فأل طيب عند القراصنة

(القبطان): قلتِ بأنك ابنة لقرصان.. من هو أبوك؟

صمتت (بلشون) ولم ترد وأكملت السير بصمت..

(القبطان) وهو يعاود السؤال: لم تجيبيني.. من هو أبوك؟

(بلشون) تشير أمامها: لقد وصلنا..

نظر القبطان حيث كانت (بلشون) تشير ورأى فوهة كهف أسفل جبلٍ كبير..

(القبطان): لقد وصلنا قبل الغروب.. ماذا تقترحين أن نعمل الآن؟

(بلشون) وهي تسير نحو الكهف: أن نؤمن مكان نومنا

(القبطان): ماذا عن الطعام؟

(بلشون): النار أهم

(القبطان): النار؟

(بلشون) وقد اقتربت من الكهف: يجب أن نشعل ناراً عند مدخل الكهف ويجب أن نتحقق من أن لا شيء يقيم داخله

(القبطان): لقد قلتِ للتو إن المكان آمن

(بلشون) وهي تنظر داخل الكهف المظلم: قد يكون ملاذاً لغيرنا لذا يجب أن نتحقق من أنه خاوٍ

(القبطان): وكيف سنتحقق من ذلك؟

(بلشون): لنجمع أكبر كمية نستطيع من الأخشاب والأغصان الجافة بسرعة قبل أن تغيب الشمس..

بدأ الاثنان بجمع المواد اللازمة لإضرام النار وقبل المغرب بدقائق أشعلا ناراً كبيرة عند مدخل الكهف وجلسا بجانبها.

(القبطان): هل تظنين أن هذه النار سوف تبقى مشتعلة للصباح؟

(بلشون) تلقي نظرة على كومة الأغصان والأخشاب التي جمعاها: نعم فمعنا ما يكفي لإطعامها لكن يجب أن نجمع أكثر غداً

(القبطان): هل تخليتِ عن فكرة استكشاف الكهف؟

(بلشون) تنظر خلفها للكهف المظلم: لا.. سوف ندخل إليه بعد قليل بعد ما نُعد شعلة لكل واحدٍ منا

(القبطان): الشعل لن تدوم طويلاً فنحن لا نملك أي أقمشة أو زيت لنطيل في عمرها

(بلشون) وهي تنهض: لا نحتاج لذلك فلقد أحضرت بعض أغصان شجرة تحترق ببطء وسوف توفر لنا وقتاً لا بأس به داخل ذلك الكهف

أخذت (بلشون) غصنين كبيرين وأشعلتهما ومدت أحدهما للقبطان وهي تقول: هل أنت جاهز أيها القبطان؟

(القبطان) وهو يتناول الغصن المشتعل: نعم

بمجرد أن أخذ الاثنان بضع خطوات داخل الكهف توقفت (بلشون) ونظرت لشعلتها التي تحركت بتراقص للأمام..

(القبطان): لمَ توقفتِ؟

(بلشون) وعينها لا تزال تحدق بالشعلة المتراقصة: انظر لشعلتينا

(القبطان) وهو ينظر لشعلته: ما بهما؟

(بلشون): الكهف به تيار هواء قوي يسحب الشعلة للداخل

(القبطان): معنى ذلك أن الكهف مفتوح من الجهة الأخرى

(بلشون) وهي تستأنف المسير للأمام: بالضبط..

سار الاثنان لمسافة ليست بالقصيرة داخل الكهف المظلم وعندها بدأ الطريق يضيق شيئاً فشيئاً لدرجة أنهما اضطرا لرفع شعلتيهما للأعلى في محاولة للمرور بين الصخور شبه المتلاصقة.

(القبطان): ما رأيك أن نعود فهذا الكهف يبدو خاوياً وليس به شيء يستحق الاستكشاف

(بلشون) وهي رافعة لشعلتها وتدس جسدها الهزيل بين صخرتين: لن نتوقف الآن

(القبطان) يتوقف ويقول: لا يمكنني تجاوز هذه النقطة فجسمي ليس صغيراً كجسمك

(بلشون) من مكانٍ بعد ذلك المضيق: سأكمل أنا وابقَ أنت بانتظاري

(القبطان): عودي ولا تخاطري بحياتك

لم ترد (بلشون) على القبطان واستمرت بالتعمق أكثر في الكهف المظلم وبدأ وميض شعلتها يخفت تدريجيّاً حتى اختفى تماماً وبقي القبطان وحده ممسكاً بشعلته ينظر في الظلام أمامه وهو يقول بصوت مرتفع: هل وجدتِ شيئاً!

لم يسمع القبطان سوى صدى ندائه يرتد عليه عدة مرات فأحس بالتوتر والخوف..

بعد دقائق من المكوث وحده سمع القبطان صوت (بلشون) من بعيد وهي تقول له بصوت عالٍ: لا تجزع أيها القبطان مما هو قادم نحوك!

(القبطان) وهو يقرب شعلته من المدخل الضيق ويقول: ماذا تقصدين؟!

بمجرد أن أكمل القبطان جملته اندفع نحوه سربٌ كبير جدّاً من

الخفافيش أفزعه وأطاح به أرضاً. استمر سرب الخفافيش في العبور فوق القبطان الذي احتضن نفسه رعباً وبدأ بالصراخ وشعلته التي وقعت من قبضته تشتعل أمامه. عبر السرب بالكامل وتوقف القبطان عن الصراخ وبدأ يسمع صوت ضحكات (بلشون) آتية من الداخل فالتقط شعلته بغضب وصرخ فيها قائلاً: ما المضحك في الأمر؟!

بعد أن ارتد صوت صراخ القبطان إليه على هيئة صدى عدة مرات قالت (بلشون) وقد كان من الواضح أنها لا تزال تضحك: هل أرعبتك الخفافيش أيها القبطان؟!

(القبطان) وهو يهم بالعودة غاضباً: ابقي وحدك في هذا المكان!

(بلشون) وقد بدا صوتها أقرب من السابق ونبرة الضحك في كلامها: لا لا انتظر سوف آتي معك!

خرجت (بلشون) من الفتحة الضيقة وهي تبتسم ورفعت شعلتها في وجه القبطان قائلة: ما بك؟ لمَ ارتعبت هكذا؟

(القبطان) بتجهم: أنا لستُ قرصاناً عديم الإحساس مثلك!

(بلشون) وهي تضحك وتتجاوز القبطان سيراً عائدة لمخرج الكهف: حسناً لنعد قبل أن يخرج فأرٌ ويوقف قلبك

وصلت (بلشون) قبل القبطان لمدخل الكهف وبمجرد وصولها رمت شعلتها وجرت مسرعة والقبطان خلفها يرى ما يحدث فنادى عليها: ما بك؟! لمَ تجرين هكذا؟!

رأى القبطان بعد وصوله (بلشون) وهي تحمل الأغصان التي جمعاها على عجالة وتطعمها للنار التي أوشكت على الخمود وهي تصرخ: النار كادت تنطفئ!

(القبطان) يراقبها ببرود وهو ممسكٌ بشعلته: وإذا انطفأت؟.. ألسنا بمأمن هنا في الكهف دونها؟

(بلشون) وهي تراقب بارتياح النار التي ارتفعت ألسنتها مرة أخرى: أنت لا تفهم..

(القبطان) يرمي شعلته في النار المتأججة: أفهم ماذا؟

(بلشون) تجلس أمام النار وتُخرج الخريطة من جيبها وتفرشها أمامها: هناك أشياء أخطر من الكائنات التي نخشاها ليلاً والنار فقط هي العائق لها من الدخول علينا

(القبطان) يجلس أمام النار وبجانب (بلشون): متى ستتوقفين عن التحدث بالألغاز وتبدئين بالشرح لي عن ماهية هذا المكان والأخطار التي يضمها؟

(بلشون): أنا لم أكن صادقة معك تماماً

(القبطان): ماذا تقصدين؟

(بلشون): أنا أعرف عن الجزيرة الكثير قبل قدومي إليها

(القبطان) بتعجب: كيف؟

(بلشون) وهي تزفر وتعيد الخريطة لجيبها: أنا ابنة القبطان (جنكس) أكبر قرصان عرفته البحور السبعة..

(القبطان) بوجه مصدوم: القرصان الذي رسم هذه الخريطة؟!

(بلشون): نعم وأنا هنا لاستعادة حقي في كنزه

(القبطان) بتجهم: كنزه؟! لقد جمعه بالسرقة ونهب السفن لأعوامٍ طويلة!

(بلشون) بتهكم: وهل كان سعيك وراء كنزه لإعادته لأصحابه؟

سكت القبطان وأشاح بنظره للنار المشتعلة بحواجب معقودة..

(بلشون): كلنا لصوص هنا فلا تستشرف الآن أيها البحار..

(القبطان): معنى ذلك أنك كنتِ ضمن طاقمه وتعرفين مكان الكنز

(بلشون) وهي سارحة في الغابة الكثيفة في الأفق: أخبرتك سابقاً بأن أبي مثل غيره من البحارة يتشاءم من النساء في البحر وأنا لم أكن مستثناة من تلك الخرافة

(القبطان): كيف أصبحتِ قرصاناً إذاً؟

(بلشون): منذ ولادتي وأبي ساخط على أمي لأنها لم تنجب له الابن الذي تمناه وهجرها منذ أن علم بأنها أنجبت أنثى ولم ترَه مرة أخرى لذا ربتني أمي كالفتيان وحاولت بشتى الطرق اقتلاع أنوثتي من جذورها وقد نجحت. لم تحدثني أمي قط عن أبي وأخبرتني فقط بأنه بحار التقت به مرة واحدة في حياتها عندما كانت تعمل في أحد المواخير لكن وبعد مرضها وإحساسها بدنو أجلها اعترفت لي بكل شيء وأخبرتني بأني ابنة القرصان (جنكس) وكنت وقتها لم أسمع عنه كثيراً ولم تعطني شيئاً يدلني عليه سوى هذا الوشاح الأخضر الذي أربط به شعري القصير وقالت بأن أبي لو رآه فسوف يتذكرها ويتذكرني..

(القبطان): وماذا فعلتِ بعد وفاتها؟

(بلشون): أمضيت معظم حياتي عند الموانئ أتعلم كل ما أستطيع عن البحر والإبحار ولم يكن أحدٌ من الذين كنت أعمل معهم يعرف بأني فتاة. كنت أنتظر اليوم الذي أبدأ فيه الإبحار مع أي طاقم لأن شغفي للبحر كان كبيراً ورغبتي في العيش بين أمواجه تفوق أي شيء آخر رغبت به من قبل

(القبطان): ومتى تحقق لكِ ذلك؟

(بلشون): أبحرت أول مرة مع القبطان (غول) أحد القراصنة المشهورين في البحر الأسود وأمضيت سنين ضمن طاقمه وترقيت تدريجيّاً حتى أصبحت نائبة له لكن عندما كشف أمري بأني لست رجلاً طالبه رجاله بقتلي وألقوا اللوم علي لكل خسارة خسروها بالماضي

(القبطان): لأنكِ كنتِ أنثى؟

(بلشون) وهي تبتسم بحسرة: وشعري أحمر أيضاً.. ذات الشعر الأحمر، نذير الشؤم كسماءٍ حمراء تُطل على بحارة في عرض البحر

(القبطان): من المؤلم أن تضطر لطمس هويتك لإرضاء من حولك..

(بلشون): وأن تحاسب على ذلك أيضاً

(القبطان): كيف كشفوا أمرك؟

(بلشون): كنت أخفي معالم الأنوثة من جسدي بأن أتعمد عدم تناول الطعام كثيراً كي يصاب جسدي بالهزال.. كنت أربط صدري بوثاق ضيق لأبدو كالرجال لكن عندما أثار أحد البحارة موضوع عدم اهتمامي بأحاديثهم المتعلقة بالنساء تحولت ملاحظته لهوس بين البحارة وانتهى ذلك الهوس بانكشاف حقيقتي

(القبطان): ولِمَ لم تتظاهري بالاهتمام؟

(بلشون): ليس من العار أن لا تهتم لكن من العار أن تتصنع الاهتمام.. وأنا لا أجيد التصنع

(القبطان): ألا يعتبر تظاهرك بأنكِ رجل تصنعاً؟

(بلشون): أنت تخلط بين التصنع والتظاهر

(القبطان): لا أرى فرقاً بينهما

(بلشون): ولن تراه لأنك لم تمر بما مررت به

(القبطان): ماذا عن اهتمام غيرك بكِ؟.. هل تكرهين ذلك أيضاً؟

(بلشون): اهتمام بعض الناس مؤذٍ..

(القبطان): أنا أهتم لكثير من الأمور وهذا واجبي كقبطان مسؤول عن أرواح طاقمي

(بلشون): لكنك تبالغ أحياناً

(القبطان): ماذا تقصدين؟

(بلشون): لم أبحر معك كثيراً لكني لاحظت أنك تهتم بالكثير من التفاصيل الثانوية

(القبطان) بثقة: وأنا أفتخر بذلك

(بلشون) ببسمة ساخرة: المبالاة المفرطة في كل شيء نوعٌ من الابتلاء..

(القبطان): لا أتوقع من قرصانة مثلك أن تفهم معنى المسؤولية

(بلشون): تركتها لك ولغيرك..

(القبطان): حسناً دعينا من هذا الأمر.. ماذا فعل القبطان عندما طالبوه بقتلك؟ لا أعتقد أنه نفذ ما طلبه منه طاقمه وإلا لما كنتِ أمامي اليوم

(بلشون) وهي تبتسم بحزن: لا.. ربطني رجاله وهموا بإلقائي في البحر خلال توجهنا لأحد الموانئ في البحر الأخضر لكن القبطان استوقفهم وطلب أن يلقي بي بنفسه

(القبطان): لماذا؟

(بلشون): قبل أن يدفعني من فوق السفينة التي أبحرت معه عليها لسنين طويلة همس في أذني وقال "إذا كان قدرك أن تنجي فستنجين.."

(القبطان): وكيف نجوتِ وأنت مقيدة؟

(بلشون): قبل أن يدفعني القبطان (غول) للماء حرر قيد معصمي خفية بخنجره

(القبطان): كم كنتِ تبعدين عن اليابس؟

(بلشون): أياماً وكانت فرص نجاتي معدومة لكن..

(القبطان): لكن ماذا؟

(بلشون): سحبني شيء للأسفل بقوة..

(القبطان): قرش؟

(بلشون): لا أعرف فقد فقدت الوعي عندما استنشقت بعض الماء

(القبطان): كيف نجوتِ إذاً؟

(بلشون): معجزة إلهية على ما أظن.. المهم أني نجوت واستيقظت على أحد السواحل والأمواج تضرب أقدامي وأنا ممددة على الرمال ولحسن حظي أن ميناء (بردوسا) كان قريباً مني ووقتها كنت في الخامسة والعشرين من عمري وأملك من المهارة ما مكنني من الالتحاق بطاقمٍ آخر في وقتٍ قصير

(القبطان): قصتك غريبة

(بلشون): وتزداد غرابة

(القبطان): كيف؟

(بلشون): كان الطاقم الذي انضممت له مجموعة من البحارة البسطاء وكانت تجارتهم محصورة في نقل السكر والتبغ من ميناء لآخر وتحصيل قيمة النقل. كان العمل معهم مملًّا ولم يتطلب الكثير لذا كانت أحاديثهم الجانبية كثيرة وكان من بينهم بحار كبير في السن يملك الكثير من القصص المثيرة التي رواها بشكل مستمر وأعتقد أن القبطان عينه ضمن طاقمه لذلك الغرض فقد كانت قصصه شائقة وتجعل الوقت يجري كالريح.

(القبطان): وما الغريب في الموضوع؟

(بلشون): عندما كان القبطان يذهب للنوم ليلاً في غرفته الخاصة كان ذلك البحار العجوز يجتمع بنا ويروي لنا قصصاً عجيبة عن البحر والبحارة والقراصنة ومخلوقات البحر الغريبة التي رآها بعينه وسمع عنها عندما كان بحاراً صغيراً.. بالرغم من أن قصصه كانت ممتعة إلا أنني لم أصدق معظمها

(القبطان): لماذا؟

(بلشون): كان يتحدث عن الغرانيق والحوريات في بعض قصصه ويذكر مخلوقات غريبة لم أكن مؤمنة بوجودها لكن عندما كان يتحدث عن القراصنة في قصصه كنت أنصت له باهتمام وكنت أتعلم منه الكثير من عاداتهم وأساليبهم وكنت مؤمنة بكل ما يقول.

(القبطان): ألم تكوني قرصانة لسنوات مع القبطان (غول)؟.. ألم تتعلمي عاداتهم خلال فترة إبحارك معه ومع طاقمه؟

(بلشون): القراصنة أنواع و(غول) كان قرصاناً تقليديّاً ومعظم طاقمه من الشباب القليلي الخبرة

(القبطان): كنتِ تريدين تعلم أساليب القراصنة الكبار مثل أبيك

(بلشون): نعم وكنت أتوق للإبحار مع طاقم خبير مثل طاقمه

(القبطان) مبتسماً: العاطفة هي أسوأ شيء يمكن أن يصيب العقل..

(بلشون): ماذا تقصد؟

(القبطان): حبك لأبيك بالرغم من هجرانه لكِ جعلكِ لا تفكرين بشيء سوى أسلوب حياته والرغبة في محاكاته.. وكما طمست أمك أنوثتك طمس هو استقلالية تفكيرك

(بلشون): غير صحيح

(القبطان): تعاطفك مع أبيك لكونه قرصاناً جعلك تصدقين قصص القراصنة وتكذبين قصص الحوريات والغرانيق التي رواها ذلك العجوز

(بلشون): كذبتها لأنها خيالية

(القبطان): وهل ما هاجمنا عند الساحل والتهم معظم طاقمي خيال؟

(بلشون) وهي ترمي بغصن جاف في النار: وقتها كنت أظن أنها خيال..

(القبطان): وما الذي غير قناعاتك؟

(بلشون): نفس الذي غير قناعاتك.. عندما التهمت السايرينات طاقمك

(القبطان): لكن لا تنكري أن أباك يشغل بالك كثيراً ويؤثر في سلوكك

(بلشون): أحاول جاهدة أن لا أفكر به دائماً

(القبطان) مبتسماً: غالباً من يتعمد تجاهلك هو في الحقيقة أكثر المنشغلين بك..

(بلشون) بتجهم: إلى ماذا ترمي؟!

(القبطان) ضاحكاً: حسناً انسي الأمر وأخبريني كيف علمتِ بأمر الخريطة والكنز؟

(بلشون): في إحدى الليالي وخلال اجتماعنا حول ذلك البحار العجوز ليروي لنا إحدى قصصه تحدث عن القرصان (جنكس) أعظم قرصان عرفته البحور السبعة.. عندما سمعت اسم أبي اتسعت عيناي وتبسم ثغري سعادة بالرغم من قسوته علي وعلى أمي في الماضي.. كنت متشوقة للسماع عنه وعن حياته من ذلك البحار

(القبطان): وماذا قال؟

(بلشون) وهي سارحة في النار مبتسمة: أخبرنا عن غزواته البحرية وعن ظلمه وطغيانه وكيف كان يسفك الدماء ولا يرحم أحداً..

(القبطان) ينظر لها بتعجب: وماذا أيضاً؟

(بلشون): أخبرنا بأنه كان يحول غنائمه لذهب وفضة ولآلئ كي يقل حجمها ويسهل عليه حملها في سفينته الضخمة أينما ذهب وبعد ما امتلأت مخازن سفينته قرر دفن ذلك الكنز في مكان مجهول لا يعرفه أحد

(القبطان): إذاً فهذا هو كنز القبطان (جنكس)

(بلشون): أخبرنا البحار العجوز بأن أبي توقف عن القرصنة بعد دفن كنزه وقتل طاقمه بالكامل

(القبطان): قتلهم لأنهم ساعدوه في دفنه ولا يريد أحداً منهم أن يعود لإخراجه؟

(بلشون): نعم وبقيت الخريطة معه حتى مات مقتولاً وسُرقت منه في أحد المواخير في ميناء «بردوسا»

(القبطان): لقد بقيت خريطة كنز (جنكس) أسطورة يتناقلها البحارة

ولم يكن أحد يؤمن بوجودها ولقد بحثت عنها كثيراً واشتريت الكثير من الخرائط المزورة التي ادعى أصحابها أنها الحقيقية حتى حصلت على هذه الخريطة

(بلشون): نعم فالكثير زور الخريطة ليحتال بها على البحارة السذج مما جعل إيجاد الخريطة الأصلية صعباً جدّاً؟

(القبطان): فقدت الأمل بإيجاد الخريطة الحقيقية خاصة وأن الخرائط المزورة كانت تزداد يوماً بعد يوم لدرجة أن كل ميناء أحط فيه أجد العشرات يعرضونها للبيع وبمبالغ زهيدة

(بلشون): كيف علمت إذاً بأن هذه الخريطة كانت الحقيقية؟

(القبطان): المصادفة والحظ الجيد كانا السبب.. التقيت بصديقٍ قديم لي يعمل في تجارة التبغ وكنا نتحدث عن المشكلات التي تواجهها سفنه مع القراصنة وجرنا الحديث للتحدث عن أبيك وكيف كان أسوأ قرصان ألحق الضرر بتجارته ولم يتخلص منه إلا عندما وقع معه عقد جباية

(بلشون): عقد جباية؟

(القبطان): نعم.. ألم تكوني تعرفين بأن أباك كان لا يهاجم السفن

التي تدفع له الجباية؟.. هل تظنين أنه كان يجمع أمواله كلها بالقرصنة فقط؟.. لقد كان يعطي تصاريح مرور لمن يدفع قيمتها وتلك التصاريح كانت تحمي السفن حتى من القراصنة الصغار الذين لا يجرؤون على سرقة السفن التي توقع عقود جباية مع (جنكس)

(بلشون): وما علاقة تلك العقود بمعرفتك طريق الخريطة الأصلية؟

(القبطان) مبتسماً: بعد توقف (جنكس) عن القرصنة لم يعد لتلك العقود قيمة ومعظمها أتلف لكن صديقي تاجر التبغ لم يتلف العقد الخاص به فطلبت منه أن يبيعه لي مقابل مبلغٍ لم يستطع أن يرفضه

(بلشون): ما زلت لا أفهم سبب رغبتك في اقتناء عقد جباية كتبه أبي بخط يده

(القبطان): لقد ذكرتِ السبب بنفسك للتو.. العقد مكتوب بخط يد من رسم الخريطة وذلك الخط هو المفتاح كي أتحقق من كل خريطة تُعرض علي فإذا تطابق الخط علمت بأنها الخريطة الأصلية وهذا ما حدث

(بلشون) بانبهار: أنت أذكى مما ظننت أيها القبطان

(القبطان): وجدت الخريطة عند متسول في ميناء «فقانزا» وكان

يعرضها بمبلغٍ زهيد ظنّاً منه أنها مزورة.. لكن السؤال الذي لم أجد له إجابة حتى الآن هو كيف علمتِ أنت بأني أملك الخريطة الأصلية وأني متوجه للجزيرة لاستخراج الكنز

صمتت (بلشون) وأنزلت رأسها مبتسمة ولم تتفوه بكلمة واحدة..

(القبطان): يجب أن أعرف قبل أن نكمل البحث عن الكنز..

(بلشون): الشائعات حول أبي أشارت إلى أنه قضى أيامه الأخيرة في ميناء «بردوسا» وأن الخريطة سُرقت منه هناك لذا تركت الطاقم الذي كنت أبحر معه وبقيت في الميناء أبحث عنها وصدمت مثلك بعدد الخرائط المزورة والمعروضة للبيع في كل مكان وبدأت أشك في وجودها من الأساس حتى رست سفينتك عند الميناء ونزل مرشدك مع بعض أفراد طاقمك ليتزودوا بالمؤن.

(القبطان): لم يكن أحد يعلم وقتها بسر الخريطة سوى المرشد.. هل خانني وفضح أمر الخريطة؟!

(بلشون): لا تظلمه لقد كان ثملاً عندما أخبرني..

(القبطان): ماذا؟

(بلشون): لم أخبرك بأني عملت كساقية في أحد المواخير بميناء

«بردوسا» كي أجمع قوت يومي وبالمصادفة دخل مرشدك مع رجالك للماخور وبدؤوا يحتسون الخمور بشراهة وكأنهم قد أتوا من الصحراء وليس من البحر

(القبطان) مبتسماً بحسرة: وخلال ثمالته تحدث عن الخريطة..

(بلشون): ليس تماماً.. عندما انتهى المرشد ورجالك من الشرب خرجوا جميعاً واقترب هو مني كي يدفع لي قيمة ما احتسوه لكنه لم يكن يملك المال الكافي فحاول وهو ثمل أن يعدني بالتسديد بعد أن يصبح ثريّاً وهذه لم تكن أول مرة يحاول فيها ثمل التهرب من دفع الحساب وفي العادة أطلب من الحراس التصرف معه لكنه قال شيئاً دفعني للتروي قليلاً

(القبطان): ماذا قال؟

(بلشون): قال خلال حديثه المشبع بالثمالة:.. «يوكاي»»..

(القبطان): وما المشكلة في ذكر اسم الجزيرة؟

(بلشون) وهي تخلع وشاحها الأخضر وتقلب باطنه ليظهر عليه كلمة «يوكاي»: لا أحد ممن تحدثوا عن الخريطة أو الكنز ذكر هذه الكلمة التي لم أعرف معناها لسنين طويلة وذكر مرشدك لها لم يكن بالمصادفة

(القبطان) مبتسماً: ذلك الأحمق..

(بلشون) وهي تربط شعرها مرة أخرى بالوشاح الأخضر: أقنعته بأن يضمني لطاقمك مقابل أن أتنازل عن قيمة النبيذ الذي احتساه مع بحارتك فوافق بشرط أن لا أخبر أحداً من الطاقم باتفاقنا خصوصاً أنت

(القبطان): إذاً فقصة اجتيازك لاختبارات الإبحار كانت..

(بلشون): نعم.. قصة اخترعها كي يتجنب سخطك..

صمت الاثنان بعد هذا الحوار وحدقا بالنار المشتعلة أمامهما..



أنت قمري الوحيد

أغلق (كوفان) باب المخزن خلفه بسرعة وأسند ظهره له عندما رأى (لج) تقف فوق جثث القراصنة الذين هاجموهم وتلعق دماءهم من على أناملها وقال بتوتر شديد: ماذا فعلتِ؟!

(لج) تمسح ما تبقى من الدماء على قميصها وتقول لـ(كوفان) بهدوء: كانوا يريدون افتراسي فافترستهم..

كان (كوفان) في تلك اللحظة مصدوماً وتيقن من كلام أخيه (طيسل) بأن هذه الفتاة ليست طبيعية وخلال مراقبته لها بتوتر طرق (حربة) الباب بعد ما حرر نفسه والآخرين وقال: ما الأمر يا قبطان؟! هل كل شيء على ما يرام؟!

(كوفان) يضغط بظهره على الباب ليمنع أي أحدٍ من الدخول: نعم! نعم!.. أحتاج دلواً من الماء مع قطعة من القماش بسرعة!

(حربة) من خلف الباب باستغراب: لماذا؟ ما الذي حدث؟

(كوفان) بعصبية: لا تجادلني يا (حربة) ونفذ ما أطلبه منك في الحال!

(لج) وهي تقف والدماء تغطي نصف وجهها وملابسها وتقول بهدوء: ما بك؟ لَم أنت غاضب هكذا؟

(كوفان) يرفع كفه في وجه (لج) بتوتر شديد: ابقي مكانك ولا تتحركي!

طرق (حربة) الباب مرة أخرى..

(كوفان) بعصبية: ماذا تريد؟!

(حربة) بنبرة تعجب: لقد أحضرت لك ما طلبته مني.. ما بك أيها القبطان؟

فتح (كوفان) الباب جزئيّاً ومد يده وأخذ دلو الماء وقطعة القماش ثم أغلقه بسرعة وقال لـ(حربة): لا أحد يدخل علي الآن!.. مفهوم؟!

(حربة) من الخارج باستغراب: ماذا عن القراصنة؟

(كوفان) من الداخل: لقد ماتوا جميعاً!

(حربة) بتعجب شديد: ماتوا؟!.. كيف؟!

لم يرد (كوفان) على (حربة)..

(طيسل) لـ(حربة): أين القراصنة؟

(حربة): لا تسألني فلم أعد أفهم ما يحدث

(أنجر): هل سنبقى هكذا؟ متى سنعاود الإبحار؟

(حربة) يلقي نظرة على سفينة القراصنة الملاصقة لسفينتهم ويقول لـ(كوفان) بصوت مرتفع: هل تأذن لنا أيها القبطان بأن نفتش سفينة القراصنة

(كوفان) بصوت مرتفع من داخل الغرفة: افعلوا ما تشاؤون!

قفز (أنجر) على سطح سفينة القراصنة عندما سمع الإذن من القبطان بذلك ولحق به (حربة) و(طيسل) خلفه يقول متسائلاً: ما الذي يجري؟

(حربة) يتفحص بنظره سطح سفينة القراصنة: فتش السطح أنت وسوف نقوم أنا و(أنجر) بتفتيش القاع

(طيسل): ماذا عن (كوفان)؟

(حربة) وهو يفتح الباب المؤدي لقاع سفينة القراصنة: ألا ترى أنه مشغول الآن؟

نزل (حربة) مع (أنجر) لقاع سفينة القراصنة تاركين (طيسل) خلفهما في حيرة مما يجري..

لم ينفذ (طيسل) ما طلبه (حربة) منه وعاد لسفينتهم وطرق باب المخزن على (كوفان) فرد عليه بعصبية يخالطها التوتر: أخبرتكم بأن لا تأتوا!

(طيسل): البقية في سفينة القراصنة وأنا هنا وحدي!.. هل يمكنك إخباري بما يحدث؟!

(كوفان) من خلف الباب: (طيسل)؟!.. هل أنت وحدك؟!

(طيسل): نعم يا أخي.. ما الأمر؟!

فتح (كوفان) الباب وشد (طيسل) من ذراعه وأغلق الباب خلفه..

(طيسل) وهو يشاهد ما شاهده (كوفان) سابقاً ويفتح فمه مندهشاً: ما هذا؟

(كوفان) وملابسه ملوثة ببعض الدماء: لقد حاولت تنظيف الفتاة قدر استطاعتي لكن ملابسها ستفضحها

(طيسل): تفضح ماذا؟

(كوفان): لا وقت للشرح.. هيا عاوني على التخلص من جثث القراصنة الممزقة برميها في البحر قبل أن يراها البقية!

(طيسل) وعينه على (لج) المبتسمة بشكل غريب: لكن..

(كوفان) ينهر أخيه: هيا بسرعة قبل أن يعودا!

في تلك الأثناء كان (حربة) و(أنجر) في قاع سفينة القراصنة يفتشانها..

(أنجر): هل وجدت شيئاً يا (حربة)؟

(حربة) وهو يقلب برميلاً مليئاً بالتفاح: لا   لا شيء ذا قيمة

(أنجر): أي نوع من القراصنة هؤلاء؟

(حربة): قراصنة مفلسون فيما يبدو

(أنجر) وهو يشير لصندوق كبير في أقصى المكان: هل فتشت ذلك الصندوق؟

(حربة) موجهاً نظره للصندوق: لا

توجه الاثنان للصندوق وفتحاه وكان محتواه سبباً لابتهاجهما فقد وجدا فيه كمية كبيرة من العملات الذهبية والفضية.

(أنجر) وهو يلتقط إحداها ويعض عليها بأسنانه: لا يبدو أنهم مفلسون كما قلت

(حربة) يغرس أصابعه في كومة العملات: هذا المال سيغنينا جميعاً عن الإبحار مرة أخرى

(أنجر) يرمي بالعملة التي التقطها في الصندوق ويغلقه: يغنينا أنا وأنت فقط..

(حربة): ماذا تقصد بهذا الكلام؟ هل تنوي خيانة القبطان؟

(أنجر): فكر يا (حربة).. حصتنا ستكون أكبر إذا قسمناها على اثنين فقط.. هل تعتقد أن القبطان سيشاركنا هذا الكنز؟ سوف يرمي لنا ببعض القطع ويحتفظ هو بالبقية

(حربة): (كوفان) لن يفعل ذلك ولو فعل فهذا من حقه فهو القبطان وله حصة أكبر من غيره

(أنجر) بعصبية: أنت أحمق!.. هل تظن أن هناك أحداً سيتقاسم كنزاً كهذا مع أفراد طاقمه؟!

(حربة): انظر لنفسك قبل أن تنظر حولك..

(أنجر) وهو يستل خنجره من غمده: لن أسمح لك بتضييع هذه الفرصة علي!

(حربة) يضع يده على خنجره دون إخراجه: لا تكن أحمق فلست نداًّ لي

(أنجر) بعصبية: لن أتنازل عن حقي في هذا الكنز!

(حربة): يمكنك الاحتفاظ به لو أردت لكنك لن تعود معي للسفينة

(أنجر): لن أعود!.. سأبحر بهذه السفينة وحدي!

(حربة): لن تستطيع قيادة سفينة بهذا الحجم وحدك

(أنجر) وقد أدرك أن (حربة) محق فيما يقول وعاد لمحاولة إقناعه: فكر يا (حربة) ولا تكن مغفلاً.. القبطان لن يعطينا شيئاً من محتوى الصندوق وسيتقاسمه مع أخيه فقط

(حربة) وهو يتوجه للسطح: لا يوجد ثمن كافٍ في هذا الصندوق كي أغدر بالقبطان..

(أنجر) وهو يصرخ في (حربة): أنت أحمق ولا تحب الخير لنفسك!

(حربة) قبل أن يصعد السلم المؤدي للسطح:

حب الخير لنفسك يختلف عن حب الخير لها وحدها..

صعد (حربة) للسطح وتوجه مباشرة لسفينتهم ورأى (كوفان) و(طيسل) واقفين بانتظارهما وعلى وجوههما نظرات غريبة.

(حربة) بتوجس: ما الأمر؟

(كوفان): لا شيء.. هل وجدتم شيئاً في سفينة القراصنة؟

(أنجر) وهو يقفز على سطح السفينة ويرمق (حربة) بنظرة استياء: نعم.. وجدنا صندوقاً

(طيسل): صندوق؟ ما محتواه؟

(حربة): لم نفتحه.. وأتينا لإخبار القبطان..

(كوفان): حسناً أحضروه إلى هنا ولنفتحه معاً

قوطع ذلك الحوار بخروج (لج) من الغرفة وملابسها مغطاة بالدماء التي بدأت تجف وعندما رآها (حربة) تعجب وقال: ما الذي حدث لها؟

(طيسل) يندفع نحو (لج) ويمسك بها ويعيدها للمخزن ويغلق الباب خلفها..

(كوفان) متداركاً الموقف: لقد اقتتل القراصنة فيما بينهم عندما دخلوا على الفتاة وتلطخت بدمائهم..

(أنجر) باستغراب: اقتتلوا؟

(كوفان): نعم

(حربة): معنى ذلك أن واحداً منهم بقي في الأخير

(طيسل): نعم وقد قتلته الفتاة

(أنجر) بتوجس وتشكيك: فتاة تقتل قرصاناً قاتل زملاءه جميعاً وبقي حتى النهاية؟

(كوفان) لـ(أنجر): هل نسيت ما فعلته تلك الفتاة بك؟ ألم تقل أنت بلسانك بأن قوتها غير طبيعية؟

(حربة): وأين جثثهم؟

(طيسل) بتوتر: رميناها في البحر

صمت (حربة) مع (أنجر) لكن نظراتهما لـ(كوفان) و(طيسل) كانت مليئة بالشكوك..

(كوفان) محاولاً إنهاء التوتر في الأجواء: هيا أحضروا الصندوق

لنرى محتواه ولنبحر من هنا بسرعة فالريح ستنشط قبل الفجر بقليل

عاد (حربة) و(أنجر) لسفينة القراصنة وتبعهما (طيسل) بأمرِ من (كوفان) وبعد دقائق عادوا وهم يحملون الصندوق وفتحوه أمام القبطان الذي تفاجأ وانبهر من محتواه وقال: ما هذه الغنيمة العظيمة؟!

(حربة): ماذا ستفعل بها أيها القبطان؟

(كوفان) وهو ينحني ويحمل حفنة من العملات الذهبية والفضية بين كفيه: سنوزعها بالتساوي فيما بيننا بالطبع

(حربة) ينظر لـ(أنجر) بنظرة حادة..

مع أول هبوب للريح فرد الطاقم أشرعتهم وحرروا سفينتهم من الأبازيم العالقة بها وأبحروا للساحل وقبل وصولهم وزع (كوفان) غنيمتهم من القطع الذهبية والفضية عليهم بالتساوي فقال (حربة) وهو يربط حصته في خرقة أعدها من شراع السفينة الاحتياطي: لاحظت أيها القبطان أنك وزعت الكنز على خمس حصص.. لمن الحصة الخامسة؟

(كوفان): للفتاة فهي لها حق في الكنز مثلنا..

(حربة) مبتسماً: هل تنوي الإبحار مرة أخرى أيها القبطان بعد هذه الغنيمة؟

(كوفان) وهو يناول (أنجر) حصته: لَمَ السؤال يا (حربة)؟

(حربة): لأنه سيكون شرفاً لي أن أبحر مع قبطان نزيه مثلك مرة أخرى

(كوفان) وهو يمد لـ(طيسل) حصته: لا أعرف فهذا الكنز كفيل بأن يغنيني عن الإبحار مرة أخرى

(حربة) باسماً: أتفهم ذلك لكن لو قررت يوماً الإبحار لأي مكان تعرف أين تجدني

(أنجر) مقاطعاً حديثهما: وأنا كذلك أيها القبطان

(كوفان): أنت ماذا؟

(أنجر): أريد أن أبحر معك لو حدث وأن عقدت العزم على ذلك

(كوفان) بتعجب وهو يضحك: لَمَ تريدان العودة للمشقة؟ أنتما الآن من الأغنياء ألا تدركان ذلك؟

(حربة): أغنياء بسببك ولن ننسى معروفك

(كوفان): أغنياء بسبب مجهودكما وهذا حقكما

(طيسل) يشير للساحل الذي أصبح قريباً جدّاً: لقد عدنا للديار أخيراً!

(كوفان) لـ(أنجر): حاول أن ترسو في مكان بعيد عن تجمع الناس كي لا يلاحظ أحدٌ ما معنا من غنائم فلصوص السفن ليسوا في البحر فقط

(أنجر) وهو يتوجه لدفة القيادة: حاضر

رست السفينة عن شاطئ رملي يبعد عن الميناء مسافة بسيطة فنزل (حربة) و(أنجر) منها بعد ما ودعا القبطان و(طيسل) وقبل نزول (حربة) خلف (أنجر) قال لـ(كوفان): ماذا ستفعل بالفتاة أيها القبطان؟

(كوفان) ملتفتاً على غرفة المخزن المغلقة: بالأموال التي حصلنا عليها سنستطيع البحث عن أهلها وسنجدهم

(حربة): هل تحتاج مساعدة مني أيها القبطان؟

(كوفان) يضع يده على كتف (حربة) مبتسماً: لا.. اذهب وعش ما تبقى من حياتك في رخاء

رحل (حربة) وترك (كوفان) مع أخيه على سطح «الماسة الزرقاء»..

(كوفان): ماذا ستفعل بنصيبك يا (طيسل)؟

(طيسل): لا أعرف.. هل يمكنك الاحتفاظ به معك في الوقت الراهن؟

(كوفان) بتعجب: ألا تملك أحلاماً تريد تحقيقها.. ألا تريد أن تتزوج وتشتري منزلاً وتبدأ بمشروعٍ خاص بك؟

(طيسل): في الوقت الحالي أريد رؤية أمي فقد اشتقت لها

(كوفان): كن ما تستطيع بكل ما أوتيت من رغبة في الحياة.. تذكر ذلك دائماً يا أخي

(طيسل): في الوقت الحالي أريد شراء بعض اللحم وتناوله.. هذه رغبتي فقط

(كوفان) ضاحكاً: حسناً.. نصيبك من الكنز سيبقى معي حتى تطلبه

(طيسل): ماذا عن الفتاة؟.. هل سنأخذها معنا للمنزل؟

(كوفان): كنت أفكر بالأمر للتو.. لا أعرف مدى خطورتها بعد ما فعلته بالقراصنة..

(طيسل) وهو يجلس: يجب أن نحسم الأمر الآن قبل أن ننزل من السفينة

(كوفان) ينظر لأخيه بتعجب: أي أمر؟

(طيسل): هل ما زلت لا تصدق قصتها؟

(كوفان): قصتها؟.. لا تقل بأنك ما زلت تصدق أنها حورية تحولت لبشر بسبب خليط احتسته؟!

(طيسل): هل تملك تفسيراً آخر لما فعلته بالقراصنة؟

(كوفان): نعم!!.. أنها فتاة قوية وتمكنت من الدفاع عن نفسها لا أكثر!

(طيسل): وهل هذا يفسر التهامها لهم.. معظم الجثث التي رميتها معك كانت فاقدة لكثير من لحومها

(كوفان) بعصبية: هذا دليل على أنها مجنونة وليست حورية!

(طيسل): لا ترفع صوتك يا (كوفان) أنا أحاول الحديث معك بهدوء

(كوفان) وهو يزفر غضبه: اسمع يا أخي العزيز.. هذه الفتاة مجنونة وسوف نستخدم حصتها من الغنيمة لإيجاد أهلها وحتى ذلك الوقت ستبقى معنا

(طيسل): هل ستأمن شرها؟.. هل تثق بها كي تبقى معنا تحت سقفٍ واحد وخصوصاً مع أمي

(كوفان): لن نكون تحت سقف واحد فنحن الآن نملك أموالاً تكفي لشراء منزل لكل فردٍ منا

(طيسل) وهو ينظر لباب غرفة المخزن: لا أعرف يا (كوفان).. أشعر بأننا نرتكب خطأً جسيماً بإحضارها معنا

(كوفان): وما الخيار الآخر أمامنا؟.. نتركها وحدها؟

(طيسل): لا لكن لا تحضرها لمنزلنا

(كوفان): هذا الأمر بسيط سيكون لفترة محدودة وسنبقيها تحت أعيننا دائماً

(طيسل): اسمع.. ما المانع من إبقائها في الوقت الحالي على السفينة حتى نجد لها مكاناً آخر؟

(كوفان): هل تظن أن هذا حل مناسب؟

(طيسل): فقط بشكل مؤقت وسوف يبقى معها واحد منا كل يوم إلى أن نبتاع منزلاً لها بحصتها لتقيم فيه

(كوفان): فكرة لا بأس بها سوف أذهب إليها الآن لأطمئنها ثم سأغلق الباب عليها ونعود لها لاحقاً بالطعام وبعض الملابس الجديدة هل يناسبك ذلك؟

(طيسل) وهو ينهض: نعم يناسبني جدّاً

(كوفان) وهو يفتح باب المخزن ويدخل على (لج) المستلقية على الأرض: هل أنت مستيقظة؟

(لج) تنهض بثقل: لقد سئمت هذا المكان.. أريد الرحيل

(كوفان) يجلس أمامها: الرحيل إلى أين؟

(لج): أريد العودة للبحر

(كوفان): ماذا عن أهلك ألا تريدين رؤيتهم مجدداً؟

(لج) بعصبية: عن أي أهل تتحدث؟! أريد العودة للبحر! لقد وعدتني بأنك ستعيدني!!

(كوفان) محاولاً تهدئتها: سوف أفي بوعدي لكِ لكن بشرط أن تبقي هنا لبضعة أيام

(لج): أبقى هنا؟.. وحدي؟!

(كوفان): سيكون معك أحدنا ولن تكوني وحدك أبداً

(لج): تقصد من قابلتهم معك؟

(كوفان): لا.. فقط أنا وأخي (طيسل)

(لج): وأي منهم كان أخاك؟

(كوفان) مبتسماً: من قام بتنظيفك آخر مرة

(لج): تقصد ذلك البشري القصير؟

(كوفان): نعم هو بعينه

(لج): هل سترحل الآن؟

(كوفان): نعم وسوف أعود قبل أن تغرب الشمس.. هل تريدين شيئاً قبل رحيلي؟

(لج): نعم..

(كوفان): ماذا تريدين؟.. طعاماً؟

(لج) وهي تقف وتبسط ذراعيها: لا أريد عناقاً

(كوفان) يرفع رأسه وهو جالس وينظر لـ(لج) بتعجب: عناق؟

(لج) وذراعاها لا تزالان مبسوطتين: نعم أحتاج عناقاً..

(كوفان) ينهض ويقف أمامها ويحدق بها بتوتر وخوف..

(لج) بوجه حزين: لا تقلق أيها البشري لن ألتهمك فطعمكم لم يرق لي..

تقدم (كوفان) بضع خطواتٍ نحو (لج) وهو متوتر بشدة وقبل أن يمد ذراعيه لفت ذراعيها حوله وعانقته بقوة وأسندت رأسها على صدره. أطالت (لج) في عناقها ولم تتحدث خلال ذلك العناق.

(طيسل) من الخارج: هيا يا (كوفان)!

(كوفان) وهو مقيد بعناق (لج) المحكم وبكلمات متقطعة: يجب.. أن.. أذهب الآن..

(لج) وهي تفك عناقه: دقات قلبك جميلة.. سأشتاق لسماعها..

(كوفان) يمد يده لمقبض الباب بتوتر ويديره وعيناه على (لج) الباسمة: أنا راحل الآن..

(لج) وهي تمسح بأناملها على كتف (كوفان): لا تغب كثيراً..

خرج (كوفان) ومشاعر الخوف والدهشة تموج في صدره..

(طيسل): ما بك؟ لا تبدو على طبيعتك؟

(كوفان) وهو يلتفت على الباب الذي أغلقه للتو: لا شيء..

(طيسل): ما الذي قالته لك تلك الفتاة؟

(كوفان): لا شيء.. هذه الفتاة مجنونة فعلاً واقتراحك بإبقائها هنا كان قراراً حكيماً

(طيسل): هيا لنذهب لأمي لقد اشتقت إليها كثيراً وسأعود قبل الغروب للفتاة وأحضر لها بعض الطعام

(كوفان) برد سريع: لا!

(طيسل) بتعجب: لماذا؟

(كوفان): أنا من سيأتي لها بالطعام وأنت ابقَ مع أمي

(طيسل) بنظرة ريبة: حسناً

عاد الاثنان لمنزلهما الصغير وكانت أمهما في استقبالهما وعانقتهما عند عتبة الباب في آنٍ واحد وبدأت بالبكاء وهي تقول: لقد كان قلبي مقبوضاً عليكما لكن الحمد لله أني ملأت عينيّ بمحياكما من جديد

(طيسل) وهو يدمع خلال عناق أمه: رؤيتك يا أمي أعظم من الكنز الذي وجدناه

(الأم) وهي تفك عناق ابنيها: كنز؟.. أي كنز؟

(كوفان) بتوتر: يقصد الصيد الوفير الذي اصطدناه يا أمي

(الأم) تلقي نظرة خلفهما: لا أرى معكما أي سمك

(طيسل) لـ(كوفان): عن ماذا تتحدث؟

(كوفان) يَكِز أخاه بقوة ويقول لأمه: هل سنبقى عند الباب كثيراً يا أمي؟

(الأم) وهي تستدير مبتسمة: هيا ادخلا فقد اشتاقت أركان المنزل لكما

(طيسل) بعصبية مكظومة: ما بك؟ لمَ وكزتني هكذا؟! ولمَ لا تريد إخبار أمي عن الكنز؟!

(كوفان) وهو يدخل للمنزل: اخرس الآن وسنتحدث لاحقاً!

دخل الأخوان خلف أمهما التي كانت لا تملك قوت يومها لكنها أخرجت بضع كسراتٍ من الخبز ومدتها لهما فأمسك (كوفان) يدها وقبض عليها مبتسماً: لن نأكل الخبز الجاف بعد اليوم يا أمي

(الأم): وماذا سنأكل؟

(كوفان) وهو ينظر لـ(طيسل): كل ما تشتهيه أنفسنا فقد وفقنا في الصيد وبعنا ما اصطدناه مقابل مالٍ وفير

(الأم) وهي مبتهجة: حقّاً؟

(طيسل) بتجهم خفيف: نعم يا أمي

(الأم): لا تبدو سعيداً يا (طيسل)

(طيسل) وهو يتصنع الابتسام: لا أبداً يا أمي أنا مرهق من السفر فقط

(الأم) وهي تشير للأرض المغطاة بالحصيرة الصغيرة: لَم لا ترتاحان بعد رحلتكما الطويلة؟

(كوفان) يشد (طيسل) من قميصه الممزق ويسير به نحو الباب

مبتسماً لأمه ويقول: لا يا أمي يجب أن نذهب لتاجر السمك ونحصل على قيمة ما اشتراه منا من الأسماك قبل أن يرحل

(الأم) بابتسامة مجعدة: بالتوفيق يا حبيبيّ..

خرج الاثنان من المنزل وبمجرد أن تجاوزا الباب تفلت (طيسل) بغضب من قبضة أخيه وقال: اتركني!

(كوفان) بتجهم: ما بك أيها الأحمق؟!

(طيسل) وهو يعدل هندامه: لا أحب الكذب على أمي!

(كوفان) بعصبية: هل تريد أن تخبرها بأننا سرقنا مجموعة من القراصنة؟!

(طيسل): لا أعرف لكن ما كان يجب أن نكذب عليها!

(كوفان) وهو ينظر على يمينه: دعك من هذا الغباء الآن ولنتوجه للسوق

(طيسل): هل صدقت كذبتك بأننا سوف نحصل مالاً من تاجر السمك؟!

(كوفان) وهو يخرج بعض العملات الذهبية من جيبه: بل سنقايض هذه العملات بمال كثير

(طيسل): ألا تظن أننا سنثير الشكوك إذا بدلنا جميع العملات في السوق المحلي؟

(كوفان): شكوك؟ شكوك من؟

(طيسل): معظم أهل المدينة يعرفون بأننا فقراء ولو ذهبت للسوق بكمية كبيرة من العملات فستنتهم بسرقتها

(كوفان): لن أستبدل في الوقت الحالي إلا هذه المجموعة البسيطة وسوف أخبر بقية الطاقم بسلوك النهج نفسه

(طيسل): وأقترح أيضاً أن نستبدل ما تبقى من حصتنا في المدن المجاورة على فترات متباعدة

(كوفان): اقتراح جيد وفي الوقت الحالي سنحصل على ما يكفينا لشراء بعض الطعام والأثاث اللائق بالمنزل

توجه الاثنان للسوق وتحديداً لأحد تجار الذهب الذي اشترى القطع الذهبية منهما مقابل مال وفير استخدماه لتغيير أحوالهم بشكل لا بأس به فقد ابتاعا لأمهما ولأنفسهما مفارش ومخدات جديدة وابتاعا كذلك أطعمة لم يتناولوها منذ سنين كاللحوم والطيور والفواكه. عند عودتهما محملين بما ابتاعاه مع رجلٍ استأجراه لحملها كانت

الشمس على وشك المغيب فقال (كوفان) لأخيه: اذهب لأمي وخذ معك الأطعمة والمفارش الجديدة وأنا سوف أعرج على الفتاة وآخذ لها بعض الطعام

(طيسل): لا تتأخر سوف ننتظرك على العشاء

(كوفان): لا تقلق لن أغيب كثيراً

سار (كوفان) وهو يحمل خرقة ملفوفة تحت إبطه نحو سفينتهم الراسية بعيداً وعند وصوله إليها تسلق الحبل المتدلي منها وصعد على السطح وتفاجأ عندما رأى (لج) جالسة وهي تحتضن ركبها وتحدق بالسماء وفي النجوم المتلألئة وباب المخزن مهشم بالكامل.

(كوفان) بتوتر: ماذا فعلتِ؟

التفتت (لج) على (كوفان) ونهضت مبتسمة عندما رأته وجرت نحوه وعانقته لكنها هذه المرة قامت بتقبيله فسقطت اللفة التي كانت معه لأنه رفع ذراعيه للخلف من هول المفاجأة.

(لج) وهي تنظر لمحتوى اللفة الذي تناثر على الأرض: ما هذا؟

(كوفان) مستعيداً تركيزه: بـ.. بعض الطعام

(لج) وهي تلتقط تفاحة حمراء وتنظر إليها: هل هذا قلب؟

(كوفان): ماذا؟! لا! لا! هذه تفاحة

(لج) وهي تمعن النظر في الثمرة الحمراء: تفاحة؟

(كوفان) يأخذ التفاحة من يدها ويقضمها: نعم.. طعام لذيذ.. ألم تتناوليه من قبل؟

(لج) تأخذ التفاحة المقضومة من يد (كوفان) وعينها عليها باستغراب: لا

(كوفان): جربيها

أخذت (لج) قضمة من الثمرة الحمراء لكنها سرعان ما بصقتها وبدأت تسعل وكأنها تناولت بعض التراب.

(كوفان) بقلق: ما بك؟!

(لج) وهي تبصق ما تبقى من قطع التفاح على شفتيها: طعمها مقيت!

(كوفان): وهل كان طعم الرجال الذين افترستهم ألذ منها؟

التفتت (لج) بنظرة حادة على (كوفان) الذي عبرت ملامح وجهه

عن ندمه الشديد للتفوه بذلك السؤال لكن تجهم (لج) تحول تدريجيّاً لابتسامة ثم قالت: لقد كانوا أحياء وهذا كان مصدر لذتهم..

(كوفان) بتوتر وهو يهم بالرحيل: حسناً سأحضر لكِ غداً طعاماً حيّاً

(لج) تمسك بمعصم (كوفان) بقوة: إلى أين؟!

(كوفان) وتوتره يتحول إلى خوف: إلى منزلي!

(لج) بوجه متسع الأعين وبنبرة مستغربة: لكن القمر غائبٌ الليلة..

(كوفان) يرفع نظره للسماء: القمر؟

(لج) وهي تسحبه لصدرها: نعم.. وأنت قمري الليلة.. قمري الوحيد..

(كوفان) يتفلت منها ويقول بسخط: ابتعدي عني!

(لج) بوجه حزين: ما بك؟ لَمَ تصدني؟.. أشعر بانجذاب نحوك

(كوفان) بعصبية: وأنا لا أبادلك هذا الانجذاب!

(لج): ليس من الضروري أن تبادلني مشاعري.. ابقَ معي فقط..

(كوفان) باستنكار: ومن أين أتيتِ بتلك المشاعر؟.. أنت لا تعرفينني

(لج) بحزن: تسألني وكأن لي خياراً.. لا قدرة لي على مقاومة هذه المشاعر المؤلمة

(كوفان): تتحدثين وكأن الأمر بشع

(لج): سيكون بشعاً لو لم أكن راغبة في ذلك..

(كوفان): هل تفتقدين أحداً؟

(لج): لَمَ تسألني مثل هذا السؤال؟

(كوفان) وهو يهم بالرحيل: لا شيء.. حاولي أن تنامي..

سار (كوفان) لطرف السفينة ونزل مستخدماً الحبل المعلق و(لج) تنظر إليه من الأعلى بصمت. عاد للمنزل ليجد أمه وأخاه قد أعدا وليمة كبيرة بالأطعمة التي اشترياها وكانا بانتظاره.

(طيسل) مبتهجاً: تعال وانظر لفراش أمي الجديد!

(كوفان) والضيق بادٍ عليه: أريد أن أنام فقط

(طيسل): ما بك؟ هل حدث شيء مع الفتاة؟ هل الصندوق مكانه؟

(كوفان) بصوت مرتفع وكأنه تذكر شيئاً مهماً: الصندوق؟!

(طيسل) بقلق شديد: هل سُرق؟!

(كوفان) يسير بسرعة نحو الباب: يجب أن أعود!

(طيسل) يمسك بأخيه: إلى أين؟!

(كوفان) بعصبية: تلك الحمقاء حطمت باب المخزن!

(طيسل): هل هربت؟!

(كوفان): لا ولكنني لم أتفحص المخزن وقد تكون عبثت بالصندوق أيضاً!

(طيسل) يشد في قبضته على أخيه: ابقَ أنت وسأذهب أنا.. أمي مشتاقة لك وأنت لم تجلس معها منذ عودتنا.. اترك الأمر لي

(كوفان): حسناً لكن كن حذراً

(طيسل) مبتسماً: لا تقلق لن أتيه في الليل

(كوفان): كنت أتكلم عن تلك الفتاة

(طيسل): لمَ تحذرني منها؟

(كوفان): فقط خذ حذرك منها

(طيسل) وهو يهم بالرحيل: حسناً

رحل (طيسل) نحو السفينة وبمجرد أن أغلق الباب خرجت الأم

من الغرفة الوحيدة بالمنزل وما ان رأت ابنها البكر حتى عانقته قائلة: أين كنت؟

(كوفان) مبتسماً: كنت أقوم بعمل ما يا أمي

(الأم) وهي تنظر من خلف كتف (كوفان): أين (طيسل)؟

(كوفان): ذهب لإحضار شيء.. لَمَ لم تتناولا الطعام بعد؟

(الأم) وهي تسير نحو السفرة المفروشة على الأرض: كنا في انتظارك ويبدو أننا سننتظر (طيسل) حتى يعود أيضاً

(كوفان) يُجلس أمه أمام المائدة مبتسماً: الأكل سيبرد.. تناولي الطعام معي وأنا سأنتظره

(الأم): حسناً لكني كنت أريد أن أتناول الطعام معكما أنتما الاثنين

(كوفان) وهو يمد لقمة لأمه باسماً: الأيام قادمة وسنتناول الكثير من الطعام معاً

(الأم) وهي تأكل من يد (كوفان) وتمسح على خده: ذكرتني بأبيك..

(كوفان) وهو يمد لقمة أخرى لأمه باسماً: هل كان أبي يطعمك بيده؟

(الأم) وهي تتناول اللقمة: كان يهتم بي كثيراً ويخاف علي وقد عوضني الله بك أنت وأخيك

(كوفان): سنكون بجانبك دائماً يا أمي..

بعد ما انتهى (كوفان) من إطعام أمه أخذها لفراشها الجديد وعاد للغرفة الأخرى واستلقى على حصيرتهم القديمة في انتظار أخيه. غلبه النعاس بعد دقائق قليلة لشعوره بالتعب الشديد فهو لم يذق طعم النوم منذ مدة طويلة. فتح عينيه عندما اخترقت أشعة الشمس أحد الشقوق في جدار المنزل وحطت على عينيه فنهض في بادئ الأمر ببطء وخلال دعكه لعينيه تذكر أخاه ونهض مفزوعاً يبحث عنه بنظره حوله ولم يرَه فتوجه لغرفة أمه وفتح الباب ليراها نائمة وحدها. خرج (كوفان) جرياً من المنزل نحو السفينة ولم يتوقف حتى تسلق حبلها المتدلي وحط بأقدامه على سطحها. لم يرَ أثراً لأخيه أو (لج) فسار بخطوات متسارعة نحو المخزن ذي الباب المحطم وبمجرد أن أخذ خطوة للداخل وقع نظره على (طيسل) وهو مستلقٍ على الأرض نائماً و(لج) بجانبه تعانقه والصندوق خلفهما مغلقاً على حاله. لم يعجب (كوفان) المنظر الذي رآه أمامه فركل قدم أخيه وهو يقول: انهض!

(طيسل) وهو يفتح عينيه بكسل: من؟

(كوفان) يشير برأسه بعبوس لأخيه بأن يتبعه دون أن يتحدث معه..

سحب (طيسل) رأسه وجسده من عناق (لج) النائمة وخرج بهدوء..

(طيسل) وهو يتثاءب: لمَ أتيت؟

(كوفان) بعصبية محاولاً التحدث بهدوء كي لا يوقظ (لج): ما الذي تفعله هنا؟!

(طيسل) وهو يدعك النعاس من عينيه: الصندوق بخير لا تقلق..

(كوفان) بالنبرة نفسها: أنا لا أتحدث عن الصندوق!

(طيسل): عن ماذا تتحدث إذاً؟

(كوفان) يزفر بحنق: ما الذي كنت تفعله مع تلك الفتاة؟!

(طيسل) مستديراً خلفها: تقصد (لج)؟

(كوفان): أجبني ولا تراوغ!

(طيسل) وعلامات التعجب من غضب أخيه متجلية عليه: لا شيء.. طلبت مني البقاء فبقيت معها وغلبنا النعاس ونحن نتحدث..

(كوفان) يسحب أخاه لمسافة أبعد عن المخزن ليتحدث بصوت أكثر وضوحاً: ألم أخبرك بأن تحذر منها؟!

(طيسل) باستغراب: هي لم تؤذني.. ما بك؟

(كوفان) بعصبية: لن تزورها مرة أخرى!.. هل تفهم!

(طيسل) بتجهم: وما شأنك أنت؟!

(كوفان): لن نتحدث هنا.. هيا لنعود للمنزل!

(طيسل): اذهب وحدك أنا باقٍ هنا

(كوفان): لا تجبرني على..

(طيسل) مقاطعاً أخاه بتحدٍّ: على ماذا؟!.. ماذا ستفعل؟!

صمت (كوفان) لثوانٍ أمضاها محدقاً في أعين أخيه بغضب شديد ثم هم بالرحيل قائلاً: لن أجادلك هنا وستعود عاجلاً أم آجلاً للمنزل

(طيسل) بسخرية: لا تنسَ أن تسلم على أمي!

بعد رحيل (كوفان) خرجت (لج) من المخزن وهي تقول: مع من كنت تتحدث يا قمري؟

(طيسل) ملتفتاً عليها بابتسامة عريضة: لا أحد مهماً يا عزيزتي..

(لج) تضع أذرعها حول عنق (طيسل) وتحدق بعينيه بصمت..

(طيسل) مبتسماً ومتسائلاً: ما بك؟

(لج) بحزن: اشتقت لك..

(طيسل) ضاحكاً: لم أبتعد عنكِ كي تشتاقي

(لج): أنت أبعد مما تظن وأقرب مما تتخيل..

(طيسل): وماذا أيضاً؟

(لج) وهي مستمرة بالتحديق بعينيه دون أن تبتسم: أحب رؤية روحي من خلال عينيك..

(طيسل) وهو هائمٌ في أعين (لج) الواسعة: سأشتري لكِ ملابس أخرى غير الممزقة التي ترتدينها

(لج): تقصد الأوراق؟

(طيسل) ضاحكاً: نعم الأوراق..

(لج) بصوتٍ رخيم: أريد أن أخبرك بسر

(طيسل) مبتسماً: ما هو؟

(لج): لم أظن يوماً أني سأقع في حب بشر..

(طيسل) بخجل: منذ متى هذا الحب؟

(لج) وهي تقترب بوجهها من وجه (طيسل): لقد وقعت في حبك عندما وقعت في شباكك..

(طيسل): عديني بأنكِ لن تتركيني أبداً..

(لج): أنا مغرمة بك وغرامك قيدي الذي يسوقني نحوك حيثما تذهب..

(طيسل): ماذا عن البحر؟.. ألا ترغبين بالعودة إليه؟

(لج): لا أنكر أن نسيمه البارد ينادي علي لأعود لكن عينيك تشلان أقدامي وهما اللتان أريد الغرق فيهما..

(طيسل): لا أرغب في أن أكون سبباً لحزنك وحرمانك من أهلك

(لج): أهلي؟

(طيسل): نعم.. أليس لديك أهل ينتظرونك في وادي المرجان؟

(لج) بوجه مكتئب: أنا ممزقة بين حبي لك وخوفي عليك..

(طيسل) بتعجب: لا أفهم معنى كلامك..

(لج) وهي تقترب بوجهها أكثر: شيء ما يجذبني إليك..

(طيسل) وهو يقترب بوجهه أيضاً: أنا كذلك.. أرى في عينيك البحر والسماء.. أرغب في التحليق والغوص في آنٍ واحد عندما أحدق بهما

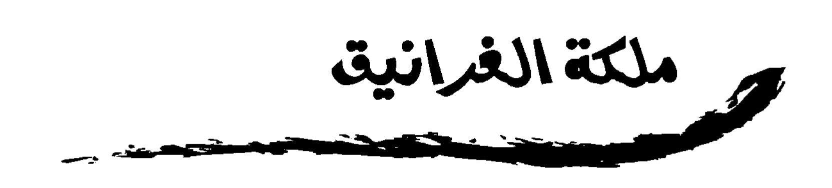
(لج): حبك ملوثٌ بطعم الغرق وكلماتك أمواجٌ لا ترحم..

(طيسل): لنغرق معاً في حبٍّ لا ينتهي إذاً..

عانقته (لج) وخلال عناقها له قالت: دقات قلبك جميلة.. سأشتاق لسماعها..

(طيسل) وهو يبادلها العناق بأعين مغمضة: لن تشتاقي لي لأني لن أتركك أبداً..

نهشت (لج) عنق (طيسل) وغرست أنيابها فيه وبمجرد أن رأت الدماء تفور من عنقه دخلت في حالة من السعار وافترسته بلا رحمة..



ركبت (درة) أو (أمفرتيت) كما أسماها صديقها الجديد الملتف حول عنقها (جريث) التيار المؤدي للبحر الأزرق وكان تياراً متوسط القوة وخلال أقل من ساعة تبددت قوة التيار وخرجا منه بهدوء في مكان شبه مظلم في الأعماق ولم يكن حولهما مصدرٌ للنور سوى بعض أسراب القناديل الصغيرة.

(أمفرتيت): ماذا الآن أيها المستشار؟

(جريث) وهو يشير بذيله المقطوع للأمام: عومي بهذا الاتجاه..

(أمفرتيت): الطريق مظلم والمكان يبدو خطراً.. كيف سأرى؟

(جريث): المخاطرة أحياناً أسرع وسيلة لتجنب الخطر..

(أمفرتيت) وهي تمد أذرعها وتبدأ بالعوم بالاتجاه الذي أشار إليه: متيقنة أن نهايتي ستكون بسببك أيها البشع

عامت (أمفرتيت) في الظلام الدامس ومع تقدمها بدأت أسراب

القناديل تختفي شيئاً فشيئاً حتى اصطدمت بصخرة كبيرة اعترضت طريقها ولم تستطع رؤيتها فصرخت في (جريث) قائلة: هل ارتحت الآن؟!

(جريث): وصلنا للصخور.. لقد اقتربنا..

(أمفرتيت) وهي تدعك رأسها: وهل سنتفحص بقية الطريق برأسي؟!

(جريث): الصبر.. الصبر يا مولاتي

(أمفرتيت): مولاتك رأسها يؤلمها من تاجك الصخري

(جريث): أكملي الطريق

(أمفرتيت) وهي تحاول الإمعان في الظلام أمامها: أين أذهب الآن؟

(جريث): الطريق سيكون نزولاً من هنا

(أمفرتيت): نزولاً إلى أين؟ أنا لا أرى شيئاً

(جريث): عومي فقط وأنتِ تتحسين الحجارة وستجدين الطريق

نفذت (أمفرتيت) ما أخبرها به الثعبان البشع وبالفعل ومع تقدمها أحست بأن الصخور تنخفض للأسفل وكأنها تُشكل وادياً عميقاً

فاستمرت بالعوم نزولاً حتى وصلت للقاع.

(أمفرتيت) بتذمر: ماذا الآن؟ لقد وصلنا للقاع

(جريث): بقي قاعٌ آخر.. استمري في العوم وكفوفك على الأرض حتى تجدي المدخل

(أمفرتيت) وهي تعوم وتتحسس الأرض أسفل منها: أشعر بالغباء..

بعد مسافة ليست بالقصيرة شعرت (أمفرتيت) بهاوية أسفل منها وبعد أن تحسست أطرافها شعرت بأنها نفق بفتحة مستديرة.

(جريث) من خلال الظلام: لَم توقفتِ؟

(أمفرتيت) وهي لا تزال تتحسس أسفل منها في العتمة: أعتقد أني وجدت الهاوية التي تتحدث عنها

(جريث) وهو يفتل من عنق (أمفرتيت) ويقول بنبرة مبتهجة: لقد وصلنا..

(أمفرتيت): وصلنا إلى أين؟

(جريث): إلى المدخل المؤدي لملوك الجن

(أمفرتيت): هيا لننزل إذاً

(جريث): لا.. يجب أن تذهبي وحدك

(أمفرتيت): وحدي؟.. أنا لا أعرف شيئاً عنهم!

(جريث): فقط اطلبي أن تحكمي الغرانيق ولا تتنازلي عن طلبك مهما حدث

(أمفرتيت): وكيف سأراهم في هذا الظلام؟

(جريث): المهم أن تسمعيهم لا أن تريهم..

غاصت (أمفرتيت) في النفق المظلم واستمرت بالعوم نزولاً وهي تتحسس أطراف النفق الضيق حولها بأناملها حتى خرجت منه لما بدا لها كتجويف كبير أحست فيه بتيار ساخن يحتضنها وبينما كانت في ذلك المكان المعتم سمعت صوتاً غليظاً يقول لها: أفصحي يا حورية؟

(أمفرتيت) بتوتر: من أنت؟

(صوت مزمجر) بغضب: أفصحي يا حورية!

(أمفرتيت) بغضب مماثل وبصوتٍ مرتفع: لا تصرخ! أستطيع

سماعك جيداً أيها الأحمق!

(صوت عذب) ضاحكاً: هذه الحورية تبدو وقحة

(أمفرتيت) بتجهم: لمَ تغير صوتك؟!

(صوت غليظ): نحن لا نغير أصواتنا

(أمفرتيت): كم واحداً أنتم؟

(صوت حاد): نحن من يطرح الأسئلة هنا وليس أنتِ!

(أمفرتيت): هل سيطول هذا التحقيق؟

(الصوت العذب) بسعادة: هذه الحورية تروق لي.. أتمنى أن غناءها جميل مثل وقاحتها

(الصوت المزمجر): ماذا تريدين؟

(أمفرتيت): أريد رؤية مع من أتحدث

(الصوت الغليظ): لا أحد يستطيع رؤيتنا

(أمفرتيت): لبشاعتكم؟

(الصوت الحاد) بغضب: كيف تجرئين على مخاطبتنا بهذا الأسلوب؟!

(أمفرتيت) بتهكم: وبأي أسلوب تريدون أن أتحدث معكم؟

(الصوت العذب) بحماس: بالغناء!.. بالغناء!

(أمفرتيت): ما به صاحبكم هذا؟

(الصوت العذب): غني وسوف أضمن لكِ تحقيق طلبك

(أمفرتيت): حسناً.. كما تشاء

بدأت (أمفرتيت) بالغناء وكان صوتها بشعاً جدّاً فصرخ صاحب الصوت العذب قائلاً: توقفي! توقفي أرجوك!

بدأت بقية الأصوات بالضحك بسبب انزعاج صاحب الصوت العذب وقال صاحب الصوت المزمجر ضاحكاً: أكملي..

(أمفرتيت) بتعجب مما يحدث حولها: حسناً

(الصوت العذب) وهو يصرخ بقوة: لا!

ضحكت بقية الأصوات مرة أخرى فنهرهم صاحب الصوت العذب قائلاً: أنتم تتعمدون إزعاجي!!

(الصوت الحاد) ضاحكاً: أنت تزعجنا دائماً بابتهاجك وهذه فرصتنا لنقتص منك

(أمفرتيت) بتساؤل: هل أكمل أم لا؟

(الصوت العذب) بعصبية: قلت لكِ لا!.. أفصحي بسرعة عن طلبك كي ترحلي بسرعة!

(أمفرتيت) وهي تستعيد تركيزها وتستجمع أفكارها: أريد أن أحكم..

(الصوت الغليظ) مقاطعاً (أمفرتيت) بسخرية: ماذا؟ تحكمين؟ ومن أنت كي تحكمي أي شيء؟

(أمفرتيت) بغضب: لا تقاطعني وإلا غنيت دون توقف حتى يجن صاحبكم المرهف!

(الصوت العذب) بغضب لـ(الصوت الغليظ): اخرس أنت ودعها تكمل كلامها وترحل من هنا فلم أعد أطيق وجودها!

(الصوت المزمجر): لا داعي لأن تكملي فأنت تريدين أن تحكمي الحور بدل (عقيق) وهذا أمر مستحيل لغير حاملي الوسم الملكي

(أمفرتيت): تخمينك خاطئ..

(الصوت الحاد): من تريدين أن تحكمي إذاً؟

(أمفرتيت): الغرانيق..

(الصوت الغليظ) بتعجب: الغرانيق؟

(أمفرتيت): نعم.. هيا أخبروني كيف كي أخرج من هنا بسرعة

(الصوت العذب): ولِمَ تطلبين حكم كائنات بغيضة وبشعة مثلها

(أمفرتيت) بسخرية: لأنها تشبه صوتي.. هل ارتحت الآن؟

(الصوت العذب): معكِ حق إذاً

(الصوت المزمجر): طلبك مجاب

(أمفرتيت) وهي تلتفت يمينا وشمالاً في العتمة: مجاب كيف؟

(الصوت العذب): يجب أن تجمعي عناصره

(أمفرتيت) بعصبية: عناصر ماذا أيها الأحمق؟!

(الصوت العذب) بتذمر: تحدثوا معها أنتم فلم أعد أحتمل سماع صوتها.. أنا راحل!

(الصوت المزمجر): حبر من محبرة (كاركان)..

(الصوت الغليظ): سن من فك (مغلود)..

(الصوت الحاد): دمعة من محجر (أوركا)..

(أمفرتيت) وهي تقاطعهم: توقفوا! توقفوا!.. أنا لن أجمع شيئاً مما تقولون!

(الصوت المزمجر) بغضب: كيف تجرئين؟!

(أمفرتيت): أنا لن أخرج من هنا لأبحث عن شيء!.. سأخرج من هنا ملكة!.. هل تفهمون؟!.. ملكة للغرانيق!

صمتت الأصوات ولم ترد على (أمفرتيت) وهي كذلك لم تكرر طلبها عليهم وبقيت تعوم في مكانها المظلم دون اكتراث..

بعد دقائق من الصمت تحدث معها الصوت الحاد وقال بنبرة هادئة: هل سترحلين لو حققنا لكِ ما تطلبين؟

(أمفرتيت) بتجهم: وما الذي سيبقيني في مكان كئيب كهذا؟

(الصوت المزمجر): الغرانيق لا تحكم نفسها لأنها بعقول مشتتة بشبق الدم والافتراس فهي بهائم همجية ولكي تحكميها يجب أن تكوني واحدة منهم وفي الوقت نفسه يجب أن تملكي عقلاً

(أمفرتيت): وما الحل؟

(الصوت الغليظ): يجب أن تكوني هجيناً.. مثل السايرينات

(أمفرتيت): فات الأوان على ذلك فقد فقست من بيضتي كحورية

(الصوت الغليظ): يمكنك أن تكوني شيئاً مختلفاً.. شيئاً أسوأ

(أمفرتيت) بحماس: كيف؟.. أخبروني!

(الصوت الحاد): بأن تتقني سر التشكل

(أمفرتيت) بتعجب: التشكل؟

أحاط بـ(أمفرتيت) وميض نورٍ أبيض فغطت عينيها لأن النور بهرها فجأة وخلال تغطيتها لعينيها تحدثت معها الأصوات الثلاثة مجتمعة: هذه القدرة لا يملكها أي كائن سوى الجن وسوف نمنحك إياها حتى تفقديها..

(أمفرتيت) وهي تزيح كفوفها عن أعينها تدريجيّاً: وكيف سأفقدها؟

(الأصوات الثلاثة مجتمعة): إذا تشكلت لمساعدة أحدٍ سوى نفسك فسوف تفقدين تلك القدرة وتعودين حورية كما كنتِ..

انقشع الوميض الأبيض القوي وأحست (أمفرتيت) بأن جسدها أضخم ومعظم جلدها أصبح خشناً لكن وجهها لا يزال أملسَ

فقالت وهي تتحسس جسدها بيديها ذواتي الأنياب الطويلة في الظلام وبصوتٍ مختلف عن صوتها السابق والذي كان أشد غلظة: ماذا حدث لي؟

(الصوت المزمجر): لقد منحناكِ شكلاً وصوتاً ووجهاً جديداً كي تصلي لمسعاك..

(أمفرتيت) وهي لا تزال تتحسس جسدها ووجهها: لا أصدق.. وكيف أتشكل بشكلٍ آخر كما وعدتموني؟

(الصوت الحاد): تناولي قلب طفل بشري وسيمنحك ذلك القدرة على التشكل لمرة واحدة عن كل قلب.. وهذا الأمر ينطبق على أي غرنيق

(أمفرتيت): وما الذي سيميزني عنهم إذاً

(الصوت المزمجر): أنكِ تستطيعين تكرار ذلك بقدر ما تشائين بالتهام القلوب البشرية الصغيرة بأي عدد أما الغرانيق فلا يستطيعون ذلك إلا مرة واحدة في حياتهم فقط

(أمفرتيت): هل تعرف الغرانيق هذه المعلومة؟

(الصوت الغليظ): لا هذه المعلومة ستفيدك في مسعاك الآخر الذي أخفيته علينا..

(أمفرتيت) وجسدها يشع وميضاً من حراشفها الفسفورية: لدي سؤال أخير قبل أن أرحل

(الصوت العذب) مقاطعاً الحديث بغضب وعصبية شديدة: ماذا تريدين؟! لقد حصلتِ على أكثر مما تستحقين يا صاحبة الصوت البشع!!

(الصوت المزمجر): اسألي..

(أمفرتيت) وهي تبتسم من غضب الصوت العذب وتوجه سؤالها للصوت المزمجر: لماذا ساعدتموني.. ما الذي ستستفيدونه.. أنا أسعى لقلب الموازين في البحور السبعة وأنتم فيما يبدو تعرفون ذلك سابقاً.. فلماذا؟

(الأصوات الأربعة مجتمعة):.. تحريك المياه الراكدة أساس بقائنا..

(أمفرتيت) بتعجب: ماذا؟.. فسروا كلامكم؟

لم يرد أحد عليها فكررت سؤالها عدة مرات بغضب وصوت مرتفع لكن لم يجبها سوى الصمت.. حركت ذيلها الضخم وبدأت تسبح

للأعلى في الظلام الذي كان يتحطم بنور حراشفها لينير الطريق حولها وأمامها وبعد مسافة طويلة من السباحة خرجت من فوهة النفق الأرضي وتجهمت وزمجرت بصوتها الغليظ عندما رأت (جريث) والذي اقترب منها وقال مبتهجاً: مولاتي (أمفرتيت)؟

(أمفرتيت) بوجهٍ عابس وأنياب بارزة: إلى أين الآن أيها البشع؟

(جريث) وهو يلتف حول عنقها المدبب بالحراشف ويقول باسماً: أحب عنقك الجديد.. ووجهك فاتنٌ أكثر من ذي قبل..

(أمفرتيت) وهي تزأر بقوة: تكلم!!

(جريث) يغلق ويفتح فمه ويصدر صوتاً كالقرقعة: البحر الأسود يا مولاتي حيث يوجد أكبر تجمع للغرانيق

(أمفرتيت) تعوم للأعلى بوجه عابس: هيا لنذهب إليهم كي يقابلوا ملكتهم الجديدة!

خرجت (أمفرتيت) من قاع البحر الأزرق بسرعة هائلة فقد أصبحت سباحتها بالاستعانة بذيلها الأسود الضخم المتماشي مع لون شعرها وعينيها الجديد أسرع بكثير من السابق. مع تزايد سرعة (أمفرتيت) بالسباحة لم يتمكن (جريث) من التشبث بعنقها أكثر

وفقد قبضته عليها وولى خلفها. توقفت (أمفرتيت) وعادت إليه لتجده يطفو وسط الماء وصرخت به قائلة: لمَ توقفت أيها الأبله؟!

(جريث) بخوف شديد من صوت (أمفرتيت) المرعب: أنا لم أتوقف لكني لا أستطيع مجاراتك في قوة اندفاعك

(أمفرتيت) بغضب: أين التيارات القوية المؤدية للبحر الأسود؟!

(جريث): ماذا؟

(أمفرتيت) بزئير مخيف: لا تجب على سؤالي بسؤال!!.. أين؟!

(جريث) يشير بذيله المقطوع: للجنوب: هناك

(أمفرتيت) وهي تحرك ذيلها الضخم وتعوم تجاه التيار القوي: الحق بي وقتما تشاء!

خلال دقائق قليلة اخترقت (أمفرتيت) حاجز التيار القوي المؤدي للبحر الأسود وبدأت بالسباحة متجاوزة مجموعة من الحيتان الضخمة التي كانت منبهرة من ذلك المخلوق الغريب الذي لم يروا مثله من قبل وعند وصولها لنهاية سرب الحيتان رأت حوتاً أزرقَ كبيراً فهمت بتجاوزه لكنه لطمها بذيله قائلاً: لا أحد يتجاوزني!

استعادت (أمفرتيت) توازنها بسرعة فائقة وكشرت عن أنيابها

وانطلقت بمخالبها نحو ذلك الحوت الأزرق الضخم وشقت بطنه وخرجت من فمه الكبير وسط ذهول سربه. استمرت في السباحة حتى خرجت من التيار والجنون يتفجر من عينيها وبدأت تلتفت في كل الاتجاهات بحثاً عن الغرانيق. لم تجد أيّاً منها في بادئ الأمر لكنها شعرت بشعور جديد عليها عند أنفها. أحست بأنها تستطيع اشتمام وتمييز المخلوقات المختبئة حولها وتحققت من ذلك عندما شعرت بأن هناك مجموعة من أسماك (السياف) تقترب منها، وبالفعل لم تمضِ ثوانٍ حتى تجاوز من فوقها سربٌ منها فاندفعت نحوها وأمسكت بواحدة وكسرت فكها العلوي الطويل وصرخت فيها: أين أجد الغرانيق؟!

(سمكة السياف) وهي تنزف بغزارة: عند الصخور..!.. عند الصخور!

(أمفرتيت) بغضب: أي صخور؟!

(سمكة السياف): من حيث أتينا!.. لقد تجاوزنا بعضها للتو!

رمت (أمفرتيت) بالسمكة النازفة واندفعت عوماً بالاتجاه الذي أتى منه سربها..

عامت وهي تنظر للأسفل حيث إن نظرها كذلك أصبح أكثر حدة ويكشف المناطق المظلمة بسهولة وبعد عوم استمر لأقل من نصف ساعة بدأت الأرض الرملية تتحول تدريجيّاً لصخرية مليئة بالجحور الكبيرة كالكهوف وقبل أن تنزل بدأت ترى كائنات كالحور لكنها بشعة جدّاً وتملك مخالب وأنياباً كبيرة تندفع نحوها بالمئات فعلمت أنها الغرانيق فتبسمت وقالت محدثة نفسها: أخيراً وصلنا..

اشتبكت (أمفرتيت) مع تلك الكائنات المتوحشة ذات الأحجام المتفاوتة بين متوسط وكبير وكبير جدّاً لدرجة أن بعضها كان يفوق (أمفرتيت) حجماً لكنهم لم يصلوا لجزء يسير من قوتها الطاغية فمزقتهم جميعاً ومهما توالت أفواج الغرانيق عليها كانت تقطعهم لأشلاء حتى تحولت مساحة كبيرة من الماء حولها لسحابة حمراء كبيرة. خلال تلك المعركة الضارية صرخ صوتٌ من بين حشود الغرانيق وأمرهم بالتوقف فتراجعت الغرانيق وحل مكانها الأسماك الصغيرة التي بدأت تقتات على أشلائها المتناثرة. وقف الغرنيق الضخم الذي أمر البقية بالتوقف وأخذ بالتحديق في السحابة الحمراء الكبيرة بحثاً عن الكائن الذي مزق معظم أتباعه وبعد فترة

انقشعت السحابة الحمراء لتظهر من خلفها (أمفرتيت) وهي ممسكة برأس غرنيق في يدها.

(الغرنيق الضخم) بتوتر: من أنت؟! وماذا تريدين؟!

لم ترد (أمفرتيت) عليه واكتفت بالتحديق به بنظرةٍ حادة ومخيفة أتبعتها بالعوم للأعلى لتكون فوقهم ثم قامت برفع الرأس الذي كان بيدها والبدء بالتهامه وسط ذهول ورعب بقية الغرانيق أسفل منها..

(الغرنيق الضخم): أي نوعٍ من الكائنات أنتِ؟

(أمفرتيت) وهي ترمي ما تبقى من الرأس جانباً: أنا من ستحكمكم منذ اليوم ومن لديه اعتراض فليتقدم كي ألتهمه

(الغرنيق الضخم) بتعجب: تحكميننا؟

(أمفرتيت) وهي تزأر بقوة: نعم!

أنزل معظم الغرانيق رؤوسهم في إشارة منهم للخنوع لكن بعضهم عبس ولم يكن راضياً عما يحدث لكن الغرنيق الضخم كان من ضمن الخانعين وتنحى جانباً عن طريق (أمفرتيت) وتبعه مجموعة كبيرة

ولم يتبقَّ سوى عشرات منهم تملكهم الخوف عندما وجدوا أنفسهم وحدهم.

(أمفرتيت) بابتسامة خبيثة مخاطبة من تنحوا مع الغرنيق الضخم ومشيرة لمن لم يتبعهم: التهموهم..

نفذت الغرانيق الخانعة ما أمرتهم به (أمفرتيت) وشقوا صفوف المنشقين وقطّعوهم لقطع صغيرة والتهموهم فوراً.

(أمفرتيت) وهي تراقب المشهد من الأعلى: أقوى الممالك هي التي تبدأ بإراقة الدم..

(جريث) يلتف حول عنقها ويشاركها النظر للأسفل: يبدو أني فوتُّ احتفالاً دمويّاً جميلاً

(أمفرتيت) مبتسمة: لقد تأخرت أيها البشع.. كيف استطعت الوصول بهذه السرعة؟

(جريث): لا تستصغري ما يمكن أن أقوم به يا مولاتي..

أمضت (أمفرتيت) الأيام التي تلت تلك المعركة الدامية والتي ذاع صيتها في جميع أركان البحر الأسود ووصل علمها لبقية جماعات الغرانيق المتفرقة في أرجاء البحور السبعة في تأسيس مملكتها

واختارت جبلاً يعرف باسم جبل «قزام» مقرّاً لها وطلبت من أتباعها نحت عرشٍ كبير لها في أعمق كهوفه. عينت (أمفرتيت) ذلك الغرنيق الضخم الملقب بـ(جباس) الذي كان من أوائل المنضمين إليها كوزير حرب في مملكتها وأمرته بنشر خبر تأسيس «مملكة الغرانيق» في البحر الأسود وتعيينها ملكة عليهم بين جماعات الغرانيق الأخرى المنتشرة في البحور السبعة فبدأت تلك القبائل المتفرقة بعد إبلاغها بذلك الأمر عن طريق وفدٍ مرسل بقيادة (جباس) تتوافد على البحر الأسود لمبايعة (أمفرتيت) كحاكمة عليهم باستثناء بعض الغرانيق التي رفضت الوصاية وانشقت عن أمر (أمفرتيت) وقاومت سلطتها المزعومة عليها فما كان من الملكة إلا أن جهزت جيشاً من أقوى وأشرس الغرانيق في مملكتها وأرسلتهم في مهام قتل وتصفية وإبادة لهؤلاء المنشقين حتى قضت على معظمهم وأخضعت كل الغرانيق في البحور السبعة تحت إمرتها.

بلغ خبر تأسيس مملكة الغرانيق للملك (عقيق) في البحر الأبيض وكان وقتها لا يزال يسيطر كملك للبحور السبعة على جميع مفاصل دولته وخبر إعلان (أمفرتيت) مملكتها لم يزعجه كثيراً بل إنه كان سعيداً نوعاً ما بأن الغرانيق اجتمعت تحت إمرة قائدٍ واحد

يمكنه التحكم بهم ويمكن للملك التفاهم معه شريطة أن يبايع الملك (عقيق) ويكون تحت إمرته كما حدث مع الكثير من الممالك الصغرى المنتشرة في البحور السبعة مثل «مملكة الأخابيط» ويحكمها شعب يشبه شعب الحور في الجزء الأعلى من جسمه لكنهم يملكون مجساتٍ كمجسات الأخابيط بدل الذيول السمكية وعاداتهم أكثر تشدداً وتحفظاً من غيرهم وكذلك «مملكة النور» وهم شعب مشابه أيضاً لشعب الحور لكنهم خلط بين الحور والقناديل ويملكون ذيولاً كلواسع القناديل بدل ذيول الأسماك ويمتازون بالحكمة والعلم الواسع ورجاحة العقل. وممالكَ أخرى تحكم الكائنات البحرية الضخمة كـ«مملكة الحيتان» في منطقة «قوس الشمس» والتي تحكمها الملكة (أوركا) و(مغلود) حاكم القروش المقيم بشكلٍ دائم في البحر الأسود ولا يجرؤ أحدٌ على التعرض له أو للقروش التابعة له إلى غيرها من الممالكِ المتفرقة في البحور السبعة لذا فإعلان (أمفرتيت) مملكة للغرانيق لم يكن ليعتبر انشقاقاً لو أنها بايعت الملك (عقيق) على السمع والطاعة والاحتكام لأمره لكن ذلك لم يحدث ووصلت تلك الرسالة بشكل واضح وجلي لملك البحور السبعة عندما أرسل وزيرته (طيمة) مع مجموعة من الحيتان للبحر الأسود للتثبت من

خبر قيام تلك المملكة الجديدة والتعرف على حاكمها وأخذ العهد منه على السمع والطاعة للملك (عقيق).

(جباس) يدخل على (أمفرتيت) وهي تعتلي عرشها الحجري الكبير في جبل «قزام» في البحر الأسود ويحني رأسه أمامها قائلاً: هناك وفد من البحر الأبيض يطلب مقابلة جلالتك..

(أمفرتيت) مبتسمة: وأخيراً تحرك الكهل (عقيق) عندما شعر بعظمة مملكتي.. أدخلهم علي بعد إبقائهم فترة من الزمن في الخارج

(جباس) ينزل رأسه في خضوعٍ تام: أمرك

(جريث) وهو ملتف حول عنق (أمفرتيت): ماذا تنوين أن تفعلي يا ملكة الملوك؟

(أمفرتيت) وعينها على المدخل: ابقَ صامتاً ولا تتدخل يا (جريث)..

بعد فترة من الانتظار دخلت الوزيرة (طيمة) مع عشرة من الحيتان الرمادية الكبيرة وقدمت التحية لـ(أمفرتيت) وقالت: أنا مبعوثة من ملك الملوك حاكم البحور السبعة جلالة..

قاطعت (أمفرتيت) حديث (طيمة) وقالت: تتحدثين عن (عقيق) وكأنه إله وهو مجرد حوري عجوز مبتور النسل

تجهمت الوزيرة (طيمة) مما سمعته وبدأت الحيتان الضخمة تحيط بها في انتظار أمرها بالهجوم على (أمفرتيت) لإهانة الملك لكنها لم تطلق ذلك الأمر وقالت: أنا لا أعرف من أنت لكني متيقنة من أنكِ تعرفين من هو الملك (عقيق) وماذا يمكنه أن يفعل لمملكة مولودة حديثاً لو وصله كلامك الوقح هذا

(أمفرتيت) بابتسامة ساخرة وبلا اكتراث: أريد أن يصله هذا الكلام يا (طيمة)..

(طيمة) باستغراب: هل تعرفينني؟

(أمفرتيت): ومن لا يعرف وزيرة الملك المخلصة (طيمة) ومستشارها الأمين (مارج)

(طيمة): إذاً فأنت تعرفين قدرة مملكة الحور على محو مملكتك خلال ساعات

(أمفرتيت) وهي تشير لـ(جباس) بمخلب سبابتها للاقتراب منها..

عام (جباس) حتى وصل عند أسفل ذيل (أمفرتيت) وحنى رأسه والوزيرة (طيمة) تراقب ذلك المنظر بتعجب شديد فالغرانيق كائنات متوحشة وهمجية ولا تخضع لأحدٍ أبداً ومن يحاول إخضاعها تقاتله

حتى الموت لكن ما كانت تراها أمامها كان شيئاً مخالفاً لطبيعتها ولا يتأتى إلا بقوة جبارة.

(أمفرتيت) لـ(جباس): كلهم ما عدا السلحفاة العجوز..

(جباس): أمرك

رفع (جباس) يده فخرج مئات الغرانيق من الثغور الموجودة في المكان وأحاطوا بالوزيرة (طيمة) وحيتانها..

(طيمة) بتوتر وهي بين الحيتان الضخمة المحيطة بها لحمايتها: ماذا تفعلين؟!.. هذا خرق للعهد مع الملك (عقيق)!

(أمفرتيت) بابتسامة خبيثة: لا بيعة في رقبتي لـ(عقيق) أو غيره..

هجمت الغرانيق على الحيتان ودخلت معها في عراك ضارٍ استغرق بعض الوقت حتى قتلتها جميعاً لتبقى (طيمة) وحدها لكنها لم تهتز ولم تتوسل وظلت تحدق بحدة وحنق في (أمفرتيت) التي قالت لها بثقة: عودي للكهل (عقيق) وأخبريه بأن الملكة (أمفرتيت) قادمة إليه..

لم ترد (طيمة) عليها وحركت زعانفها واستدارت في رحلة طويلة عائدة للبحر الأبيض..

أبلغت الوزيرة (طيمة) بعد وصولها لمملكة الحور ما حدث معها للملك (عقيق) الذي استشاط غضباً وهم بتوجيه جيوشه لغزو البحر الأسود لكن (طيمة) أشارت عليه بعكس ذلك وقالت: أرى أن لا نستعجل يا جلالة الملك بالهجوم على مملكة الغرانيق..

الملك (عقيق) وهو يصرخ في (طيمة): لا يوجد مملكة إذا لم أعلنها كذلك!

(طيمة) وهي تحني رأسها: أعتذر يا مولاي لكن ما زلت أشير عليك بعدم مهاجمتهم

(عقيق) والغضب لا يزال يتفجر من عينيه: لماذا أيتها الوزيرة؟!

(طيمة): بعد مقتل حراسي من الحيتان اضطررت أن أعود وحدي من البحر الأسود إلى البحر الأبيض ولم أستعن بأي تيار لاختصار الطريق.

(عقيق) وقد بدأ يهدأ قليلاً: لماذا؟ كان بإمكانك ركوب التيارات المتوسطة للوصول إلى المملكة بسرعة خاصة وأن الطريق من البحر الأسود إلى هنا محفوف بالمخاطر

(طيمة): بالضبط يا سيدي هذا ما كنت أريد أن أتحقق منه

(عقيق): تتحققين من ماذا؟

(طيمة): في السابق لو كنت قطعت مثل هذا الطريق وحدي لكنت غالباً سأتعرض لخطر ما خاصة من الغرانيق لكن هذه المرة لم يتعرض لي أحدٌ منها عندما مررت بهم في البحر الأسود بعد خروجي من حدود جبل «قزام»

(عقيق): ماذا تريدين أن تقولي؟

(طيمة): الغرانيق أصبحت أكثر انضباطاً من السابق ولم يجرؤ أحدٌ منها على إلحاق الأذى بي دون أمرٍ مباشر من (أمفرتيت) وذلك الخنوع والانضباط أمر مقلقٌ جدّاً

(عقيق):.. (أمفرتيت) من؟

(طيمة): حاكمتهم الجديدة..

(عقيق): لم يستطع غرنيق في السابق مهما بلغت قوته أن يسيطر على أكثر من حفنة من الغرانيق لا تتعدى أعدادهم العشرات وهذه الغرنيقة وحدت ألوفاً تحت إمرتها.. كيف فعلت ذلك؟

(طيمة): لأنها ليست غرنيقاً..

(عقيق) بتعجب: ماذا؟ ما فصيلتها إذاً

(طيمة): لا أعرف يا مولاي.. خلق جديد لم أرَ مثله من قبل.. تشبه الغرانيق لكنها ليست بشعة مثلهم وكأنها هجين بين الغرانيق والحور

(عقيق): هي سايرينا إذاً..

(طيمة): لا فالسايرينات لا يملكون أجساداً بحراشف مثلها ثم إنها كانت أضخم من أي سايرينة رأيتها من قبل

(عقيق) بتجهم: أيّاً كانت فقد تحدت سلطتي ويجب أن تعاقب!

(طيمة): لقد عينتني وزيرة لثقتك برأيي أليس كذلك أيها الملك المعظم؟

(عقيق): أشعر أن في فمك تراباً يا (طيمة).. أفصحي عما يدور في رأسك ولا تخشي سخطي

(طيمة): تلك الغرنيقة أو أيّاً كان نسلها لن تستطيع تنفيذ تهديدها لنا وهي تعلم ذلك فمملكة الحور مدعومة بجيوش ممالك البحور السبعة مجتمعة ولو فكرت مجرد التفكير بدخول البحر الأبيض فسوف تهلك هي وشعبها الهمجي

(عقيق): تقترحين إذاً السكوت على إهانتي وتحدي سيادتي؟

(طيمة): على العكس تماماً.. ستعاقب ويجب أن تعاقب لكن بالحكمة وليس الغضب..

(عقيق): أكملي حديثك أنا منصت..

(طيمة): سوف نرسل وفوداً لتجديد المواثيق مع الممالكِ الأخرى لتأكيد وقوفهم معنا عند الحاجة وخلال تلك الفترة أنا واثقة من أن (أمفرتيت) ستبدأ بالعبث وإرسال غرانيقها لإثارة الفوضى بالقتل والافتراس بين كائنات البحور السبعة

(عقيق): وقتها ندافع عن الكائنات التي تعهدنا بحمايتها

(طيمة): لا يا مولاي.. سنتركها تقتل وتعبث كما تشاء

(عقيق) بتعجب يخالطه بعض السخط: وأترك الكائنات البريئة التي تحتمي بي ضحية لها ولغرانيقها دون حماية؟!

(طيمة): لا يوجد أبرياء أو ضحايا.. مجرد ضعفاء ومستضعفين.. ثمن زهيد سندفعه يا مولاي خاصة وأنها لن تجرؤ على العبث بالممالك الكبيرة مثل «مملكة الأخابيط» أو «مملكة النور»

(عقيق): مقابل ماذا؟

(طيمة): نشر (أمفرتيت) لغرانيقها في البحور السبعة لإثارة الفوضى سيضعف تحصنها في البحر الأسود وكلما سكتنا عن ذلك العبث أرسلت المزيد منهم لإحداث فوضى أكبر للفت انتباهك

(عقيق) مبتسماً: وستضطر لتخفيف الأعداد التي تحيط بها في جبل «قزام» وستصبح هدفاً أسهل

(طيمة): بالضبط يا مولاي ووقتها نوجه لها ضربة موجعة بجيشٍ مكون من جميع حلفائنا ولن تستطيع المقاومة أو الهرب ولن نضطر لخوض معركة أطول مما يجب مع الغرانيق ونقطع رأس الأفعى التي تجمعهم

(عقيق): خطة رائعة يا (طيمة).. إبدئي في تنفيذها فوراً..

(طيمة) وهي تحني رأسها وتهم بالرحيل: أمرك

(عقيق) مستوقفاً وزيرته : انتظري يا (طيمة)..

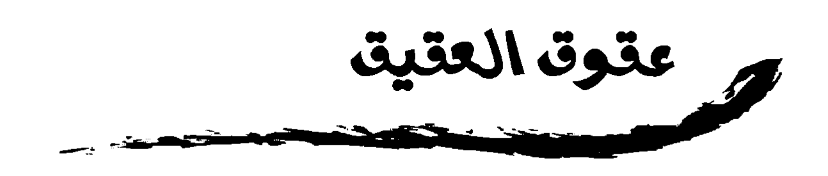
(طيمة): بماذا يأمر جلالتك؟

(عقيق): هل فحصتِ (لؤلؤان) اليوم؟

(طيمة): أفحصها كل يوم حسب توجيهاتك ولو رأيت أي أثر بأنها حبلى لكنت أخبرتك في الحال

(عقيق) بوجه محبط: ارحلي الآن..

(طيمة): حاضر



عقوق العقيق

نفذت الوزيرة (طيمة) ما اتفقت عليه مع الملك (عقيق) وأرسلت مبعوثين لجميع الممالكِ الكبيرة الخاضعة تحت حكم مملكة الحور وجددت معهم عهد الولاء لكن الملك (مغلود) حاكم القروش رفض المشاركة مع جيش الملك (عقيق) في حال قرر الهجوم على الغرانيق واختار الحياد بزعمه أنهم جيران له في البحر الأسود ولا يريد خسارتهم. خلال تلك الفترة صحت توقعات الوزيرة (طيمة) وبدأت (أمفرتيت) بإرسال غرانيقها للإفساد والتخريب وإثارة الرعب والهلع بين كائنات البحور السبعة لكنها لم تتعرض للتجمعات القوية للكائنات الضخمة واكتفت بالنيل من الكائنات الصغيرة كالأسماك والقشريات والرخويات ودمرت منازلهم وعكرت صفو حياتهم واعترضت كذلك الأسراب المهاجرة منها وخربت دائرة الحياة اللازمة لبقائها وكانت الوزيرة (طيمة) ترفع تقريراً مفصلاً للملك (عقيق) بشكل دوري بكل ما يستجد وتنقل له الشكاوى الكثيرة التي كانت تصل لمملكة الحور من الكائنات

الصغيرة والتي كان يتجاهلها حسب مشورة وزيرته.

مضت شهور على هذا الحال ولم يتحرك الملك قيد أنملة لوقف عبث (أمفرتيت) في البحر مما دفعها لتوجيه غرانيقها للبدء باستهداف الكائنات المتوسطة مثل الدرافيل، السلاحف والأخابيط وغيرها واضطرت لتحقيق ذلك لنشر المزيد من غرانيقها المحيطة بها في البحر الأسود وإرسالها لجميع أرجاء البحور السبعة.

(طيمة) وهي تدخل على الملك (عقيق): لدي أخبار مفرحة لك اليوم

(عقيق) بحماس: هل (لؤلؤان) حبلى؟!

(طيمة) بوجه متوتر من سخط الملك: لا يا سيدي

(عقيق) بغضب: ماذا إذاً؟!

(طيمة): الغرانيق بدأت باستهداف الكائنات المتوسطة كما توقعنا وخطتنا تسير كما يرام

(عقيق): ومتى سنغزوهم للإطاحة بملكتهم المزعومة؟

(طيمة): قريباً لكن لدي تحفظاً على أمرٍ ما

(عقيق): ما هو؟

(طيمة): حاكم القروش (مغلود)..

(عقيق): ما به؟

(طيمة): متعاطف مع توجهات (أمفرتيت) وأخشى أن يغدر بنا ويتحالف معها خاصة بعد اتخاذه الحياد فيما يتعلق بالحرب ضدها دفاعاً عن مملكة الحور وجيشه لا يستهان به وإذا تحالف مع (أمفرتيت) فستتكبد خسائر أكبر في غزوتنا عليها وفي أسوأ الاحتمالات قد نخسر المعركة

(عقيق): لا تقلقي بهذا الشأن.. (مغلود) لن يتحالف معها

(طيمة): لا أشك بحكمتك أيها الملك لكن كيف تيقنت من ذلك؟

(عقيق): الملك (مغلود) يحكم كائنات مفترسة لا تختلف وحشية عن الغرانيق وسيطرته عليها ليست من خلال قوته فقط

(طيمة): بماذا إذاً؟

(عقيق): قروشه تتغذى على الأسراب المهاجرة من الكائنات المتوسطة التي تعبر البحر الأسود بإذنٍ مني ولو فكر بخيانتي فسوف أمنع الهجرة من خلال البحر الأسود وسينقلبون عليه لأن معظم

القروش لا تترك مواطنها بسهولة وهي ليست كائنات مهاجرة بطبعها وتنتظر طعامها كي يأتي إليها من خلال مواسم الهجرة على عكس معظم الكائنات المفترسة الأخرى.

(طيمة) وهي تبتسم: ونحن من يتحكم بطعامها..

(عقيق): نعم والغرانيق لن تنفعه عندما أوقف الأسراب المهاجرة عبر مملكته وأجوع شعبه

(طيمة) تحني رأسها: أعتذر للسؤال فحكمتك أكبر من أن تفهمها سلحفاة متواضعة التفكير مثلي

(عقيق): هل فحصتِ (لؤلؤان) اليوم؟

(طيمة): أتيت لك مباشرة عندما استلمت خبر تحرك الغرانيق وسوف أذهب إليها الآن

(عقيق) يشوح بيده بوجه محبط: اذهبي الآن..

(طيمة): أمرك

خرجت (طيمة) ولم تغب طويلاً حتى عادت على عجالة للملك وقالت بحماسٍ وهي سعيدة ومستبشرة: الملكة حبلى!.. الملكة حبلى!

حرك (عقيق) ذيله الضخم وعام بسرعة تجاه (طيمة) كاسراً كل الأعراف الملكية وأمسك بها وهز قوقعتها بقوة وهو يقول: هل أنت متيقنة؟!

(طيمة) ورأسها يترنح من هزة الملك القوية لصدفتها: نعم متيقنة!

رمى (عقيق) بوزيرته للأعلى وارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة ألحقها بصرخة بهيجة: وريثي وصل!!

بعد مضي الثلاثة الأشهر الأولى وضعت (لؤلؤان) بيضتها وكان الملك قد شدد الحراسة عليها بشكلٍ كبير ومنع أي أحدٍ من زيارتها عدا (طيمة) لتفقد أحوالها حتى هو لم يزرها ولا مرة منذ تلقيه الخبر وبالرغم من أن طبول الحرب كانت تُقرع بين مملكة الغرانيق ومملكة الحور وحلفائهم والتوتر قد وصل لذروته بينهم إلا أن الملك (عقيق) لم يشأ الدخول في حربٍ قبل رؤية وريثه مما دفع الممالك الأخرى للتذمر وإرسال مندوبيها ورسلها بشكل مستمر لحث الملك على التصرف مع تجاوزات الغرانيق التي بدأت تتجاوز الحد المعقول وطالت في تماديها بعض الكائنات الكبيرة أيضاً.

(طيمة) للملك (عقيق) خلال إحدى زياراتها له: البحور السبعة تشتعل أيها الملك ولا بد من وضع حدٍّ لتجاوزات الغرانيق وبسرعة

(عقيق): ليس قبل أن يصل وريثي

(طيمة): البيضة ستفقس خلال أسبوع ولو تحركنا الآن فسنسحق الغرانيق خلال أيام معدودة

(عقيق): لقد صبرنا كثيراً ويمكننا أن نصبر أسبوعاً آخر

(طيمة): لا أظن يا جلالة الملك

(عقيق) بتجهم: ماذا تقصدين؟

(طيمة): لم أكن أريد إخبارك لكن (أمفرتيت) بدأت ترسل رسلاً للممالك المتحالفة معنا وتعرض عليهم الصلح مقابل مبايعتها والأخبار التي تصلني تفيد بأن بعض تلك الممالك بدأ يفكر جديّاً بالأمر حفاظاً على سلامة شعبه

(عقيق) بغضب شديد: الخونة!

(طيمة): لا تلمهم يا مولاي لقد أهملناهم لما يقارب العام و(أمفرتيت) أراقت الكثير من الدماء وشتتت العديد من الأسراب

(عقيق) بهدوء: ما تعداد جيشها الآن؟

(طيمة): حسب آخر علمٍ وصلني من جواسيسنا فالغرانيق الموجودة

في البحر الأسود لا تتعدى العشرة الآلاف ثلثاهم متمركزون عند جبل «قزام»

(عقيق): وماذا عن جيش الحور وحلفائه؟

(طيمة): جيشنا يتكون من خمسين ألف كائن بين حيتان وأخابيط ضخمة بالإضافة لأفراد من الحور

(عقيق): والحلفاء؟

(طيمة): المملكة (أوركا) تعهدت بتزويدنا بثلاثة آلاف حوتٍ أزرق و«مملكة النور» لا يملكون مقاتلين أقوياء لكن خدماتهم في المشورة والتجسس كانت مفيدة لنا أما مملكة الأخابيط..

الملك (عقيق) مقاطعاً الوزيرة (طيمة): يكفي.. سنتحرك الآن للبحر الأسود بنصف جيشنا وليبقَ النصف الآخر بقيادتك لحماية المملكة وأرسلي لبقية الممالك المتحالفة معنا بأن ترسل تعزيزاتها بسرعة وأن يستخدموا التيارات القوية لاختصار الوقت وسوف نلتقي بهم عند الملك (مغلود)

(طيمة) بتعجب: (مغلود)؟

(عقيق): نعم فهو موجود حاليّاً عند أطراف البحر الأسود وسوف

أستعين به لمنع الغرانيق الهاربة من الخروج خارج حدود البحر الأسود لطلب التعزيز من أتباعهم المنتشرين في البحور السبعة حتى نقتل ملكتهم

(طيمة): هل تأذن لي بمشورة أخيرة أيها الملك المعظم قبل أن نتحرك

(عقيق) بتجهم: تحدثي بسرعة لا وقت لدينا!

(طيمة): لا تقتل (أمفرتيت).. قم بأسرها والعودة بها لمملكة الحور فقط

(عقيق) بغضب: ماذا؟!.. وما الحكمة في ذلك؟!

(طيمة): الغرانيق بعد حكمها تعلمت الانضباط ومع الانضباط يأتي الولاء والغرانيق المنتشرة في البحور السبعة تقدر بثمانين ألف غرنيق ولو قرروا الانتقام لملكتهم في الوقت نفسه فسنواجه حرباً طاحنة يخسر فيها الجميع

(عقيق) وقد خف غضبه: وماذا بعد أسرها؟

(طيمة) ببرود: نقتلها..

(عقيق) بتعجب: ما الحكمة من أسرها إذاً؟

(طيمة): قتلها في أرض المعركة سيخلق منها شهيدة ورمزاً للغرانيق يخلده تاريخهم للأبد والرموز لا تموت مهما حدث بل يموت لأجلها الكثير من الأحياء..

(عقيق): وما الذي سيمنع حدوث ذلك لو قتلناها هنا؟

(طيمة): وجودها على قيد الحياة عندنا لفترة سيجعل الغرانيق تتروى في الهجوم علينا ومع مرور الوقت سيتشتتون ويعودون لأطباعهم وفرقتهم السابقة وقد يقتتلون فيما بينهم أيضاً عندها نقتلها بهدوء وتنتهي مملكة الغرانيق

(عقيق) مبتسماً: وتقولين إن تفكيرك بسيط

(طيمة) وهي تحني رأسها للملك: كلنا نستسقي الحكمة منك يا مولاي..

(عقيق): فليكن إذاً.. أخبري (مارج) بأن يُعد الجيش الذي سأقوده بنفسي لدحر من لقبت نفسها بـ(ملكة الغرانيق)

نجح الملك (عقيق) في مسعاه وقتل الكثير من الغرانيق في حربه الكبيرة التي دارت في عمق مملكتهم وتحديداً عند جبل «قزام» ولم يفر منهم إلا أعداد قليلة تمكن جزءٌ منها من تجاوز حصار (مغلود)

المحكم مع جيشه عند مخارج البحر الأسود واستطاع بعد مقاومة عنيفة من الملكة (أمفرتيت) وقتل عدد كبير من جيشه على يدها محاصرتها وتخديرها بالقناديل والثعابين السامة والعودة بها مكبلة لمملكة الحور في البحر الأبيض منتصراً وسط بهجة واحتفال شعبه وكائنات البحر كلها.

(عقيق) وهو يدخل مقر عرشه مع مَنَادِيبِ حلفائه وحراسهم و(أمفرتيت) المكبلة ويعتلي عرشه الحجري الكبير: بلغوا شكري وتقديري لملوككم على دعمهم حلفنا المشترك..

(مندوب الملكة أوركا): هذا واجبنا يا جلالة الملك

(عقيق) وهو يشير لـ(أمفرتيت): لقد تخلصنا من وباءٍ كاد يفتك بنا جميعاً وهذه المكبلة ستبقى أسيرة لدينا حتى تحاكم على جرائمها

(مندوب مملكة الأخابيط): ولِمَ المحاكمة يا جلالة الملك؟ جريمتها واضحة والبحور السبعة تشهد عليها.. أرى بعد إذنك أن تعدم الآن وأمام الجميع!

(عقيق): يبقى القانون قانوناً ونحن ندير شؤوننا بشكل مختلف عن مملكتكم

(مندوب مملكة الأخابيط): أمرك يا جلالة الملك

(عقيق) يشير لأتباعه: خذوها للسجن..

سيقت (أمفرتيت) خارج المكان وبدأ المَنَاديبُ بالاستئذان واحداً تلو الآخر للرحيل والعودة لممالكهم حتى بقي مندوبٌ واحد وهو مندوب «مملكة النور» وقد كان أميراً شابّاً في مقتبل العمر يدعى (سرجن) يحيط به مجموعة من الأسماك الذهبية المشعة وقال وهو حانٍ رأسه للملك: لدي طلبٌ من جلالتك إذا سمحت لي..

(عقيق) مبتسماً: آه نعم.. «مملكة النور».. عقول كبيرة تحملها أجسادٌ هزيلة.. اطلب ما تشاء وهو لك

(سرجن): كما يعلم جلالتك بأننا شعبٌ مسالم نكره الحروب وقد كرسنا شعوبنا للبحث والعلم وتطوير حياتنا والارتقاء بها

(عقيق) وهو مستاء من نبرة (سرجن) المتعالية قليلاً: بدون القوة التي أوفرها لحمايتكم لم تكونوا لتستطيعوا البقاء والبحث في أي شيء!

(سرجن) وهو يضع أحد لواسعه على صدره ويحني رأسه: ونحن ممتنون ومقدرون لكرمك هذا ولن نبقى عالة بعد الآن على مملكة

الحور ونطلب إذنك بالسماح لنا بالهجرة

(عقيق) باستنكار: الهجرة؟!.. إلى أين؟

(سرجن): أقصى جنوب البحر المظلم..

(عقيق): لَمَ اخترتم المكان الوحيد الذي تكون فيه سلطتي الأضعف؟

(سرجن): هذا المكان الحياة فيه شبه معدومة ونريد إعمارها بعيداً عن ضوضاء البحور السبعة

(عقيق): سأوافق بشرط..

(سرجن): لك ما تأمر يا جلالة الملك

(عقيق): أن تبقوا موالين لي وتتركوا جزءاً من شعبكم كمستشارين في مملكتي

(سرجن): أنا مخول من ملكنا بقبول شرطٍ كهذا.. لك ما أردت أيها الملك.. سوف نرسل خيرة مستشارينا ليعملوا بجانبك وسنرحل مع بداية القمر الجديد

خرج مندوب «مملكة النور» ولم يبقَ في المكان سوى الوزيرة (طيمة) التي كانت تتابع ما يحدث بصمت وبعض حراس الملك من الحيتان

بالإضافة لحارسه المخلص (كوكب). صرف الملك حراسه وبقي مع وزيرته وحده وقال لها: كيف حال وريثي؟

(طيمة): من المفترض أن تفقس البيضة اليوم أو غداً

(عقيق): ألن تخبريني؟

(طيمة) ووجهها يتغير وكأنها تعي ما يقصده الملك: أخبرك بماذا يا جلالة الملك؟

(عقيق) بإحباط: مراوغتك هذه أعطتني الإجابة..

(طيمة) وهي تواسي الملك (عقيق): الإناث يمكنها أن تحكم أيضاً وأنت سترزق بأميرة جميلة

(عقيق): لم يحكم شعب الحور من قبل أنثى عبر تاريخهم الطويل وهذه ستكون سابقة مشينة في حقي

(طيمة): الإناث يستطعن تولي مهام الذكور أيضاً

(عقيق) وهو يصرخ بغضب مخيف في (طيمة): هل تستطيع الإناث القتال؟! هل تستطيع الإناث أن يحكمن خلال رعايتهن للبيوض؟!.. الإناث مهما بلغن فلن يبلغن مبلغ الذكور أبداً!

(طيمة) وهي تنزل رأسها محدثة نفسها: (أمفرتيت) أنثى..

(عقيق) بغضب وصوت اهتز له المكان: هل تتمتمين في حضوري يا زاحفة؟!

(طيمة): أعتذر اصفح عني!

(عقيق) بغضب: اخرجي قبل أن أقتلك وأبيد شعبك المتهالك!!

(طيمة) بحزن وقهر: أمرك

(عقيق): ونفذوا حكم الإعدام بحق الغرنيقة (أمفرتيت) فلم يعد هناك سببٌ لتأجيله ولا تعلنوا الخبر حتى أسمح بذلك!

(طيمة) وهي تهم بالرحيل: أمرك

خرجت الوزيرة (طيمة) من أمام الملك الغاضب وكان في استقبالها (مارج): لقد حجزنا ملكة الغرانيق في الحفرة المظلمة أسفل الوادي الرملي

(طيمة) بحزن وإحباط: لا تقل "ملكة" كي لا يسمعك الملك ويبيدك أنت وشعبك كما يقول دائماً

(مارج): ما بك يا معالي الوزيرة؟.. لا تبدين بأحسن حال

(طيمة) متجاهلة سؤال (مارج): سأكون بجانب الملكة (لؤلؤان) حتى تفقس بيضتها.. شدد الحراسة عليها ولا تسمح لأحد بإزعاجنا وجهز العدة كي نزور (أمفرتيت) الليلة

(مارج): أي عدة

(طيمة): لقد أمر الملك بإعدامها وسوف تقوم أنت بذلك بدس الأفاعي السامة في الحفرة معها

(مارج): ألم يقل الملك للنواب بأنه سيحاكمها؟

(طيمة) بعصبية: لا تجادلني يا (مارج)!

(مارج): حاضر

ما أن تجاوزت الوزيرة (طيمة) مجموعة الحيتان الموكلة بحراسة مهجع الملكة (لؤلؤان) ودخلت عليها حتى رأتها تحتضن بين أذرعها حورية صغيرة جميلة بأعين زرقاء وشعرٍ أكثر زُرقة.

(لؤلؤان) بوجه باسم ومبتهج: اقتربي يا (طيمة) وسلمي على الأميرة (لج)..

(طيمة) وهي تحرك زعانفها مقتربة من الملكة وابنتها وهي تبتسم:.. (لج)؟

(لؤلؤان): نعم (لج).. أعرف بأن الملك (عقيق) سيرفض تسميتها لأنها أنثى فسميتها أنا

(طيمة) تمسح بطرف زعنفتها على رأس (لج) الصغير: اسم جميل يا جلالة الملكة من المؤسف أن يوم ميلادها سيلطخ بالدم

(لؤلؤان) بقلق: الدم؟

(طيمة): نعم فالملك أمر بإعدام ملكة الغرانيق المأسورة لدينا

(لؤلؤان): لكن ذلك سيكون فأل شؤم على ابنتي!

(طيمة): لا أجرؤ على مخالفة أمره أو الحديث معه في هذا الخصوص

(لؤلؤان) وهي تضع (لج) فوق صدفة (طيمة) بتجهم: لكن أنا أجرؤ!

حركت (لؤلؤان) ذيلها في نية للخروج فنادت عليها (طيمة) بقلق: إلى أين يا مولاتي؟!

(لؤلؤان) وهي تخرج من مهجعها: لقد انتهت فترة حضانتي وسوف أقابل زوجي!

لم يمنع أحدٌ من الحراس المتمركزين خارج المهجع الملكة من الخروج

بل إنهم لم يرفعوا نظرهم في أعينها فهي مهما حدث تبقى الملكة ولها كيانها وكياستها واحترامها من احترام الملك.

(لؤلؤان) وهي تدخل على الملك (عقيق) الذي كان لا يزال وحده بعد صرف حراسه: ما الذي تفعله يا (عقيق)؟!

(عقيق) بهدوء: ماذا تريدين يا (لؤلؤان)؟ ولا تناديني بلا ألقاب..

(لؤلؤان) بتجهم: كيف تعطي أمراً بالإعدام يوم ولادة وريثك؟!

(عقيق) بسخرية: تقصدين وريثتي..

(لؤلؤان) بغضب وسخرية مماثلة: اسمع يا جلالة الملك المعظم أنا لم أبقَ في ذلك المهجع شهوراً طويلة كي تستقبل ابنتك بهذا الوجه العابس!

(عقيق) وقد بدأ يغضب: ماذا تريدين مني أن أفعل؟!

(لؤلؤان) بحزن: أن تفرح.. أن تبتهج.. لقد رُزقت بأميرة جميلة لِمَ لا تستطيع رؤية الهدية التي أحاول أن أهديها لك؟!

(عقيق): كنت أريد ذكراً..

(لؤلؤان): لا تضحِّ بالجميل لتحصل على ما هو أجمل فقد تخسرهما معاً..

(عقيق) وهو يزفر: افعلي ما تشائين..

(لؤلؤان): لن تعدم الغرنيقة اليوم ولا أي يوم وسوف أحضر ابنتك لك الآن وأريد منك أن تحتفل بمولدها وأن تأمر جميع الممالك أن تحتفل معنا أيضاً

(عقيق): لنكتفِ باحتفال بسيط في مملكة الحور وبالنسبة للغرنيقة لا أستطيع إبقاءها على قيد الحياة

(لؤلؤان): قم بنفيها إذاً وأعدمها لاحقاً لكن لا ترق دمها في مملكتنا

(عقيق) بتهكم: حسناً يا جلالة الملكة.. هل تأمرين بشيءٍ آخر؟

(لؤلؤان) تحرك ذيلها وتهم بالخروج بعبوس: سوف أرسل ابنتك مع (طيمة) ستتعرف عليها بسهولة فقد ورثت عينيك البشعتين!

(عقيق) يبتسم وهو يراقب زوجته تخرج غاضبة..

بعد دقائق من خروج الملكة دخلت الوزيرة (طيمة) وفوق صدفتها كانت تستلقي حورية صغيرة بشعرٍ أزرق يخالطه بعض الشعيرات الحمراء وأعين زرقاء واسعة وحراشف ذيلٍ ملونة بدرجات اللون الأزرق مع قليلٍ من درجات اللون الأخضر.

توقفت الوزيرة (طيمة) عن العوم عند أقدام الملك (عقيق) الذي

بقي يراقب ابنته الصغيرة وهي تلعب على ظهرها ويحدث نفسه وقبضته على خده: لمَ لم تكوني ذكراً؟

لم تحرك الوزيرة (طيمة) ساكناً و(لج) فوقها تعبث وتلعب بصدفتها حتى تحدث الملك (عقيق) معها وقال: لا تعدموا (أمفرتيت)..

(طيمة): حاضر يا سيدي..

عندها انتبهت (لج) لأبيها وحركت ذيلها الصغير وعامت تجاهه وبدأت تلعب بشعره الرمادي الكثيف. تخوفت (طيمة) من ردة فعل الملك وقالت بارتباك: هل تأذن لي بأخذ سمو الأميرة للخارج؟

(عقيق) وهو يمسك (لج) بيديه الكبيرتين برفق ويضعها نصب عينيه ويحدق بها: لا.. اتركيها معي

(طيمة): أمرك

(عقيق) يمعن النظر في الوسم الملكي على جبين (لج) ويقول:هذا أجمل شيء فيك..

(طيمة): هل تأمرني بشيء آخر؟

(عقيق) يضع (لج) في حجره ويقول: انفوا الغرنيقة لـ«المدينة

المفقودة» في البحر الأزرق واحبسوها هناك وعينوا عليها حراسة مشددة ولا تطعموها حتى تموت

(طيمة): كما تشاء يا سيدي

بعد عدة أيام نُقلت (أمفرتيت) للبحر الأزرق ورافقها خلال تلك الرحلة مجموعة كبيرة من الحيتان والقروش بقيادة الوزيرة (طيمة) لوضعها في مقرها الأخير. بعد وصول الموكب لـ«المدينة المفقودة» اختارت (طيمة) أحد المباني الحجرية القديمة وأمرت من معها بتقييد (أمفرتيت) في الداخل وقد كانت مخدرة بالكامل جراء وخزها بمخدر قوي تفرزه أنواع نادرة من القناديل. عندما أفاقت ملكة الغرانيق بدأت تحاول التفلت من قيودها المعدنية بغضبٍ شديد فقالت لها (طيمة) والحراس من خلفها: لا تحاولي فهذا المعدن مصقول بحمم الجبال النارية ولا يستطيع أحدٌ تحطيمها

(أمفرتيت) وهي تتنفس بحنق وغضب: شعبي لن يتركني وسوف يبحث عني ويحررني!

(طيمة) ببرود: شعبك تفرق وتشتت أسرع مما كنا نظن وعادوا لهمجيتهم السابقة وهم الآن منشغلون في الاقتتال فيما بينهم

صرخت (أمفرتيت) صرخة قوية عندما أدركت أنها لن تخرج من أسرها..

(طيمة) محدثة قائد الحراس: وزع أتباعك عند المدخل وحول المبنى واتركوني معها وحدنا

خرج الحراس جميعاً خلف قائدهم وبقيت الوزيرة (طيمة) تراقب (أمفرتيت) الساخطة بهدوء حتى حدثتها وقالت بتجهم: لَمَ لم ترحلي مع بهائمك يا زاحفة؟!

(طيمة) وهي تعوم ببطء حول المكان: الملك (عقيق) يعايرني بالزاحفة أيضاً عندما يغضب مني..

(أمفرتيت) بغضب: لأنك كائن حقير لا قيمة له!

(طيمة) وهي تمعن النظر في أحد النقوش على الجدران: لكن هذه الحقيرة تملك مفتاح الأقفال التي تقيدك

(أمفرتيت) بتوتر وحماسٍ متجهم: حرريني!.. حرريني!

(طيمة) وهي تلتفت على (أمفرتيت): وما الذي سأستفيد؟

(أمفرتيت): اطلبي ما تشائين

(طيمة): أنا لست حمقاء كالغرانيق الذين كنتِ تقودينهم.. لو حررتك الآن فستفتكين بي وبالحراس في الخارج في لمح البصر وتختفين في ظلمة البحر

(أمفرتيت): ماذا تريدين إذاً؟

(طيمة): ضماناً..

(أمفرتيت): على ماذا؟

(طيمة): على أنك لن تغدري بي أو بالأحرى شيئاً يمنعك من الغدر بي

(أمفرتيت): لا أملك ضماناً كهذا

(طيمة) وهي تحرك زعانفها وتهم بالرحيل: موتي بحسرتك إذاً يا ملكة الغرانيق

(أمفرتيت): انتظري!

(طيمة) وهي مستمرة بالعوم نحو المخرج: انتهى لقاؤنا

(أمفرتيت) بصوت مرتفع: أنا (درة)!

توقفت الوزيرة (طيمة) عن السباحة عندما سمعت اسم الحورية

التي أمر الملك (عقيق) بإعدامها حسب رواية (مارج) لها. أدارت (طيمة) نظرها نحو (أمفرتيت) والتي كانت بالطبع لا تشبه شكلها السابق نهائيّاً وقالت: (درة) من؟

(أمفرتيت): (درة) أخت الملكة (لؤلؤان) التي أدخلتها على الملك (عقيق) عندما كان يبحث عن زوجة!

(طيمة): هذه المعلومة يمكن لأي أحدٍ أن يدعيها

(أمفرتيت): وهل الجميع يعرف بأنها ألقت بتهمة قتل وريث الملك على نفسها بالرغم من أنها لم تكن الفاعل؟!

(طيمة) بتوتر: لا يوجد دليل على أنها لم تكن الفاعل

(أمفرتيت) اسأليني أنت إذاً!

(طيمة): أسألك ماذا؟

(درة): اسأليني أي سؤال لن تعرف إجابته سوى (درة)!

(طيمة) وبعد ثوانٍ من التفكير: حسناً.. عندما أحضرك (مارج) مع أختك لقصر الملك كان هناك حوريتان معكما.. هل تذكرينهما؟

(أمفرتيت): بالرغم من أني كنت منشغلة باللعب مع سمكتي

الصغيرة لكن نعم أذكر.. (يَمَّ) ابنة (فُلك) و(لظى) ذات الشعر الأحمر ما بهما؟

فتحت (طيمة) فمها واتسعت أعينها من الدهشة وقالت: كيف علمتِ بذلك؟

(أمفرتيت): لأني أنا (درة)..

(طيمة) وهي تعوم مقتربة منها: وما الذي حدث لكِ وكيف..

(أمفرتيت) مقاطعة (طيمة) بسخط: أنا حاقدة على (عقيق) أكثر منكِ وكرهنا المشترك هو الضمان الوحيد الذي أقدمه لكِ يا وزيرة مملكة الحور!

حدقت (طيمة) لفترة قصيرة في أعين (أمفرتيت) ثم قالت: لكن يجب أن نطيح به بطريقتي وليس بطريقتك..

(أمفرتيت) وهي تهز قيودها المعدنية في حماسٍ ظاهر: وهل هناك طريقة غير غزو مملكته وسفك دمه أمام شعبه؟!

(طيمة) وهي تسبح حول (أمفرتيت): لقد جربتِ هذه الطريقة وفشلتِ..

(أمفرتيت): فشلت لأن شعبي كان مشتتاً ولم يكن بقربي لكن لو اجتمعوا..

(طيمة) مقاطعة الحديث الساخن: لن يجتمعوا وحتى لو استطعت جمعهم فكم من الوقت ستستغرقينه قبل أن يصل خبر هروبك للملك (عقيق) ويبدأ بالبحث عنكِ ويتثبت من موتك

(أمفرتيت) وحماسها ينضب: ماذا تريدين مني أن أفعل إذاً؟

(طيمة) وهي تبتسم: طلب المشورة هو تاج العقلاء..

(أمفرتيت): أنا منصتة

(طيمة): انتقامنا من الملك (عقيق) لن يكون بقتله فقط بل بنزع الملك منه ومن سلالته

(أمفرتيت): الملك (عقيق) أبتر وليس له وريث

(طيمة): بل له اثنان..

(أمفرتيت) بتعجب: اثنان؟.. هل يعلم بوجودهما؟

(طيمة): لا.. يعلم عن واحد فقط.. ابنته (لج) التي رزق بها اليوم من أختك (لؤلؤان)

(أمفرتيت) وتعابير وجهها تتغير: (لؤلؤان) رزقت بمولود؟

(طيمة): تعرفين بأننا يجب أن نقتل أختك وابنتها مع الملك أليس كذلك؟

(أمفرتيت) وهي تستعيد تركيزها: نعم.. أعرف

(طيمة) بشيء من الريبة: هل أنت واثقة من ذلك؟

(أمفرتيت) بغضب: قلت لكِ أعرف!!.. ما هي خطتك؟!

(طيمة): يجب أن نجد أحداً يستطيع كسب ثقة الملك ويتسلل للمملكة كي يعيننا من الداخل

(أمفرتيت): ماذا عنكِ؟ لم أرَ (عقيق) يثق بأحدٍ مثلك

(طيمة): يثق برأيي وليس بي

(أمفرتيت): وما الفرق؟

(طيمة): فرقٌ شاسعٌ جدّاً.. ثقته بأختك (لؤلؤان) هي نوع الثقة التي أبحث عنها

(أمفرتيت): لقد راودتني فكرة

(طيمة): ما هي؟

(أمفرتيت): لن أخبرك بها حتى تفكي قيودي

(طيمة): حسناً

بدأت الوزيرة (طيمة) تجتر من معدتها المفتاح وعند خروجه من فمها أطبقت عليه بفكيها وفكت الأقفال المقيدة لـ(أمفرتيت) التي ما أن تحررت حتى عامت لأعلى المبنى منتشية بحريتها التي استعادتها.

(طيمة): هل تفكرين بالهروب؟

(أمفرتيت) وهي تدعك معاصمها من أثر القيود وتحدق بباب الخروج مبتسمة: سوف أتزوج (عقيق) وأكسب ثقته..

(طيمة): تتزوجينه؟ هل جننت؟ الملك لا يتزوج إلا من الحور ومن سلالاتٍ محددة

(أمفرتيت) وهي توجه نظرها من الأعلى لـ(طيمة): المطلوب منكِ هو أمرٌ واحد فقط.. أن تعودي للبحر الأبيض وحدك الآن وبعد رحيلك سأقتل جميع الحراس وعند وصولك أخبري (عقيق) بأني هربت

(طيمة): بماذا تفكرين؟

(أمفرتيت): سأعود للمملكة وسنكمل خطتنا وقتها وسأصبح ملكة البحور السبعة

(طيمة): لم نتحدث عن نصيبي في هذا الاتفاق

(أمفرتيت): ماذا تريدين؟

(طيمة): ما كنت أحلم به منذ زمنٍ طويل.. أن يكون لشعب السلاحف مملكة كبقية الممالك الكبيرة

(أمفرتيت) بسخرية: السلاحف كائنات متوسطة ولا تملك مقومات الممالك

(طيمة): لا يهمني ذلك.. أريد أن تعلني لنا مملكة قائمة ومستقلة عندما تصبحين ملكة البحور السبعة

(أمفرتيت): وبالطبع تريدين أن تكوني حاكمتها؟

(طيمة): نعم وأنا من سيدير شؤونها وأنا فقط من سيضع قوانين الهجرة والتزاوج فيها

(أمفرتيت): حسناً لا بأس..

(طيمة): متى سنبدأ بتنفيذ خطة الإطاحة بـ(عقيق)؟

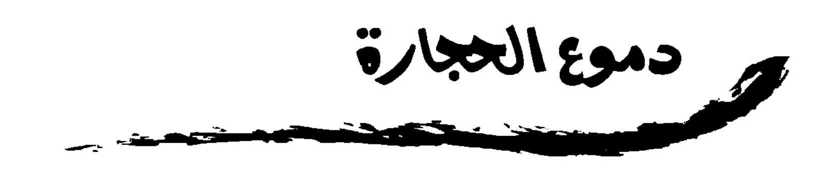
(أمفرتيت): بعد عامين.. عامان وسأعود لمملكة الحور وأستولي عليها وأقضي على أي وريث يهدد حكمي

(طيمة) مبتسمة: بما أنكِ قلتِ عامان فهذا يدل على أن خطتك ليست سيئة.. سأنتظر عامين

(أمفرتيت): لن تريني بهذا الشكل عندما نلتقي مرة أخرى

(طيمة): كيف سأتعرف عليكِ إذاً؟

(أمفرتيت) بنظرة صارمة للأفق: ستعرفينني.. ستعرفينني جيداً..



دموع الحجارة

أمضت (بلشون) مع القبطان أياماً دون أن يبدأا بالسعي خلف كنز (جنكس) لأنهما أدركا أن إيجاد الكنز سيحتاج منهما التكيف مع الجزيرة أولاً وتأمين مصادر الماء والطعام بانتظام وكذلك التعرف أكثر على تضاريس تلك الجزيرة المجهولة.

(بلشون) وهي تجهز لإشعال نار أمام الكهف عند الغروب: لقد جمعنا كمية كافية من الأخشاب الجافة ستغنينا لأسبوعٍ كامل عن جمع غصنٍ واحد

(القبطان) يراقب (بلشون) وهو مستلقٍ أمام الكهف واضعاً ساقاً على ساق وبين أسنانه عود خشبي صغير: أعتقد أننا لن نجد هذا الكنز أبداً..

(بلشون) وهي تحك قطعتين خشبيتين جافتين بعضهما ببعض وتوجه نظرها للقبطان: لمَ تقول ذلك؟

(القبطان) محدقاً بالنجوم التي بدأت تظهر وهو يعض على طرف

القطعة الخشبية بين أسنانه: لقد أمضينا أياماً هنا ولم نتقدم خطوة واحدة تجاه الكنز.. لم نقم سوى بجمع الثمار والأخشاب وكأننا سنستقر هنا للأبد

(بلشون) وهي تنفخ على الدخان الذي بدأ يرتفع نتيجة الاحتكاك بين الخشبتين: ما نقوم به الآن هو أهم خطوة تجاه إيجاد الكنز.. ثم إن الخريطة لا تشير لمكان الكنز

(القبطان) مديراً نظره نحو (بلشون): كيف؟.. نحن حتى لم نفتح الخريطة منذ أن وجدنا الكهف إلا مرة واحدة.. لعل هناك رموزاً لم تفهميها

(بلشون) تضع بعض الأوراق الجافة على لسان النار الصغير الذي نشب وتنفخ عليه: لقد قرأت الخريطة بالكامل ولا يوجد رمزٌ أو إشارة لمكان الكنز أو حتى الطريق المؤدية إليه

(القبطان): ما معنى هذا الكلام؟ هل سنحبس على هذه الجزيرة دون أن نجد الكنز؟!

(بلشون): الكنز لن ينفعنا إذا لم نجد طريقة للخروج من هنا.. الكنز الحقيقي الآن هو ترك هذه الجزيرة قبل أن تلتهمنا..

(القبطان) يعيد نظره للسماء: كيف استطاع (جنكس) ترك الجزيرة بعد ما دفن الكنز ورسم خريطته.. كيف تمكن من الخروج منها والعودة لميناء (بردوسا) كما قيل وتناقله الرواة

(بلشون) وهي تعتدل في جلستها بعد ما كبرت النار: عاد مثلما أتى.. بسفينته

(القبطان) وهو سارح في النجوم: لا أعتقد..

(بلشون): لم يكن هناك طريقة أخرى ليعود بها

(القبطان) ملتفتاً عليها: كيف؟ ألم تقولي بأنه قتل كل أتباعه الذين عاونوه في دفن الكنز؟ ثم ماذا عن السايرينات؟.. لَمَ لم يعترضوا طريقه خلال دخوله أو خروجه من الجزيرة.. أسئلة كثيرة لا أجد لها إجابة.. هناك حلقة مفقودة

(بلشون): أبي قتل من نزلوا معه على الجزيرة فقط ولم يقتل من بقي على السفينة..

(القبطان): ماذا عن السايرينات؟ لَمَ لم يواجه مشكلات معهم؟

(بلشون): أظن أن سفينته لم تكن كبيرة لذا استطاع أن يرسو بها

مباشرة على الساحل ولم يضطر لاستخدام القوارب الصغيرة مثلك والسايرينات لا تستطيع مهاجمة السفن

(القبطان): هل هذه ظنون أم أنك متيقنة من كلامك؟

(بلشون): هذا هو التفسير المنطقي لتساؤلاتك

(القبطان): أجيبيني على هذا السؤال إذاً.. أين ذهب بقية أفراد طاقمه الذين بقوا على السفينة؟.. من المستحيل أنهم تنازلوا عن حقهم في الكنز

(بلشون): لا أعرف

(القبطان) وهو ينهض ويمد يده لـ(بلشون): ناوليني الخريطة

(بلشون): ماذا تريد بها؟

(القبطان) ويده لا تزال ممدودة نحو (بلشون) والنار بينهما: أريد أن ألقي نظرة عليها

أخرجت (بلشون) الخريطة من جيب صدرها ومدتها للقبطان وتركتها لكنه لم يلتقطها فوراً وسقطت في النار.

(القبطان) يدخل يده بلا تفكير في النار ويخرج الخريطة التي اشتعل

أحد أطرافها ويقول بغضب: ماذا فعلتِ؟!

(بلشون) تنهض بقلق وتوتر: هل احترقت؟!

(القبطان) وقد أطفأ الجزء المحترق: لا ، الحمد لله لم يحترق سوى طرف صغير من زاويتها

(بلشون) بارتياح: الحمد لله

بدأ القبطان بتفحص الخريطة بنظره والسير بخطواتٍ بطيئة مبتعداً عن (بلشون). توقف بعد لحظات وقال وعينه لا تزال على الخريطة: هل كتبتِ شيئاً عليها بالأسود وهي معك

(بلشون): لا لم أكتب شيئاً.. لعله بعض الرماد علق بها عندما وقعت في النار

(القبطان) وهو يرفع الخريطة أمام (بلشون): وهل النار رسمت هذا الرمز بالأسود؟

سارت (بلشون) نحو القبطان وأخذت الخريطة منه ونظرت إليها وقالت بحماس: إنه رمز مخفى!

(القبطان) بتساؤل: ماذا تقصدين بمخفى؟

(بلشون) وهي تفرش الخريطة الجلدية في وجه القبطان: ألا تفهم؟! الخريطة التي معنا ناقصة والنار أظهرت بقية محتواها!

(القبطان): ما زلت لا أفهم

توجهت (بلشون) للنار وبسطت الخريطة فوق ألسنتها المتراصة وبدأت بتقليبها..

(القبطان) بصوتٍ مرتفع: ماذا تفعلين؟! سوف تحترق الخريطة!

(بلشون) وهي تراقب بعض الرموز تظهر على الخريطة بابتسامة عريضة ووجه مبتهج: الخريطة تكتمل!.. الخريطة تكتمل!

(القبطان) يسير ويقف بجانب (بلشون) ويراقبها وهي تُقلب الخريطة فوق النار: هل سنجد الكنز الآن؟

(بلشون) تبعد الخريطة عن النار وتمدها للقبطان مبتسمة: انظر بنفسك

(القبطان) وهو يتفحص الخريطة الجديدة بعينيه: الخريطة تغيرت.. هناك الكثير من الرموز الجديدة التي رسمت باللون الأسود

(بلشون): انظر للرمز الذي ظهر في الركن الأعلى من اليمين

وجه القبطان نظره حيث أشارت له (بلشون) ورأى رسمة لجرس فقال: ما هذا؟

(بلشون) بسعادة: الكنز!.. هذا هو مكان الكنز!

(القبطان): هذا مجرد جرس

(بلشون) بحماس: الجرس في لغة القراصنة هو رمز الثراء!

(القبطان): ماذا ننتظر إذاً لنذهب!

(بلشون): ليس الآن فالسير ليلاً خطر ثم إننا يجب أن نأخذ كفايتنا من الزاد والماء فالرحلة تبدو طويلة لأن المكان يقع في النصف الآخر من الجزيرة ونحن لم نستكشف تلك المنطقة بعد

(القبطان) ونظره لا يزال على الخريطة: وما تلك الرموز الأخرى التي ظهرت؟

(بلشون) وهي تأخذ الخريطة من يد القبطان وتحرك سبابتها عبرها: لم أتعرف على أي منها.. لم أفهم سوى رمز المرساة هذا

(القبطان) وهو ينظر للخريطة: هذا الرمز يشير لمكان في أقصى الجهة الأخرى من رمز الجرس.. ما معناه؟

(بلشون): المرساة رمز إيجابي لكن لا أعرف معناه

(القبطان): ماذا عن الرموز الأخرى؟

(بلشون): الرموز السوداء الأخرى ظهرت في أماكن متفرقة من الخريطة ولا أعرف معناها..

(القبطان): لَم رسمت إذا كان الطريق للكنز موجوداً؟

(بلشون) وهي تعيد الخريطة لجيب صدرها: لا يهم هذا الآن المهم أن نستعد لرحلتنا غداً نحو رمز الجرس

بدأ الاثنان بتجهيز بعض الثمار التي جمعاها ووضعاها في جيوبهما بقدر ما اتسعت لها وقربة الماء الوحيدة التي كانت معهما كانت شبه ممتلئة بالماء لذا تخليا عن فكرة العودة صباحاً لمنبع الماء لاختصار الوقت لأنه لم يكن قريباً منهما وسوف يُضيع عليهما جزءاً مهمّاً من النهار. بعد ما انتهيا جلسا أمام النار وقالت (بلشون): أعتقد أن الفجر لم يبقَ عليه الكثير.. يجدر بنا أخذ قسطٍ من الراحة قبل أن نتحرك

(القبطان) وهو يطعم النار المزيد من الأخشاب الجافة: وإذا لم نستيقظ إلا منتصف النهار كما حدث بالأمس؟

(بلشون) وهي تقضم ثمرة بوجه متكدر: لا تقلق سوف أنام عند فتحة الكهف وبذلك سيكون نومي خفيفاً

(القبطان): لمَ عبستِ بوجهكِ هكذا؟.. هل الثمرة غير ناضجة؟

(بلشون): لا لكني لا أحب طعمها

(القبطان) بتعجب: لستِ مجبرة على تناولها هناك أنواع كثيرة من الثمار غيرها

(بلشون) وهي تأخذ قضمة أخرى: هذه الثمرة كانت المفضلة لأبي كما كانت تقول أمي

(القبطان): تعرفين الكثير عن أبيك بالرغم من أنكِ لم تقابليه مرة واحدة

(بلشون): أحاول تذكره بتقليده قدر الإمكان

(القبطان): علاقتك بأبيك غريبة وتكاد تكون كالهوس

(بلشون): هذه حياتي ولا شأن لك كيف أعيشها

(القبطان) وهو يجلس أمام النار وقريباً من (بلشون): هل تشعرين بالندم؟

(بلشون): نادمة على الأشياء التي لم أقم بها أكثر من الأشياء التي قمت بها..

(القبطان): مثل ماذا؟

(بلشون) وهي ترمي ما تبقى من الثمرة جانباً: هل تحاول التقرب مني أيها القبطان؟

(القبطان) مبتسماً: أريد فقط أن أعرف ما هي الأمنيات التي لم تستطيعي تحقيقها حتى الآن

(بلشون): أنا لا أملك أي أمنيات فقط أحلاماً

(القبطان) بسخرية: وما الفرق؟

(بلشون): الأحلام أقوى من الأمنيات..

(القبطان): لا أرى فرقاً بينهما

(بلشون): من يتمنى شيئاً فهو ينتظر أحداً غيره ليحققه له وهذا الشخص قد لا يأتي أبداً..

(القبطان): والأحلام؟

(بلشون): الأحلام نحن فقط من يستطيع تحقيقها لأننا الوحيدون من يراها ويعرف تفاصيلها بوضوح..

(القبطان) وهو يعبث بالنار بعصا نحيلة مبتسماً: ما زلت لا أرى الفرق..

(بلشون): الفرق في الأمل

(القبطان): الأمل؟

(بلشون) وهي سارحة أمامها: نعم الأمل.. هو وحده من يحركنا للأمام ويدفعنا للاستمرار.. الأمنيات لا تأتي بالأمل لكن الأحلام مشبعة بها..

(القبطان): ربما..

(بلشون): هل هذه الجزيرة في ممر السفن؟

(القبطان): ماذا تقصدين؟

(بلشون): كنت أفكر بتجهيز علامة ما عند الشاطئ فقد يحالفنا الحظ وتمر سفينة من هنا

(القبطان): لا أعتقد أن ذلك سيكون مجدياً فقد خرجنا عن مسار السفن التجارية وسفن الصيد وفرصة مرور أي منها بالقرب من هنا شبه معدومة

(بلشون): مكان مناسب كي تخبئ أغلى ما تملك

(القبطان): وتفقد أغلى ما تملك أيضاً..

(بلشون) تبتسم بصمت وتنظر أمامها..

(القبطان) مبتسماً: سأنام معكِ بالخارج الليلة

(بلشون): لا داعي لذلك سوف أوقظك عندما أفيق

(القبطان) وهو ينهض ويهم بالدخول للكهف: حسناً

(بلشون) وهي سارحة أمامها: أعتقد أن لدينا مشكلة..

(القبطان) وهو لا يزال يسير نحو الكهف مبتسماً: أيقظيني عندما تتيقنين..

(بلشون) محدقة بالأفق وتحديداً للغابة الكثيفة بنبرة قلقة: انتظر..

(القبطان) وهو يتوقف عن السير ويلتفت عليها: ماذا؟ ما الأمر؟

(بلشون) بوجهٍ قلق ونظرها لا يزال منصبّاً على الغابة أمامها: هل تسمع شيئاً؟

(القبطان) يدير نظره للغابة بوجه متعجب وينصت قليلاً ثم يقول: لا.. لا أسمع شيئاً

(بلشون) بتوتر: بالضبط

(القبطان) وهو ينظر لـ(بلشون): بالضبط ماذا؟

(بلشون) وهي تنهض من مكانها دون أن تحيد بنظرها عن الغابة: لقد توقفت أصوات الغابة بالكامل.. الحشرات.. الضفادع.. كلها توقفت فجأة في وقتٍ واحد

(القبطان) يعود بنظره للغابة وبنبرة متسائلة: وما المشكلة؟

(بلشون) وهي تلتفت على القبطان: هذا لا يحدث إلا عندما تريد تلك الكائنات تجنب الافتراس

(القبطان) بتوتر: افتراس ماذا؟

(بلشون) وهي تخرج خنجراً صغيراً كان بحوزتها وتسير ببطء تجاه الغابة بقلق: شيء أكبر منها..

لم تنهِ (بلشون) جملتها حتى سمع الاثنان زئيراً قويّاً ومخيفاً آتياً من عمق الغابة..

(القبطان) بهلع: ما هذا؟!.. ما هذا الصوت؟!

(بلشون) تجري بسرعة نحو النار وتلتقط غصناً كبيراً وتقوم بإشعاله:

يجب أن نرحل بسرعة!

(القبطان) بخوف وتوتر شديد: نرحل إلى أين؟!

(بلشون) تجري داخل الكهف: حيث لا يمكن لذلك الكائن أن ينال منا!

(القبطان): أي كائن؟!

ظهر من الغابة مخلوقٌ ضخم يشبه الذئب في الشكل لكن بنيته أضخم بكثير وفراؤه كثيف وأنيابه كبيرة وأطرافه الخلفية أطول من الأمامية وكان يجري بطريقة غريبة وسريعة نحو الكهف وكأنه يقفز ويهرول في الوقت نفسه. عندما رأى القبطان ذلك المنظر المفزع جرى خلف (بلشون) داخل الكهف ولم يسعفه الوقت كي يحمل شعلة معه فبقي يركض بلا توقف في ظلام الكهف الدامس وصوت زئير تلك الدابة يرتفع ويقترب خلفه حتى اصطدم بقوة في الممر الضيق الذي لم يستطع تجاوزه سابقاً ليقع على الأرض مغشيّاً عليه وقبل أن يغمض عينيه سمع زمجرة ذلك المفترس تقترب منه أكثر فأكثر. فتح القبطان عينيه لكنه لم يرَ شيئاً وهو مستلقٍ على ظهره في عتمة ظلامٍ دامس ولم يعرف كم غاب عن الوعي وعند محاولته النهوض أحسّ بألمٍ شديد في رقبته فقال وهو يجلس محدثاً نفسه: ما الذي حدث؟

(بلشون) ترد عليه من خلال الظلام: لقد كاد ذلك الوحش ينال منك لكن لحسن الحظ استطعت سحبك من الفتحة السفلية للمضيق قبل أن يتمكن من ذلك

(القبطان) بقلق وهو مشوش: أين أنت؟ أين أنا؟

(بلشون): نحن في ذلك التجويف في عمق الكهف الذي لم تستطع اجتيازه سابقاً

(القبطان) وهو يمسح على رقبته: هل رحل ذلك الشيء؟

(بلشون): لا أعرف فقد بقي يزأر بغضب ويحاول الدخول علينا لفترة حتى يئس

(القبطان): منذ متى كان ذلك؟

(بلشون): قبل ساعتين تقريباً

(القبطان): هل غبت كل تلك المدة عن الوعي؟

(بلشون): نعم.. الشعلة التي كانت معي انطفأت بسرعة ولم أستطع الخروج وتركك وحدك

(القبطان): هل تظنين أنه رحل؟

(بلشون): لم يبقَ على شروق الشمس سوى القليل ولا أظنه سيبقى خلال النهار

(القبطان): نحن في منطقة عميقة من الكهف ونور الشمس لا يصل إليها فكيف نضمن أنه خرج من الكهف؟

(بلشون): سوف أخرج للتحقق الآن

(القبطان) بقلق: لا تخاطري

(بلشون) وصوت وقع أقدامها سيراً نحو فتحة المضيق واضح: لا يمكننا البقاء هنا للأبد..

بقي القبطان جالساً على الأرض بينما كان يسمع خطوات (بلشون) تبتعد عنه شيئاً فشيئاً حتى اختفت بالكامل..

(القبطان) محدثاً نفسه: أتمنى أن الكنز يستحق كل هذا العناء والتضحيات التي نقدمها..

أمضى القبطان وقته في ذلك المكان بصمت وخلال صمته سمع صوتاً كنقاط الماء المرتطمة بشكل منتظم على سطحٍ ما. لم يعر الصوت في بادئ الأمر أي اهتمام وعزاه لمياهٍ قد تكون تسربت لجوف الكهف وهذا أمرٌ طبيعي لكن وبعد ما تحول الصوت لثوانٍ لما يشبه

الماء المتدفق المنهمر يصاحبه صوت سقوط بعض الأجسام الصلبة وعودته للتنقيط مرة أخرى أثار ذلك فضول القبطان الجالس لكن وبسبب الظلام لم يستطع التحقق من الأمر.

ظهر نورٌ أصفرُ متحرك خلف القبطان صاحبه صوت (بلشون) قائلاً: هل تستطيع المشي؟

(القبطان) ينهض ويلتفت نحو مصدر الضوء: هل رحل ذلك الشيء؟

(بلشون): نعم.. وهذه الشعلة هي كل ما تبقى من النار التي خمدت

(القبطان) مقترباُ من الفتحة الضيقة: ناوليني إياها..

(بلشون) تمد الشعلة باستغراب: لماذا؟

(القبطان) يقبض على العصا المشتعلة ويسحبها للداخل معه: أريد التحقق من أمرٍ ما

(بلشون) وهي تدخل عبر المضيق: ما الأمر؟.. هل وجدت شيئاً؟

(القبطان) يحرك الشعلة فوق رأسه ويضع سبابته على شفتيه مشيراً لـ(بلشون) بالصمت: اسمعي..

(بلشون) بوجه متعجب: أسمع ماذا؟

(القبطان) وهو لا يزال يبحث بنظره في المكان مستعيناً بوهج الشعلة: لا تتكلمي وأنصتي..

بعد ثوانٍ من الصمت عاد صوت الماء المنهمر فاستطاع القبطان تحديد مصدر الصوت ووجه شعلته تجاهه وفوجئ بما رآه وقال لـ(بلشون): انظري..

دنت (بلشون) من القبطان وحنت رأسها حيث كان يشير بشعلته وقالت بتعجب: ما هذا؟!

رأى الاثنان كومة من العملات الذهبية وبعض الأحجار الكريمة المتكومة في هضبة صغيرة وكان من الواضح أنها تجمعت عبر سيرها مع ذلك التيار الضعيف للماء المتساقط من فتحة مرتفعة.

(بلشون) وهي ترفع رأسها: ما معنى هذا؟

(القبطان) وهو يلتقط إحدى القطع المعدنية: هل تعتقدين أن هذا هو الكنز؟

(بلشون) مشيرة للأعلى: وجه النور هنا أريد رؤية مصدر الماء

نفذ القبطان ما طلبته (بلشون) لكن السقف كان مرتفعاً ولم يصل النور لأقصاه..

(القبطان): الذهب والمجوهرات الموجودة هنا تكفي لتحويلنا إلى أغنى الأغنياء

(بلشون) تعيد نظرها نحو جبل العملات الذهبية الصغير: هذا ليس كنز أبي..

(القبطان): أعتقد أن الخريطة قد تكون مضللة وهذا هو الكنز الحقيقي

(بلشون): هذه مجرد بعض العملات والأحجار

(القبطان): هل كنتِ تطمحين لشيءٍ أكبر؟.. لقد وصلنا لقمة جبل الطموح ولم يعد هناك شيء سوى النزول

(بلشون): عندما يكون هدفك النجوم ستكون قمم الجبال مجرد خطوة على الطريق..

(القبطان) بتهكم: وما هي تلك النجوم التي تسعين خلفها؟

(بلشون): كنز أبي.. كنز (جنكس)..

(القبطان): لا أظن أن أباك كان يملك شيئاً عدا تلك العملات وقد رسم تلك الخريطة للتذاكي فقط

(بلشون): سوء الفهم هو أسرع طريق نحو سوء الظن..

(القبطان): وما الذي أسأت فهمه يا ابنة القرصان؟

(بلشون): الخريطة..

(القبطان): أعتقد أننا يجب أن نبدأ بالتفكير في الخروج من هذه الجزيرة بأسرع وقت ونكتفي بما وجدنا

(بلشون) بتجهم: ماذا عن الكنز؟!

(القبطان) وهو يسير نحو المضيق للخروج: لا يوجد كنز غير الذي ترينه هنا..

(بلشون) وهي تلحق القبطان: مستحيل!.. لا بد وأن هناك شيئاً أثمن من هذه العملات!

(القبطان) ينزل ليزحف من تحت المضيق ويمد الشعلة لـ(بلشون): لا يوجد شيء آخر.. هذا هو كنز (جنكس)..

(بلشون) وهي تمسك بالعصا المشتعلة: لكن..

(القبطان) يمد يده من الجهة الأخرى للمضيق طالباً الشعلة: السفينة لن تكون صالحة للإبحار مدة طويلة ويجب أن نعود إليها

بسرعة قبل أن تتمزق أشرعتها بفعل الرياح والشمس

(بلشون) وهي تناوله الشعلة وتسير عبر الفتحة الضيقة: وكيف سننقل هذا الذهب معنا؟

(القبطان) رافعاً شعلته أمامه وهو يسير نحو مخرج الكهف: هذا ليس ما يقلقني الآن.. همي هو كيف سنعود للسفينة دون قارب

(بلشون) وهي تسير خلف القبطان: القارب ليس مشكلة يمكننا صناعة طوف من الأخشاب والحبال المنتشرة في الجزيرة

(القبطان): ما المشكلة إذاً؟.. السايرينات؟

(بلشون): لست متيقنة لكن لا أظنها تهاجم أحداً خلال النهار..

(القبطان) ملتفتاً على (بلشون) بشعلته: هذه المعلومة كان يمكن أن تنقذ طاقمي لو تحدثت بها قبل أن نبحر بقواربنا ليلاً نحو الجزيرة

(بلشون): لم أكن على علمٍ بها عندما أبحرنا صوب الجزيرة

(القبطان) بتجهم: وكيف وصلك ذلك العلم الآن؟!

(بلشون) بتردد: قرأتها في الخريطة بعد ظهور الرموز السوداء..

(القبطان) بعصبية: أنت لا تزالين تخفين علي معنى بعض الرموز!.. لماذا؟!

(بلشون): أخبرتك بأني لست واثقة من هذه المعلومة! إذا أردت إلقاء اللوم علي لموت طاقمك فلا بأس أتفهم ذلك لكن لا تفتعل المشكلات!

(القبطان) وهو يستأنف المسير محدثاً نفسه: لنتوقف عن الحديث في هذا الأمر

خرج الاثنان من فوهة الكهف وألقت (بلشون) نظرة على الأخشاب التي جمعاها لإشعال النيران وقالت: لا أظن أنها كافية لبناء طوف نعبر به للسفينة

(القبطان) وهو يرمي الشعلة على الأرض: سنجمع المزيد منها إذاً

(بلشون): اجمعها وحدك..

(القبطان): ماذا؟.. ماذا تقولين؟

(بلشون) تسير مبتعدة عن القبطان: أنا سأبحث عن مصدر الماء الذي كان في الكهف فلا بد من أنه يأتي من مكانٍ ما

(القبطان) بغضب: لا تكوني طماعة!.. ما وجدناه كافٍ فلا تضيعي ما حققناه بسبب جشعك

(بلشون) تلتفت على القبطان وتصرخ بغضب: هل تظن أني أبحث عن المال مثلك؟!

(القبطان) بتعجب: عن ماذا تبحثين إذاً؟

(بلشون) بصوتٍ مرتفع: مستحيل أن يفني رجل سنين طويلة من حياته في البحر بعيداً عن زوجته وابنته لأجل المال فقط!

(القبطان): أنت تبحثين عن سبب لهجر والدك لكِ وليس عن كنزه..

(بلشون) وقد بدأت بالبكاء وبصوت مرتفع: لا يمكن أن يكون سبب تدميره لحياتي مع أمي بعض النقود الذهبية فقط!

(القبطان) بهدوء: أبوك كان قرصاناً وهذا أقصى ما يمكن أن يطمح إليه..

(بلشون) وهي تلتقط حجراً من الأرض وتقذفه صوب القبطان بغضب وأعين دامعة: لا تتحدث عن أبي وكأنك تعرفه!!

(القبطان) محدثاً نفسه: مهما حاولت لن تستطيع المشي بخطواتٍ ثابتة في مستنقع الجدال..

جرت (بلشون) بعد ما رمت بالحجر تجاه طريقٍ يقود لخلف

الجبل والقبطان خلفها يصرخ فيها قائلاً: لا تأتي وتتوسلي إلي كي أصطحبك معي عندما أخرج من هذا المكان!!

اختفت (بلشون) خلف الجبل ولم ترد عليه ..

(القبطان) وهو يصرخ فيها مرة أخرى: اذهبي للجحيم إذاً!

خلال الأيام التي تلت ذلك جمع القبطان الأخشاب والحبال اللازمة لبناء طوف وشارف على الانتهاء منه وكان ينوي أن يستعين به للإبحار نحو سفينته. كان بإمكانه الانتهاء في وقتٍ أقصر لكن وبسبب من ذلك المخلوق الذي هاجمهما ليلاً عند الكهف كان يضطر لحرق الكثير من الأخشاب بعد غروب الشمس أمام فتحته مما أخر حصوله على المواد اللازمة كثيراً. وزع القبطان الأخشاب بين الشاطئ والكهف وذلك أيضاً استهلك منه الكثير من الوقت والجهد. استغرق جمع المواد الضرورية للطوف أسبوعاً ومثله لبنائه تقريباً. حرص القبطان أن يكون الطوف الذي بناه كبيراً ليتمكن من حمل العملات الذهبية والأحجار الكريمة معه لأنه كان ينوي وضعها في صندوقٍ متهالك الصنع قام ببنائه ببعض الأخشاب والحبال. قبل يومٍ من رحيل القبطان نحو السفينة عاد للكهف عند الغروب وأشعل النار الكبيرة التي اعتاد إشعالها منذ رحيل

(بلشون) وخلال رمي الأخشاب فيها كي تزداد حجماً بدأ يتحدث بصوتٍ مرتفع ويقول:

سوف أرحل غداً!.. هذه فرصتك الأخيرة للقدوم معي!.. سوف أغفر لكِ ما قمتِ به من تهرب وتقاعس عن مساعدتي لكن لا تظني للحظة أني سأبحث عنكِ!

لم يرد أحد على القبطان سوى بعض الجنادب التي كانت تصرصر في الغابة..

(القبطان) وهو يجلس أمام النار الكبيرة ويتناول بعض الفاكهة محدثاً نفسه: يبدو أنها ماتت.. أنا واثق من أن إحدى تلك الدواب المتوحشة قد التهمتها..

خلد القبطان للنوم مبكراً تلك الليلة ومع أول الصباح بدأ يحمل القطع الذهبية مستعيناً بقميصه الذي خلعه وصنع منه جراباً. قدر القبطان أنه سيحتاج إلى ما يقارب عشر رحلات إلى خمس عشرة رحلة ذهاباً وإياباً بين الكهف والشاطئ لكن تقديراته لم تكن دقيقة ولم يستطع بعد عشرين رحلة بين الطوف والكنز أن يأتي بنصفه. قرر القبطان إتمام ذلك النهار في نقل الكنز للطوف وتأجيل رحلته لليوم التالي. سُرق الوقت منه ولم يتنبه إلا مع غروب الشمس وهو

عند الشاطئ. في تلك اللحظة أدرك أنه قد اقترف خطأً فادحاً وهو إحراق كل الأخشاب التي جمعها اليوم السابق لأنه لم يتوقع أن يبقى يوماً آخرعلى الجزيرة. بقي القبطان يفكر بقلقٍ شديد والشمس تنغمس خلف الأفق بسرعة فالوقت قد فات للعودة للكهف وحتى لو عاد فلن يتمكن من إشعال نارٍ يحتمي بها من وحوش الغابة والإبحار ليلاً غير آمن مع وجود السايرينات.

(القبطان) محدثاً نفسه: خطر دوابِ الغابة أكيد لكن خطر السايرينات مرهون بكشفها لي وأنا هذه المرة أُبحر وحدي ولن ينكشف أمري.. لكني لم أسمع تلك الوحوش الليالي الماضية فربما لن تعود الليلة..

انتهى حديث القبطان مع نفسه بقرار المجازفة ودفع الطوف في الماء والإبحار به نحو السفينة. لم يكن يملك شراعاً لذا كان تحركه وتحكمه بالطوف معتمداً على التجديف بمجداف صنعه من إحدى الأشجار السميكة. توجب على القبطان أن يُجدف على حركتين منتظمتين.. مرة يميناً ومرة شمالاً إذا أراد السير بشكلٍ مستقيم ولكون السفينة كانت أمامه كانت تلك هي الحركة التي قام بها بشكل متكرر وهادئ. خلت السماء من ضوء القمر ولم يكن معلقاً فيها سوى بعض النجوم المتلألئة. سار القبطان بهدوءٍ وحذرٍ شديد

فوق الماء المتموج وبعد ما انتصف الطريق بين الجزيرة والسفينة ارتفعت معنويات القبطان بالرغم من أن معالم السفينة لم تكن واضحة تماماً أمامه لكنه كان يستطيع رؤية خيالها في الأفق.

اهتز الطوف فجأة وكأن شيئاً قد ضربه من الأسفل مما أثار رعب القبطان ودفعه لسحب المجداف بسرعة من الماء واحتضانه خشية فقدانه. بدأت سرعة الطوف في التقلص وفقد عزيمته في السير للأمام وتدريجيّاً بدأت الأمواج الخفيفة في تغيير مساره بعيداً عن السفينة لذا اضطر القبطان أن يستخدم المجداف مرة أخرى كي لا ينحرف عن خط سيره لكن ما أن لامس طرف المجداف الماء حتى تعرض الطوف لضربة أخرى أكثر قوة من السابق. سحب القبطان مجدافه بسرعة وقال بلا شعور بصوت مكتوم: تبّاً!

عم الهدوء لدقائق ولم يعد القبطان للتجديف بل اكتفى بالتحديق في الأفق شبه المظلم وهو يرى طوفه يبتعد عن السفينة وعن الجزيرة أيضاً. استجمع قواه وعزيمته وقرر أن يعاود التجديف مرة أخرى لكن مجدافه خُطف منه بسرعة وسُحب بقوة ما أن وضعه في الماء. في تلك اللحظة صرخ القبطان قائلاً: لا! وتبع صراخه غناءٌ جميلٌ يأتي من عرض البحر. كان الغناء بلغة لا يفهمها القبطان لكن النبرة كانت

حزينة وكأنها تستجدي أو تطلب شيئاً. أثارت تلك الأغنية الرعب في قلب القبطان الذي لم يجد شيئاً يقوم به سوى احتضان الصندوق الخشبي المتهالك الصنع الممتلئ بالعملات الذهبية وإغماض عينيه. استمر الغناء لفترة ثم توقف ففتح القبطان عينيه ليرى خيال رأس أسود يُطل عليه من أحد أطراف الطوف لكن الضوء لم يكن كافياً كي يرى ملامحه. احتضن القبطان الصندوق بقوة وبدأ يرتجف من الخوف لكنه لم ينطق بشيء.

كان ذلك الرأس يتفحص المكان بنظره فيما يبدو ولم يرَ القبطان بوضوح فغاص مرة أخرى في الماء. شعر القبطان بالغثيان لشدة التوتر والرعب الذي أحس به وهو يرى طوفه يبتعد عن الجزيرة. خرج الرأس المجهول مرة أخرى من الماء فجأة وكأنه يريد التحقق مرة أخرى من وجود أحدٍ على سطح الطوف وهذه المرة رأى القبطان ذراع ذلك الشيء وهو يخرج من الماء ممسكاً بالمجداف ويطرق على سطحه بطرقات ثابتة ومتتابعة. كان المنظر مخيفاً جدّاً خاصة عندما تحدث ذلك الشيء بصوت مبحوح وقال: أين أنت؟.. أعرف بأنك هنا..

توقف الشيء عن الطرق وغاص للماء مرة أخرى ببطءٍ وهدوء بعد

ما ترك المجداف عند طرف الطوف فهم القبطان بأخذه لكنه توقف خشية أن يكون ذلك فخّاً منصوباً له وقال في نفسه: «لن أكون فريسة لتلك السايرينات..».

لم يكن أمام القبطان في ذاك الوقت سوى البقاء صامتاً ومحتضناً لذلك الصندوق وهو يشاهد نفسه يبتعد عن الجزيرة. كان الليل في أوله ولم يمضِ على بقائه فيه سوى ساعتين وشروق الشمس بعيد جدّاً وقد بدأ القبطان يشعر بالألم لتسمره مكانه في وضع واحد وكان لا بد أن يحاول تحريك سواعده قليلاً ليجري الدم بها وكان لزاماً عليه أن يترك الصندوق ليقوم بذلك. ترك الصندوق وأخذ يمد ويقبض أذرعه وأصابعه لتحريك الدم بها وتفاجأ بانهيار صندوق العملات الذهبية وسقوط معظم محتواه في الماء. في ردة فعل غير محسوبة أخذ القبطان يحاول جمع العملات الذهبية المتناثرة حوله ولم ينتبه لنفسه فزل ووقع في الماء محدثاً طرطشة عالية. كان بإمكان القبطان العودة للطوف بسرعة لكن رعبه من السايرينات جعله يلتفت يميناً ويساراً بعد أن أخرج رأسه من الماء وكان ذلك الوقت كافياً للطوف أن يُسحب من التيار وينجرف بعيداً عنه في عتمة الليل. أخذ القبطان يرتجف في الماء من البرد والخوف ولم يكن يرى أي شيء حوله. لم يرَ

الجزيرة ولا السفينة ولا أي شيء يمكنه أن يفكر بالسباحة نحوه.

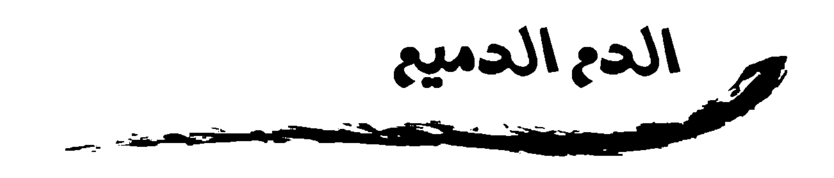
بقي القبطان مكانه يحرك أذرعه تحت الماء البارد للحفاظ على توازنه منتظراً أن يلاقي حتفه على يد إحدى السايرينات أو مجموعة منها. مضت الثواني الطويلة وتحولت لدقائق أطول وشيئاً فشيئاً تحولت الدقائق لساعة كاملة دون أن يحدث للقبطان شيء أو يسمع صوتاً خارجاً عن المألوف. بالرغم من أن القبطان أمضى تلك الساعة في صمت إلا أنه تحدث كثيراً في عقله ومع نفسه. كان حديثه في أوله يضج بالتكهنات عن كيفية موته تخللها شيء من التوبة والندم عن أمورٍ اقترفها في حياته لكن مع تقدم الوقت تحولت تلك الأفكار لأملٍ صغير نبت من رحم هدوء النفس ومع نمو ذلك الأمل أخذ القبطان يفكر بشكلٍ مختلف وبدأ يزن الأمور بتروٍّ. نتج عن ذلك الأمل فكرة تحولت لقرار بالسباحة في أي اتجاه دون توقف حتى ينجو أو يموت. قد تبدو تلك الفكرة غبية لكن في وقتها لرجلٍ مثل القبطان وما يمر به كان ذلك أملاً احتاج أن يؤمن به حتى وإن قاد لهلاكه.

سبح القبطان في المجهول ولم يرَ أمامه سوى الظلام. كان الماء بارداً جدّاً وزاد من معاناته لكن ذلك لم يثبط عزيمته أو يثنِه عن الاستمرار

في السباحة متعلقاً بذلك الأمل الذي خلقه في مخيلته. انقطع ذلك الأمل مع أول طرف فقده من أطراف جسده ومع ذلك استمر في السباحة ليفقد طرفاً آخر تلو الآخر حتى غرق جسده والذي نُهش وافترس في ثوانٍ.

في صباح اليوم التالي بدأت الأمواج تلفظ بعض قطع ملابس القبطان الممزقة لتلتقط (بلشون) إحداها وترفعها أمام نظرها وتقول بحزن: يجب أن أجد مخرجاً من هذا المكان..

رفعت نظرها وبدأت تنظر للأمواج الغاضبة والتي كانت تلطم بقوة ذلك الصباح وخلال نظرها هيئ لها أنها ترى شيئاً في الأفق البعيد. كذبت (بلشون) نفسها رافضة التصديق لكن مع مرور الوقت اتضحت معالم ذلك الشيء وقد كان سفينة مقبلة على سواحل الجزيرة. بدأت (بلشون) بالصراخ وتحريك أذرعها وهي تقفز على أمل أن يراها أحدٌ على ظهر تلك السفينة وبالفعل لمحت شخصاً على متنها يلوح لها بيده فدمعت عيناها فرحاً وهي مستمرة بالتلويح في انتظار أن ترسو تلك السفينة على ساحل جزيرة «يوكاي».



الدم الدميم

وقفت (لج) بعد افتراسها لـ(طيسل) فوق جثته الممزقة والتي لم يبقَ منها سوى بعض العظام المبتلة بالدماء وهي في حالة من الذهول وقالت: ما الذي فعلته؟!.. لم أستطع منع نفسي!

دخلت بعدها في حالة هستيرية مزقت على أثرها ملابسها وجرت لطرف السفينة المقابل للبحر وقفزت فيه. عند ارتطام (لج) بالماء وانغسال دم (طيسل) عن وجهها ومخالبها وهي تغوص للأسفل انتفض جسدها وبدأ بطنها يؤلمها بشدة وعندما حاولت العودة للسطح تشنجت سيقانها وبدأت بالنزول أسفل وأسفل وخلال ذلك أغمضت عينيها مستسلمة لما كان يحدث لها. بعد ثوانٍ قليلة أخذت (لج) شهيقاً قويّاً تحت الماء وفتحت عينيها لترى أنها قد استعادت ذيلها السابق وعادت كما كانت.

(لج) وهي تعوم حول نفسها وتقول بسعادة: لقد عدت!.. عدت للبحر!

حركت ذيلها وسبحت بسرعة مبتعدة عن الساحل..

في تلك الأثناء عاد (كوفان) للمنزل وكان في استقباله عند عتبة باب المنزل من الخارج أمه القلقة لعدم رؤية أي أحد من ابنيها حولها عند استيقاظها.

(الأم) بقلق: أين أخوك لَمَ لم يأتِ معك؟

(كوفان) وهو يحاول تجاوز أمه للدخول: لا يريد أن يأتي معي..

(الأم) وهي تشده وتمنعه من التقدم أكثر: ماذا تعني؟!.. أين أخوك؟!

(كوفان): أخي بخير يا أمي لا تقلقي عليه وسيعود لاحقاً عندما ينتهي

(الأم) وهي تصرخ في (كوفان): ينتهي من ماذا؟! أخبرني أين هو وسأذهب أنا إليه!

(كوفان) بقلق: ما بك يا أمي؟ لَمَ أنت متوترة هكذا؟

(الأم) وهي تغطي وجهها وتبدأ بالبكاء: لقد رأيت كابوساً مزعجاً وقلبي مقبوض عليكما!

(كوفان) مطمئناً والدته: أنا أمامك وسوف أذهب وأحضر (طيسل) الآن

(الأم) تتشبث بملابس (كوفان): أرجوك أريد أن آتي معك!

(كوفان) يمسك يديها مبتسماً: لا لا.. ابقي هنا وأعدك بأني لن أتأخر

عاد (كوفان) لسفينتهم الراسية على الساحل الرملي وبدأ بالصعود على متنها مستعيناً بالحبل المتدلي..

ما أن وضع قدمه على سطح السفينة حتى رأى مجموعة من طيور النورس مجتمعة على شيء ما. لم يتعرف في بادئ الأمر على صاحب الجثة بل إنه لم يعرف أنها جثة من الأساس واعتقد أنها بقايا الطعام الذي أحضره (طيسل) لـ(لج). سرعان ما أدرك (كوفان) الحقيقة المفجعة لما كان تحت أقدامه عندما سار نحو الطيور المجتمعة والتي حلق معظمها بعيداً حين اقترب منها لتكشف له عن هيكل عظمي بشري أحمر عليه ما تبقى من ملابس أخيه الممزقة. غرقت أعين (كوفان) بالدموع وجرى غاضباً نحو المخزن وعندما رآه خاوياً صرخ بقوة وانهار بالبكاء. أفاق (كوفان) من صدمته بعد دقائق من البكاء الهستيري ورحل مسرعاً تاركاً السفينة خلفه ومتوجهاً لمنزل (حربة). فتح (حربة) الباب الذي كان يُطرق بقوة ليجد قبطانه

السابق في حالة جنونية فتبدلت ابتسامته لتجهم يخالطه القلق وهو يقول: ما بك أيها القبطان؟! ما الذي حدث؟!

شرح (كوفان) لـ(حربة) الحكاية بعد ما أدخله المنزل وقام بتهدئته..

(حربة) بحزن وهو جالس ورأسه للأرض: خبر مفجع..

(كوفان) وهو يدور في الغرفة كالمجنون: يجب أن نقتلها!

(حربة) رافعاً رأسه: تقتل من؟

(كوفان) بغضب: تلك اللعينة ومن غيرها؟!

(حربة): وما علاقتها بالأمر؟ هروبها لا يعني أنها الفاعل

(كوفان) وهو يشد شعره بعصبية: أنت لا تفهم!

(حربة) بهدوء: اهدأ إذاً وأفهمني!

أخبر (كوفان) تفاصيل ما حدث للقراصنة وكيف وجد (لج) فوق جثثهم بعد افتراسهم..

(حربة) بتعجب وسخط: وكيف تثق بها بعد ما رأيته؟!

(كوفان): كنت أحمق!.. كذبت ما رأيته بأم عيني وأقنعت نفسي بأنه لا بد من أنه هناك تفسير آخر!

(حربة) وهو غاضب من حماقة (كوفان): وأي سبب توصلت إليه أيها القبطان؟!

(كوفان) بعصبية: لا وقت لذلك الآن!.. يجب أن نلحق بها!

(حربة): نلحق بها أين؟!.. هل تعرف أين ذهبت؟!

(كوفان) وهو يشير بسبابته في وجه (حربة) ويقول بنبرة جنونية: نعم أعرف!

(حربة): أين؟

(كوفان): لقد عادت للبحر..!

(حربة): وكيف تيقنت من ذلك؟

(كوفان): الملابس التي أعرناها إياها كانت مرمية وممزقة على السطح مما يعني أنها تخلصت منها قبل أن تغطس في الماء

(حربة): هذا ليس دليلاً..

(كوفان) وهو يصرخ في (حربة): أنا لم آتِ هنا لتحقق معي! هل ستساعدني أم لا!

(حربة): أساعدك في ماذا؟

(كوفان): سوف نبحر من جديد ونبحث عن تلك اللعينة وننتقم منها لما فعلته بأخي!

(حربة) وهو ينهض: سوف أساعدك لكن لا تطلب مني تصديقك

(كوفان): ماذا تقصد؟

(حربة): سوف أساعدك فقط فلنكتفِ بذلك في الوقت الحالي..

(كوفان): أين منزل (أنجر)؟

(حربة): لقد رحل عن المدينة بمجرد أن وصلنا للساحل

(كوفان): نحتاج لبحارة نثق بهم كي يبحروا معنا

(حربة): إذاً (أنجر) ليس ما تحتاجه..

(كوفان): لماذا؟

(حربة) وهو يضع يده على كتف (كوفان) ويقول له بصرامة: عد وادفن أخاك وتحقق من أن أمك لن تحتاج شيئاً خلال غيابك وأمهلني أسبوعاً واحداً فقط

(كوفان): ماذا ستفعل؟

(حربة) يهز كتف (كوفان) محدقاً بعينيه: سوف نبحث عن تلك الفتاة ونقتلها ولن نعود من البحر حتى نفعل ذلك..

في نفس تلك اللحظة التي دار فيها ذلك الحوار كانت (لج) قد قطعت مسافة كبيرة مبتعدة عن الساحل عوماً بسرعة هائلة على أمل أن ترى شيئاً مألوفاً خلال سيرها يدلها على الأماكن التي تعرفها أو زارتها من قبل. لم تعد (لج) بنفس شكلها السابق تماماً قبل أن تقع في شباك (كوفان) وطاقمه فقد كانت أنيابها ومخالبها أطول بكثير والحراشف السوداء تغطي معظم جسمها وكانت أقرب للغرانيق من الحوريات لكنها لم تكن غرنيقاً بالكامل. استمرت (لج) بالسباحة بالقرب من السطح ولم تقرر الغوص في الأعماق حتى بدأ النور فوقها بالخفتان معلناً حلول الليل. غاصت (لج) للأعماق المظلمة بالرغم من أنها لم تكن تريد ذلك لكن التضاريس أسفل منها بدأت بالاختفاء تدريجيّاً مع النور واضطرت لذلك لتعرف خط سيرها. تفاجأت (لج) من حراشفها التي توهجت بضوءٍ أبيض مخضر عندما أحاط بها ظلام القاع وأدركت أنه يمكنها الرؤية حولها لمسافة لا بأس بها فأكملت السباحة حتى وصلت للقاع وبدأت تعوم للأمام.

بعد مضي ساعتين على حلول الليل ونزول (لج) للأعماق أحست

بألم غريب في جسدها وكأن أشواكاً تخزها في كل مكان على سطح جلدها. كان الألم مبرحاً وصاحبه ألم شديد في الرأس مما دفع (لج) للتوقف عن السباحة والضغط على رأسها والصراخ بقوة. خرجت بعض الكائنات الصغيرة من بين الصخور التي كانت أسفل (لج) لفزعها من صوت صراخها وما أن رأتها حتى انقضت عليها وبدأت تلتهمها واحداً تلو الآخر وخلال افتراسها لها أحست ببعض الارتياح وأن ذلك الألم يخف قليلاً فبدأت تبحث حولها وتشتم بأنفها في حالة جنونية إلى أن التقطت رائحة راقت لها فعامت خلفها واقتفت أثرها حتى رأت سمكة سمينة تعوم في القاع فانقضت عليها وغرست أنيابها فيها ومزقتها والتهمتها في ثوانٍ.

زال الألم وهدأت (لج) وأدركت أنها تعاني من حالة الشبق الدموي التي كان يعاني منها (ياقوت) ويعاني منها جميع الغرانيق وأنها سوف تتحول لوحشٍ لا يرحم إذا لم تتعامل مع تلك الحالة بسرعة. حركت (لج) ذيلها وبدأت بالعوم ببطء في ذلك القاع المظلم ووهج نورها يحيط بها حتى وصلت لمنطقة بدت مألوفة لها فقالت في نفسها: أعتقد أني مررت من هنا قبل ذلك.. نعم تذكرت لقد مررت من هنا

مع (جيولن) عندما كنا ذاهبتين لـ«لمدينة المفقودة» معنى ذلك أني ما زلت في البحر الأزرق.

تلك المعلومة التي استنتجتها (لج) لم تقدم لها سوى المزيد من الحيرة ففي السابق كانت تحمل هدفاً تسعى إلى تحقيقه وهو الحصول على العنصر الأخير في القارورة التي أخذتها من ملوك الجن لكن الآن لم يكن لديها هدف تسعى خلفه ولا أحدٌ لتستشيره فدخلت في حالة من الحزن والكآبة وتوقفت عن السباحة وجلست على صخرة كانت أسفل منها.

(لج) وهي تنظر لذيلها: ذيلي يبدو أكبر من السابق.. سوف أصبح كالحوت بسبب ذلك النهم للافتراس.. يجب أن أجد حلًّا لنهمي وبسرعة..

لم تفكر (لج) كثيراً حتى توصلت لفكرة سريعة تحولت لقرار أسرع وهو بالبحث عن تلك النباتات المخدرة التي كان يتناولها (ياقوت) للسيطرة على نهمه وشبقه للدم ولم يكن الأمر صعباً عليها فالفترة التي قضتها مع (بستين) وأصدقائها السابقين أعطتها الخبرة الكافية للتعرف على الأوراق والنباتات المخدرة وتمييزها فحركت ذيلها وبدأت تتجول في المكان حولها حتى وقعت عينها على نبتة بأفرع

صفراء يتدلى منها أوراق زرقاء بأطراف حمراء فتبسمت عند رؤيتها وقالت وهي تقطف إحدى أوراقها: نبت الـ«سرطان» كما كان يسميها (ياقوت)..

التهمت (لج) الورقة وبدأت تلوكها وتفرمها بين أسنانها لتدخل في حالة من الدوخان والانتشاء طفت بعدها مكانها وهي باسطة ذراعيها وتنظر للأعلى وتقول: أنا لست مستعدة لذلك الظلام الذي يغشاني ويريد التهامي..

خفتت أنوار حراشفها المضيئة تدريجيّاً حتى انطفأت بالكامل وغطت في نومٍ عميق..

استيقظت (لج) في ظلام دامس وحركت ذيلها واستقامت وبدأت تستعيد يقظتها بينما أضاءت حراشفها مرة أخرى وحدثت نفسها قائلة: يبدو أني سأقيم في هذا المكان لفترة..

مكنت تلك الأوراق المخدرة (لج) من السيطرة على نهمها وشبقها للدم لكنها لم تغنها عن الأكل وكانت تقتات من وقتٍ لآخر على القريدس المحبب لها وتجنبت تناول أي شيء آخر خاصة وأن شهيتها لم تعد كالسابق. مع مرور الأيام استكشفت (لج) المنطقة حولها ووجدت كهفاً مناسباً لتبيت فيه خاصة عندما كانت تتعاطى

تلك الأوراق المخدرة لأن التيارات كانت تجرفها بعيداً عن مكان إقامتها خلال فقدانها للوعي. بعد عدة أسابيع زاد تعاطي (لج) لتلك الأوراق المخدرة مما أثر على شهيتها أكثر وأكثر وأصبحت لا تتناول شيئاً من الطعام إلا إذا أحست بالجوع الشديد وتكتفي بعدد قليل من القشريات التي كانت تقطن في تلك المنطقة وفقدت جراء ذلك الكثير من وزنها لدرجة النحالة ولم تعد تقوى على الخروج من الكهف إلا للتزود بالمزيد من الأوراق المخدرة والعودة مرة أخرى للكهف. ضعفت الكثير من حواس (لج) وأصبح نظرها وسمعها محدودين وكانت تستعين فقط بحاسة الشم للبحث عن ما تريد.

في أحد الأيام وخلال خروجها للبحث عن المزيد من الأوراق المخدرة لم تجد (لج) أيّاً منها في الجوار فسبحت لمسافة أبعد لكنها لم توفق كذلك. أصابها التوتر عندما لم ترَ أيّاً من تلك الأوراق المخدرة التي اعتادت على تناولها بانتظام وبدأت تبحث بنظرها الضعيف بجنون وتشتم التيارات الخفيفة التي كانت تمر بها حتى التقطت أثراً بسيطاً لرائحة نباتٍ مخدر فتعقبتها لكن جن جنونها عندما انقطع الأثر خلف مجموعة من الصخور الكبيرة المتراكمة بعضها فوق بعض فأخذت تضربها بقبضتيها حتى أدمت يديها. لم تتوقف (لج)

عن محاولة تجاوز تلك الصخور وبدأت تلطمها بذيلها حتى حطمت إحداها ليظهر خلفها نفقٌ مظلم. لم تفكر ولم تستشعر أي خطر أو حذر من الدخول في ذلك النفق بل حشرت نفسها في تلك الفتحة وتجاوزتها وبدأت بالعوم بسرعة جنونية خلف رائحة المخدر.

لم توفر حراشف (لج) الكثير من الإنارة لها في ذلك النفق لأنها وكبقية حواسها فقدت الكثير من قوتها وإنارتها أصبحت ضعيفة لكنها كانت كافية لترى مسافة محدودة أمامها مكنتها من الغوص أكثر وأعمق في ذلك النفق. وصلت (لج) لمبتغاها عندما خرجت من النفق لمكان واسع ومنير بمجموعة من اللآلئ بحجم قبضة اليد انتشرت في المكان لكنها لم تكترث لذلك المنظر الأخاذ وتوجهت للنباتات المخدرة الموزعة في القاع وتناولت بعض أوراقها ودخلت في نشوتها المعتادة وقبل أن تفقد الوعي تماماً وهي تطفو على ظهرها أطل في وجهها كائن ببشرة غامقة يشبه في شكله الغرانيق لكنه كان بلا حراشف وأملس الجلد ويتدلى من رأسه كراتٌ منيرة امتدت من منتصف جبينه لخلف عنقه وبعضها كان يتدلى أيضاً من ذقنه وخلف سواعده. لم تفزع (لج) منه أو تتحرك لأن مفعول المخدر كان قويّاً وظنت أنها تهلوس من أثره. فتحت (لج) عينيها بعد فترة

في ذلك المكان البراق والمشع بسبب تلك اللآلئ المنتشرة فيه ورفعت كفها لتحجب بعض ذلك النور القوي الذي عكر غيبوبتها وعلى غير العادة كانت تحس بألمٍ بسيطٍ في رأسها فقالت محدثة نفسها وهي تضع كفها على جبينها: يبدو أن هذا المخدر ليس قوياً بما يكفي..

(صوت مبحوح) من خلفها: المشكلة ليست بالمخدر..

هذه المرة فزعت (لج) والتفتت نحو مصدر الصوت ورأت ذلك المخلوق الأملس بأعينه المضيئة وقالت وهي تسبح للخلف بجزع: كنت أظنك حلماً..!

(الكائن الأملس ذو الصوت المبحوح) وهو يلتقط إحدى اللآلئ المنتشرة على جدران المكان وينظر إليها بزهو قائلاً: لستِ أول فتاة تقول لي ذلك..

(لج) بعبوس: هذا لم يكن إطراءً يا..

(الكائن الأملس ذو الصوت المبحوح) وهو يعيد اللؤلؤة مكانها بعناية: (جيتر).. (جيتر).. (جيتر)..

(لج): أنت كائن غريب.. لم أرَ مثلك من قبل..

(جيتر) وهو يلتقط لؤلؤة أخرى ويقوم بلحسها: يمكنني قول

الشيء نفسه عنكِ.. ما أنت؟.. غرنيق أم حورية؟

(لج) باشمئزاز: ماذا تفعل؟

(جيتر): ها؟.. هل تقصدين تنظيفي للآلئ؟

(لج): هل تسمي هذا تنظيفاً؟

(جيتر): هل لديك اقتراح أفضل؟

(لج): لا أبداً افعل ما تشاء

(جيتر) يعيد اللؤلؤة مكانها ثم يحرك ذيله ويسبح تجاه (لج) ويبدأ بالعوم حولها: كيف وجدِتني؟

(لج): ماذا تقصد؟

(جيتر): لا شك أنكِ لاحظتِ أني مختبئ بشكلٍ جيد ولم يجد أحدٌ هذا المكان من قبل حتى دخلتِ علي كالمجنونة

(لج): لم أشعر بنفسي كنت فقط أريد..

(جيتر) مقاطعاً (لج): آها لا تكملي.. المخدر.. كنتِ تبحثين عن المخدر

(لج): نعم

(جيتر) وهو يتلاعب بإحدى الكور في ذقنه بسبابته وبوجهٍ متسائل: لكن أي حاسة شم تملكين مكنتكِ من التقاط أثر المخدر من كل تلك المسافة؟.. لا أعرف حورية أو غرنيقاً يملك مثل هذه الحاسة القوية

(لج) وهي تهم بالرحيل: لا تقلق لن أزعجك مرة أخرى..

(جيتر): إلى أين؟ ألا تريدين إجابة على سؤالك؟

(لج) باستغراب: أي سؤال؟

(جيتر) وهو يلتقط لؤلؤة باليد اليمنى وأخرى باليد اليسرى: ألا تعرفين أين أنت؟

(لج) بتوجس: لا.. لا أعرف..

وضع (جيتر) إحدى اللآلئ على جبينه وأغمض عينيه وصمت لثوانٍ ثم قال.. (لج).. (لج).. (لج)..

(لج) بتعجب: كيف عرفت اسمي؟!

أبعد (جيتر) اللؤلؤة عن جبينه ثم قال مبتسماً: هذه اللآلئ ليست للزينة..

(لج) وهي تسبح تجاه (جيتر) وتقول بحماس: هل يمكن أن تخبرني بأي شيء؟

(جيتر) بوجه مستغرب: بالطبع لا..

(لج): ماذا إذاً؟.. ألم تخبرك اللآلئ باسمي؟

(جيتر) وهو يعيد اللآلئ لمكانها ضاحكاً: اللآلئ لا تتحدث..

(لج) بتجهم: لا تهزأ بي!

(جيتر): لقد كان جسدك مختلفاً عندما رأيتك لقد هزلتِ كثيراً..

(لج) باستغراب: أين رأيتني من قبل؟

(جيتر) وهو يعوم حولها:..(لج).. (لج).. (لج)..

(لج) تضع يدها على رأسها وتقول: يبدو أني فقدت عقلي بسبب المخدر وأنت مجرد هلوسة من صُنع عقلي المتهالك

(جيتر) يحرك ذيله ويعوم للأعلى: ليس تماماً يا ابنة (عقيق)..

(لج) وهي تنظر للأعلى وتبتسم: لقد تيقنت الآن أني فقدت عقلي

(جيتر) يدخل في النفق الذي جاءت منه (لج)..

(لج) مبتسمة: إلى أين يا هلوستي؟

لم يرد (جيتر) واختفى وسط النفق الضيق..

بدأت (لج) بعد رحيله باستكشاف المكان محدثة نفسها قائلة: لنرَ ماذا يوجد هنا..

لم يكن حولها سوى النباتات المخدرة في الأسفل واللآلئ المضيئة التي اصطفت من القاع إلى أعلى المكان لكن (لج) لمحت شيئاً مختلفاً في الأسفل وهو لؤلؤة أكبر حجماً من البقية وذات لون مختلف فقد كان لونها مائلاً للزرقة فحركت ذيلها وعامت تجاهها وعندما وصلت إليها واستقرت أمامها أمعنت النظر فيها لفترة قصيرة ثم مدت يدها لالتقاطها لكنها تراجعت عندما سمعت (جيتر) من خلفها يقول بهدوء: لا أنصحك بفعل ذلك..

(لج) دون أن تلتفت على (جيتر) ويدها لا تزال ممدودة: لماذا ما الذي سيحدث؟

(جيتر): قد ترين أموراً لا تعجبك..

(لج) وهي تلتفت نحو (جيتر) الذي كان خلفها مباشرة: مثل ماذا؟

(جيتر): الحقيقة..

(لج) تعيد نظرها نحو اللؤلؤة الزرقاء: ولمَ قد لا تعجبني الحقيقة؟

(جيتر): لا أحد يحب سماع الحقيقة فما بالك برؤيتها؟

(لج) وهي سارحة في اللؤلؤة: أنت مجرد خيال.. أليس كذلك؟

(جيتر): أنا حقيقي بقدر ما تريدين..

(لج) وهي تلتقط اللؤلؤة: لا ضير من المخاطرة إذاً..



حورية صغيرة تعوم بين شُعب مرجانية ملونة وتطارد السمكات الصغيرة..

أمها تلاحقها وتراقبها مبتسمة خلال لعبها..

يلفت انتباه الحورية الصغيرة ثعبانٌ صغيرٌ بألوانٍ زاهية فتحرك ذيلها الصغير وتبدأ بمطارته..

تنادي عليها أمها عندما رأتها تبتعد عنها قائلة: لا تبتعدي يا (لج) كثيراً!

(لج) تستمر في ملاحقة الثعبان الصغير حتى دخل أحد الجحور..

تُدخل يدها خلفه وتحاول الإمساك به.. تتعرض للدغ.. تصرخ وتخرج يدها وتبدأ بالبكاء..

(لؤلؤان) وهي تحمل ابنتها الباكية بقلق: ما بك؟! ماذا حدث؟!

(لج) تستمر في البكاء..

(لؤلؤان) تتفحص يد ابنتها المحمرة والمتورمة قائلة: أخبرتك بأن لا تعبثي في الأماكن المجهولة..

فقدت (لج) الوعي وأطل الثعبان برأسه من الجحر الذي اختبأ فيه فأمسكت به (لؤلؤان) وفصلت رأسه عن جسده. عادت (لؤلؤان) حاملة ابنتها بين ذراعيها وما تبقى من ذلك الثعبان لجبل «الجير» في البحر الأبيض وتوجهت مباشرة لمهجع (لج) ووضعتها في صدفتها ثم أمرت أحد الحراس بالبقاء لحراستها ريثما تخبر الملك بما حدث. بعد ما علم الملك بالأمر استدعى الوزيرة (طيمة) كي تفحص الأميرة الصغيرة فأخبرته بعد فحصها بأنها أصيبت بسم لا تعلم له ترياقاً..

أمر الملك جميع كائنات البحر بالبحث عن علاج لابنته في البحور السبعة وأعلن أن من يجد علاجاً لها ستتم مكافأته بما يشاء. مضت الأيام ولم تفق (لج) من غيبوبتها وكانت الملكة قلقة كثيراً عليها ولم تبارح صدفتها وبقيت بجانبها طيلة الوقت.

(طيمة) تدخل على الملكة الساهرة بجانب ابنتها: لَمَ لا ترتاحين يا جلالة الملكة وسأبقى أنا بجانب الأميرة الصغيرة؟

(لؤلؤان): لن أذوق طعم النوم حتى تفيق ابنتي..

خرجت الوزيرة (طيمة) من المكان وعامت حتى خرجت من جبل «الجير» وتوجهت لمكانٍ بعيدٍ عنه بمسافة ليست بالقصيرة حتى وصلت لمرجٍ كبير من المرجان خرج منه ثعبان بشع المنظر وعندما استقر أمامها قالت له: أين سيدتك يا (جريث)؟

(جريث) وهو يفتح ويغلق فمه العظمي:.. اتبعيني..

حرك (جريث) ذيله المقطوع وعام فوق الشعب المرجانية و(طيمة) خلفه..

توقف الثعبان البشع بعد سباحة وجيزة وأشار بذيله المقطوع للأسفل قائلاً: مولاتي (أمفرتيت) بانتظارك..

غاصت الوزيرة (طيمة) وما أن نزلت بين الشعب المرجانية حتى رأت حورية جميلة بأعين زرقاء وشعرٍ أكثر زرقة متكئة على قطعة مرجانية متصلبة فقالت لها: تشكل جميل يا (أمفرتيت).. اخترتِ تماماً الصفات التي يُحبها الملك (عقيق)..

(أمفرتيت): دعكِ من هذا الأمر الآن.. ما الذي أتى بكِ؟

(طيمة): لقد قُضي الأمر والأميرة الصغيرة في غيبوبة..

(أمفرتيت) مبتسمة بخبث وهي بهيئة تلك الحورية الجميلة:

وأخيراً.. لقد نشرت الكثير من تلك الثعابين السامة في مكان لعب ابنة (لؤلؤان) وبدأت أفقد الأمل في أن أحداً منها سيقوم بعمله ويلدغها

(طيمة): هل أنت واثقة من أن ترياقك سيعالجها؟ لو ماتت الأميرة الصغيرة قبل أوانها فسوف تفشل الخطة بالكامل

(أمفرتيت) وهي تخرج لسانها وتحركه في وجه (طيمة): لن يكون مجرد ترياق بل مسخاً كاملاً..

(طيمة) بتوجس: ماذا تنوين أن تفعلي يا (أمفرتيت)؟ الاتفاق كان علاج الأميرة الصغيرة دون أن تتعرض لأي أذى حتى تكسبي ثقة الملك بعدها نتخلص منها مع أمها

(أمفرتيت) وهي تحرك سبابتها على صدرها: وكذلك ابن (عقيق) الآخر يجب أن يموت..

(طيمة): تقصدين (سايدن)؟

(أمفرتيت): نعم فهو يحمل الوسم الملكي على جبينه مثل أخته وهذا يهدد أي مجهود سنقوم به للاستيلاء على حكم البحور السبعة

(طيمة): الأخبار التي تصلنا من البحر الأخضر تقول بأنه مات

(أمفرتيت): مات؟.. كيف؟

(طيمة): الحاكم الفعلي للحور في البحر الأخضر هي أمه (سلسبيل) وقد كانت تظهر مع ابنها الصغير في كل مكان لكن ومنذ عدة أشهر بدأت تظهر وحدها بدونه ولم يجرؤ أحد من شعبها على سؤالها عن مكانه بعد ما أعدمت أحد مستشاريها لطرح ذلك السؤال

(أمفرتيت) وهي تبتسم: يبدو أنها حانقة لفقدانها مفتاح عودتها لمملكة الحور..

(طيمة): نعم هذا ما يبدو

(أمفرتيت) مشوحة بيدها: ارحلي يا سلحفاة الآن لقد انتهى دورك..

(طيمة): نحن ما زلنا على اتفاقنا بشأن إعلان «مملكة السلاحف» أليس كذلك؟

(أمفرتيت) بغضب: لا وقت لطلباتك الآن! أريد التركيز على مقابلة الملك!

تجهمت (طيمة) وحركت زعانفها عائدة نحو جبل «الجير»..

في اليوم التالي دخلت الوزيرة (طيمة) على الملك (عقيق) وأخبرته أن هناك من يطلب لقاءه مدعياً أنه يملك علاجاً للأميرة (لج).

(عقيق) بحماس: ماذا تنتظرين؟! أدخليه علي فوراً!

دخلت (أمفرتيت) وهي متشكلة بهيئة تلك الحورية الجميلة وحنت رأسها للملك وهي تقول: شرفٌ لي أن أقف بين يدي ملك البحور السبعة..

(عقيق) وحماسه يتحول لتوجس: هل أنت من مملكتنا؟

(أمفرتيت): لا يا جلالة الملك أنا من خارج البحر الأبيض وقد وصلني خبر مرض الأميرة الصغيرة وأتيت للمساعدة

(عقيق): لا يوجد حور خارج البحر الأبيض.. من أين أتيتِ أيتها الحورية؟

(أمفرتيت): من شمال البحر الأسود

(عقيق) بغضب: لا يوجد حور يعيشون خارج مملكتنا فلا تكذبي علي وقولي الحقيقة!

(أمفرتيت): بلى أيها الملك يوجد.. نحن شعب كامل يعيش هناك منذ مئات السنين

(عقيق): ولِمَ لم تتواصلوا معنا من قبل؟.. وكيف علمتِ بمرض ابنتي؟

(أمفرتيت): أنا ملكة شعب الحور في البحر الأسود وكنا على دراية بكل ما يدور في مملكتكم فلنا كائنات تنقل لنا أخباركم دائماً

(عقيق) والشك متمكن منه: ولِمَ كل هذا؟.. لِمَ لم تتواصلوا معنا من قبل إذا كنتم من بني جنسنا؟ كنا سنحتويكم ونرحب بكم

(أمفرتيت): كنا ننتظر الوقت المناسب لنندمج مع شعبكم

(عقيق): لا أفهم ما تقصدين

(أمفرتيت): شعبي يملك فخراً كبيراً بنسله وعرقه ولم يكن ليقبل أن يخضع لحكمك حتى وإن طلبت أنا منهم ذلك

(عقيق): هذا شأنكم ولا يهمني شيء الآن سوى حياة (لج).. ما هو ترياقها؟

(أمفرتيت): أريد الثمن مقدماً أيها الملك

(عقيق) بغضب: هل تملين شروطك علي أيتها الحورية؟!

(أمفرتيت) وهي تمرر أصابعها في شعرها الأزرق: العفو أيها الملك لكن هذا حقي

(عقيق) بهدوء: لن أبخسك حقك أيتها الملكة.. اطلبي ما تشائين

(أمفرتيت): أرغب في دمج شعبنا مع شعبك العظيم

(عقيق): ألم تقولي بأنهم يرفضون الخضوع تحت سلطتي؟

(أمفرتيت): نعم لكنهم لن يمانعوا إذا كنت شريكة لك في هذا الحكم

(عقيق) بغضب شديد: ماذا؟!.. تشاركينني حكمي؟!.. هل نسيتِ نفسك ونسيتِ أين أنتِ وفي حضرة من؟!!

(أمفرتيت) وهي تحني رأسها: أنا في حضرة ملك البحور السبعة الذي أطمع أن يتزوجني ليجمع شمل شعب الحور في هذا البحر الواسع

(عقيق) بغضب وصوت مرتفع: اخرجي من هنا قبل أن أقتلك!

(أمفرتيت) بهدوء: سوف أبقى في مملكتك لثلاثة أيامٍ فقط أيها الملك وبعدها سأرحل للبحر الأسود دون عودة

(الملك) بغضب: اخرجي من هنا!

خرجت (أمفرتيت) من كهف الملك وعلى وجهها ارتسمت ابتسامة خبيثة وكان (جريث) في استقبالها فقال وهو يلتف حول عنقها: هل وافق الملك؟

(أمفرتيت) وهي تحدق بفوهة الكهف وتمسح على رأسه مبتسمة: سيوافق يا (جريث) لا تقلق..

عندما بلغ الخبر الملكة (لؤلؤان) بأن الملك (عقيق) قام بطرد حورية تملك علاجاً لابنتها توجهت غاضبة للملك ودخلت عليه كاتمة حنقها لكن عينيها كانتا تتحدثان نيابة عنها فأمر الملك حراسه ومستشاريه بأن يتركوه وحده مع الملكة لأن الملكة (لؤلؤان) مهما بلغ بها الغضب لا تفصح به للملك أمام أحدٍ وهو يعلم ذلك. بعد رحيل من كانوا حول الملك تكلم قبلها مستدركاً سخطها قائلاً: أعرف سبب حضورك فلا تحاولي إقناعي بالتراجع عن قراري..

(لؤلؤان) بغضبٍ يخالطه الحزن: قرارك هذا سوف يقتل ابنتك!

(عقيق): تلك الحورية دخيلة حتى وإن كانت كما تدعي من نسلٍ ملكي فلن أتزوجها

(لؤلؤان) بتجهم: ستتزوجها يا جلالة الملك وسوف تأخذ علاج ابنتك منها في المقابل!

(عقيق): هل أصبح ملك البحور السبعة يباع ويشترى؟!

(لؤلؤان) تحرك ذيلها وتقترب أكثر من الملك (عقيق): أرجوك.. لا أريد أن أخسر طفلاً آخر

(عقيق) بهدوء: سوف ننجب غيرها..

(لؤلؤان) وقد بدأت تبكي: ألا تملك أي مشاعر؟!.. هي ليست جماداً كي تستبدل بها بكل برود!

زفر الملك (عقيق) ولم يتحدث..

استمرت (لؤلؤان) بإقناع الملك حتى سلم أمره ووافق لكنه شرط عليها شرطاً قاسياً وافقت عليه بلا تردد. اشترط الملك أن تتنازل عن كل حقوقها الملكية ولا تطالبه بأي شيء وأن تبقى فقط كمربية للأميرة (لج). أُبلغت (أمفرتيت) بخبر موافقة الملك عن طريق الوزيرة (طيمة) وحُدد موعد الاقتران وأبلغت (طيمة) بأن تُخبر الملك بأنها ستأتي في الموعد مع مئة من أفراد شعبها ليقيموا معها كحاشية مرافقة لها. وافق الملك دون معارضة وفي اليوم الموعود أقيم الحفل بشكل مختصر في جبل «الجير» وكان ذلك طلب (أمفرتيت) والتي لقبت نفسها بـ(شوكران).

لم يحضر حفل التزاوج من مملكة الحور سوى الملكة (لؤلؤان)

والوزيرة (طيمة) والمستشار (مارج) وحارس الملك (كوكب) فقط وبقية الحاضرين كانوا من الحور الذين أتوا مع الملكة الجديدة (شوكران). تُمم الزواج بالطقس التقليدي وهو أن يقوم الملك بتناول قطعة من سمكة (الشمس) من يد زوجته الجديدة. لم يُظهر الملك (عقيق) السعادة خلال المراسم لأنه لم يكن مبتهجاً فعلاً بعكس زوجته الجديدة و(لؤلؤان) حضرت الحفل فقط لتأخذ الترياق من (شوكران) التي أخبرتها بأنها لن تناولها الترياق حتى يأكل الملك من يدها ويُتمم الاقتران بها. دنت الملكة السابقة من الملكة الجديدة خلال الاحتفال وقالت لها: مبارك يا جلالة الملكة..

(شوكران) وهي تتحسس الحلي على عنقها ورأسها بابتسامة شامتة: شكراً يا (لؤلؤان)..

(لؤلؤان): هل يمكن أن تعطيني الترياق الآن؟

(شوكران) تخرج بأناملها قارورة صغيرة من شق صدرها وتمدها بابتسامة خبيثة: خذي.. هذا السائل سيغير حال ابنتك..

خطفت (لؤلؤان) القارورة من يد الملكة الجديدة وحركت ذيلها وهمت بالخروج بسرعة من المكان وعندما رأتها (طيمة) لحقت بها ومن خلفها (مارج) بعد ما رمقت (شوكران) بنظرة عابرة..

دخلت (لؤلؤان) مهجع (لج) وأمسكت القارورة ورفعت غطاءها وقربتها من شفاه ابنتها وسكبت بعض محتواها داخل فمها و(طيمة) مع (مارج) خلفها يراقبان ما يحدث. لم تمضِ ثوانٍ على تناول (لج) لمحتوى القارورة الصغيرة حتى فتحت عينيها فاحتضنتها أمها وبدأت تبكي فرحاً لسلامتها وعودتها.

بعد أسابيع من زواج الملك من (شوكران) تغيرت أطباعه كثيراً فقد فُتن بها بعد ما كان ساخطاً عليها وبدأ يولي أفراد شعبها كل المراكز القيادية في المملكة وأصبح ظهوره أقل من المعتاد وبدأ شعب الحور يأخذ أوامره منها ومن مستشاريها. وأمرت بإنشاء عرشٍ خاص بها في مكانٍ آخر في جبل «الجير» وتم ذلك بمباركة الملك المُغيب بالرغم من أن ذلك يضرب بكل القوانين الملكية عرض الحائط.

(طيمة) وهي تدخل على الملكة (شوكران) في مقرها الجديد وهي محاطة بمستشاريها الخاصين: هل يمكننا التحدث وحدنا يا جلالة الملكة؟

(شوكران): قولي ما تريدين أمامهم وحاذري في كلامك أيتها السلحفاة العجوز..

(طيمة) كاظمة عبوسها: لقد بلغني أنكِ قمتِ بإعفائي من منصبي.. هل هذا صحيح؟

(شوكران): نعم ولستِ الوحيدة التي تم إعفاؤها..

(طيمة) بتجهم: هل يعلم الملك (عقيق) بهذا القرار؟

(شوكران): الملك أوكلني بإدارة مهام الحكم وقراري هو قراره

(طيمة): حراسك يمنعون أي أحد من مقابلة الملك وأنا أريد مقابلته

(شوكران): بصفتك ماذا؟

(طيمة): بصفتي وزيرته!

(شوكران): هل سمعك ثقيل مثل عقلك أيتها العجوز؟.. أخبرتك أنكِ لم تعودي الوزيرة!

لم ترد (طيمة) وخرجت من المكان بهدوء..

مضت الأيام وحدثت تطورات كثيرة في مملكة الحور فقد رحلت (لؤلؤان) مع ابنتها (لج) للإقامة خارج جبل «الجير» بسبب المضايقات المستمرة التي كانت تتعرض لها من (شوكران) وأتباعها خاصة وأنها لم تكن قادرة على مقابلة الملك (عقيق) لإيصال شكواها.

رحلت مع (لؤلؤان) الوزيرة السابقة (طيمة) والتي فقدت جميع صلاحياتها واختارت البقاء مع ملكتها بعد ما هددتها (شوكران) بأنها لو تحدثت عن شيءٍ يخص اتفاقهما السابق فسوف تقتلها وتبيد شعبها بالكامل وأن طلبها في جعل نسل السلاحف مملكة مستقلة هو طلب مجنون كصاحبته ولن يرى النور أبداً ما دامت على قيد الحياة. صاحبهم كذلك الأخطبوط (مارج) الذي أعفي هو الآخر من مسؤولياته بعد أسابيع قليلة من إعفاء الوزيرة (طيمة) وعُين مكانه حوري ضخم يدعى (جباس).

تزايدت أعداد الوافدين من شعب (شوكران) يوماً بعد يوم حتى أصبحت أعدادهم موازية لتعداد سكان مملكة الحور الأصليين وبدؤوا يختلطون بهم ويندمجون معهم عنوة. أصبح جبل «الجير» مقر الحكم في مملكة البحور السبعة خالياً من أي أحدٍ عدا (شوكران) وحاشيتها بالإضافة للملك الذي لم يرَه أحدٌ لشهور طويلة ولم يُسمع عنه حتى أن حارسه الشخصي (كوكب) الذي لم يكن يفارقه اختفى في ظروف غامضة ولم يشعر أحدٌ بذلك لأنه كان آخر الراحلين عن جبل «الجير». أعلنت الملكة (شوكران) في

أحد الأيام وبشكلٍ مفاجئ وفاة الملك (عقيق) ونصبت نفسها حاكمة مكانه وبالرغم من الصدمة الكبيرة التي تلقاها شعب الحور الأصلي ومقاومتهم القرار بتأييد من الملكة السابقة (لؤلؤان) ومطالبتهم أن تعود لجبل «الجير» كملكة حتى تبلغ الأميرة (لج) رشدها وتتولى الحكم والتي كانت وقتها في عامها الثالث من العمر إلا أن تغلغل شعب (شوكران) امتص تلك الثورة بترويج الأكاذيب عن الملك الراحل وتلفيقها في مقابل تلميع (شوكران) وحكمها العادل.

تلقت الممالك الأخرى الخبر بشيء من الروتينية خاصة وأن (شوكران) خلال فترة إدارتها للمملكة كانت ترسل الكثير من المساعدات لتلك الممالك والتي كان الملك (عقيق) يقننها بشكل كبير للسيطرة عليهم. الملك (عقيق) لم يكن حاكماً مثالياً وله عيوبٌ كثيرة استغلتها (شوكران) خاصة مع الممالك البعيدة عنهم والأقل قوة منهم لذا فلم يكن انتهاء فترة حكمه بالأمر الذي سيدفع أيّاً منها للاعتراض أو حتى السؤال.

لم تهدأ الثورة الداخلية في مملكة الحور وعاودت الظهور مرة أخرى

للسطح بشكلٍ أقوى بتحريضٍ من (لؤلؤان) وبدأت الصدامات تنشب بين شعب (شوكران) وشعب الحور واختارت (طيمة) تجنب الظهور في تلك الفترة الساخنة خشية من أن تتهم بأنها جزء من ذلك التحرك المناهض لحكم (شوكران) وكان (مارج) بالرغم من أنه لم يكن تحت إمرتها تابعاً لها ومنفذاً لأوامرها لذا وجهته يوماً أن يتسلل لجبل «الجير» في محاولة للتجسس والحصول على أي معلومات عن مخططات الحكومة الحالية لأن (مارج) كان يعرف جميع مداخل الجبل والأخابيط بطبعها تملك قدرة على التخفي والتسلل بهدوء.

عاد (مارج) من مهمته التجسسية وأخبر (طيمة) بما تمكن من الحصول عليه من معلومات..

(مارج): لقد تسللت للجبل ولم أستطع الوصول لمقر الملكة لكني سمعت بعض الأحاديث الجانبية بين أفراد شعبها وحراسها ولم أفهم معنى أحاديثهم.

(طيمة): انقلها لي كما سمعتها واترك الفهم لي

(مارج): سمعت بعضهم يتحدث عن أوامر الملكة بالانتقال للمرحلة الثانية والتخلي عن تشكلهم

(طيمة) وهي تنصت باهتمام: وماذا سمعت أيضاً؟

(مارج): سمعت الحوري الضخم (جباس) الذي تولى مهام الجيش يوجه أتباعه للانتشار في المملكة استعداداً للسيطرة على ثورة شعب الحور لكنه لم يذكر كيف.. أعتقد أنهم سيحاولون إقناعهم بالقوة لقبول حكم (شوكران)

(طيمة) وهي تحدث نفسها: سوف تقتل (لؤلؤان) و(لج) بلاشك كي تقضي على أي أملٍ في الإطاحة بحكمها

(مارج): سمعت شيئاً آخر..

(طيمة): ما هو؟.. تكلم!

(مارج): سمعت أحد القادة يوجه مجموعة من الحور والقروش للتوجه للبحر الأخضر

(طيمة): البحر الأخضر؟.. لأي غرض؟

(مارج): لا أعرف..

(طيمة): اسمع يا (مارج) سوف أطلب منك أمراً أريدك أن تنفذه دون سؤال

(مارج): أمرك يا معالي الوزيرة

(طيمة): خذ (لج) في الحال واخرج من مملكة الحور بل اخرج من البحر الأبيض بأكمله!

(مارج) بتعجب: والملكة (لؤلؤان)؟

(طيمة): المهم الآن أن نحافظ على الوريث الشرعي لحكم الملك (عقيق).. لن أسمح لتلك اللعينة بأن تحكم البحور السبعة للأبد و(لج) هي التي ستحول دون ذلك بعد بلوغها

(مارج): لكن..

(طيمة) بغضب: خذها وارحل بسرعة للبحر الأصفر فوراً وأنا سوف ألحق بكما مع الملكة (لؤلؤان)!

(مارج): أين في البحر الأصفر؟

(طيمة): في المكان الذي دفن فيه (عقيق) الملك السابق..

(مارج): تقصدين «وادي المرجان»؟

(طيمة): نعم.. انتظرني عند مدخل الكهف الذي دُفن فيه (كدبرس)

وسوف ألحق بك عندما أستطيع الهروب مع الملكة (لؤلؤان).. هيا تحرك!

نفذ (مارج) أوامر (طيمة) وأخذ (لج) التي كانت متروكة في عنايتها لأن (لؤلؤان) كانت مع ثوار شعب الحور أغلب اليوم. بعد ما تيقنت (طيمة) من أن (مارج) تمكن من الهروب والابتعاد خارج حدود مملكة الحور دون أن يلحظه أحد بدأت بالبحث عن (لؤلؤان) كي تأخذها معها لأنها كانت واثقة لو أنها عرضت عليها الهروب فسوف ترفض ترك شعبها يواجه (شوكران) وحده لذا قامت بتهريب (لج) قبلها لعلمها السابق بأنها سوف تضعف وتذهب معها لأجل ابنتها.

عندما اقتربت (طيمة) من جبل «الجير» فوجئت بأعداد هائلة من الغرانيق حول الجبل وأسفل منهم جثث كثير من أفراد شعب الحور فعلمت بأن (أمفرتيت) بدأت بخطتها في التخلي هي وشعبها عن تشكلهم والبدء في تصفية شعب الحور. بالرغم من الخطر المحدق بـ(طيمة) لبقائها في ذلك المكان إلا أنها آثرت البحث عن الملكة (لؤلؤان) بين تلك الفوضى ولم تفقد الأمل حتى رأت جثتها بلا

رأس مرمية في أحد الخنادق التي امتلأت بالجثث الأخرى من شعب الحور.

خرجت (طيمة) من مملكة الحور بلا عودة واستمرت رحلتها حتى عبرت البحر الأبيض نحو البحر الأصفر وخلال أيام قليلة وصلت لوادي المرجان وتوجهت مباشرة لتجد (مارج) مع (لج) الصغيرة بانتظارها وعندما رآها (مارج) مقبلة من الأفق حرك مجساته وعام بسرعة نحوها تاركاً (لج) في الكهف وحدها وعند وصوله لـ(طيمة) قال بابتهاج: سعيدٌ لوصولك سالمة أيتها الوزيرة!

(طيمة) بتجهم: أين (لج)؟!

(مارج) مستغرباً من غضب (طيمة): في الكهف.. لا تقلقي هي بأحسن حال وقد أطعمتها

(طيمة) تحرك زعانفها نحو الكهف بعبوس: هذه الفتاة يجب أن لا تغيب عن ناظرنا أبداً فهي الشيء الوحيد الذي سيضمن سلامتنا وسلامة البحور السبعة من بطش (أمفرتيت) وغرانيقها!

(مارج) يحرك أذرعه ويعوم خلف (طيمة): أعتذر يا معالي الوزيرة لم أُفكر عندما رأيتك مقبلة علي

(طيمة) تدخل الكهف وترى (لج) تعوم وتلعب بالحجارة..

اندفعت (لج) نحو مربيتها عندما رأتها وركبت فوق صدفتها وبدأت تلعب فوقها فقالت لها (طيمة) وهي تبتسم: كيف حال أميرتنا الصغيرة؟

الحور في مراحل عمرهم الأولى لا يملكون الكثير من الإدراك ولا يبدؤون بالنطق حتى يكملوا عامهم الرابع وذكرياتهم تبدأ بالتبلور عندما يكملون عامهم الخامس ولا يبلغون سن الرشد إلا مع إتمام عامهم الثامن.

(طيمة) لـ(مارج) و(لج) تلعب فوق صدفتها: سوف نربي الأميرة حتى يخرج الدم من سرتها وعندها سنطالب بحقها في عرش أبيها المغتصب

(مارج): ومن سيساعدنا؟

(طيمة): لا تستهن بالوسم الملكي على جبينها فما زال هناك ممالك تحترم هذا الوسم وسوف تنقض جميع العهود مع (أمفرتيت) لو رأته مرة أخرى

(مارج): أين الملكة (لؤلؤان)؟ لَم لم تأتِ معكِ؟

(طيمة): الملكة واجهت نفس مصير شعبها.. لقد ماتوا جميعاً

(مارج): ماتوا؟!

(طيمة): نعم فالغرانيق لا يريدون أن يبقى أحد من الموالين للملك (عقيق) خاصة زوجته السابقة وشعبه

(مارج): سوف تحزن الأميرة الصغيرة عندما تعرف بذلك مستقبلاً

(طيمة): لن نخبرها بموت أمها أبداً.. أخبرها بأنها مع شعب الحور تحولوا لغرانيق

(مارج) بتعجب: لماذا؟

(طيمة): القلوب المكسورة لا تملك همة.. القلوب المجروحة فقط هي من تبحث عن إراقة الدماء والثأر.. يجب أن نشحذ هذه الفتاة عندما يحين الوقت بالكره والحقد نحو من سلبوها حقها كي تنتزعه بقوة منهم والحزن لن يساعدها في مسعاها وسوف أربيها كي لا تعرف معنى الحزن أو الشفقة

(مارج): لكنها مجرد فتاة صغيرة..

(طيمة): هذه الفتاة ولدت وعلى عاتقها الكثير ويجب أن تهيأ لتولي المسؤولية

(مارج): لا أرى الأميرة (لج) كمحررة لشعب الحور

(طيمة): لم يعد هناك شعب للحور في البحر الأبيض لم يبقَ سوى شعب خبيث أخذ الحكم بطريقة قذرة

(مارج): وكيف ستأخذ الاميرة (لج) حقها من الغرنيق؟

(طيمة): سوف نرسلها عندما يخرج منها الدم لملوك الجن كي يرشدوها للطريقة التي ستستعيد بها حكم أبيها

(مارج): أليس ملوك الجن كائنات مخربة وظالمة؟

(طيمة): ومن قال لك إن اعتلاء العروش يكون بالاستعانة بكائنات طيبة وعادلة؟

(مارج): هل نحن بمأمن هنا في وادي المرجان؟

(طيمة): لا شك أن (أمفرتيت) لن تهدأ حتى تقتل (لج) لكنها قد تنشغل في الوقت الحالي بالوريث الآخر

(مارج): تقصدين (سايدن)؟

(طيمة): نعم.. هذا إذا كان لا يزال على قيد الحياة

(مارج): سنبقى إذاً في الوادي خمسة أعوام..

(طيمة): لا تبقَ أنت معنا.. ابقَ في المرج خارج حدود الوادي

(مارج): خارج الوادي؟ لِمَ يا معالي الوزيرة؟

(طيمة): كي تحذرنا من أي هجومٍ علينا قبل أن يصل إلينا ويباغتنا.. سوف أزورك مرة كل عام لأخذٍ الأخبار منك ولا تحاول التواصل معي أبداً إلا إذا تعرضنا لهجوم فقط

(مارج): وماذا أفعل كل تلك الفترة؟

(طيمة): اعمل في صمت كي يكون إنجازك مدوياً..

(مارج): حاضر

رفعت (لج) يدها من على اللؤلؤة المزرقة وعلى وجهها صدمة كبيرة..

(جيتر) من خلفها وبصوته المبحوح: هل ما رأيتِه كان مفيداً؟

(لج): أمي ماتت..

(جيتر): الجميع يموت..

(لج): وأمي الأخرى.. كانت..

(جيتر): أخبرتك بأن الحقيقة قد تكون مؤلمة.. المُحطم يفضل تحطيم غيره على إصلاح نفسه..

(لج) بوجه سارح في اللؤلؤة الزرقاء: أريد رؤية المزيد..

(جيتر): إذا كان هناك المزيد الذي يجب أن تريه.. فسترينه.. لكن تذكري أن أرض الحنين للماضي ملغمة بذكرياتٍ مؤلمة..

وضعت (لج) يدها مرة أخرى على اللؤلؤة الزرقاء..



سلحفاة ضخمة تعوم في أحد التيارات المتوسطة عائدة لديارها بعد غيابٍ دام أسبوعاً..

تقترب من منزلها في وادي المرجان..

تخرج في استقبالها حورية في الخامسة من العمر وتندفع نحوها عوماً وهي تنادي عليها: أخيراً عدتِ يا أمي!

(طيمة) وهي تبتسم وتراقب (لج) تسبح تجاهها بسرعة: خففي من سرعتك يا حمقاء!

(لج) ترتطم بـ(طيمة) وتعانق رقبتها وتقول بسعادة: لِمَ تأخرتِ هذه المرة؟!

(طيمة) وأنفاسها تتقلص: أبعدي أذرعك عن عنقي وسأخبرك!

(لج) تفك عناق (طيمة) وتضحك قائلة: عذراً يا أمي!

(طيمة) تستمر بالعوم تجاه الوادي و(لج) تعوم بجانبها: لقد

واجهت بعض المشكلات خلال طريق العودة

(لج) بقلق: مشكلات؟.. مشكلات من أي نوع؟

(طيمة): لا شيء يستحق الذكر.. ماذا فعلتِ في غيابي؟

(لج): لا شيء

(طيمة): هل أكلتِ عائلة السلطعون المقيمة أسفل الكهف كما أخبرتك؟

(لج) بتحرج:.. لا..

(طيمة) بتجهم: لماذا؟!

(لج): بصراحة يا أمي لم أستطع قتل الأم والأب معاً وأكلهما لأنهما قد رزقا حديثاً بالكثير من الأطفال ويجب أن يعتنيا بهم

(طيمة): لقد طلبت منك أكلهم لهذا السبب تحديداً

(لج): لمَ تجبرينني على إيذاء الكائنات الصغيرة؟!

(طيمة): هي مصدر غذائك ويجب أن لا تملكي أي شفقة تجاهها

(لج): أفكر بأن أكون نباتية مثلك

(طيمة): أنا لست نباتية باختياري

(لج): أنا سأكون كذلك باختياري وبقناعة مني

(طيمة) وقد وصلت لفوهة الكهف: سوف أرتاح الآن وعندما أستيقظ من النوم سوف تأكلين تلك الأسرة مع أطفالها أيضاً!

(لج) وهي تراقب (طيمة) تعوم داخل الكهف: لكن يا أمي..!

تجاهلت (طيمة) تذمر (لج) ودخلت للكهف..

بقيت (لج) خارج الكهف تحك ذقنها بأناملها وتفكر حتى وجدت حلًّا لمعضلتها وحركت ذيلها وغاصت لأسفل الكهف حيث كانت عائلة السلطعون تقيم وقد كانت وقتها لا تجيد لغة الكائنات الصغيرة فلم تحاول التواصل معها بل بدأت بحملها واحداً تلو الآخر ونقلتهم بعيداً عن الكهف. عندما استيقظت (طيمة) وجدت (لج) نائمة فوق صدفتها كما اعتادت فهزت قوقعتها وأيقظتها.

(لج) وهي تفيق من نومها: ما الأمر يا أمي؟..لمَ أيقظتني؟

(طيمة): لقد بلغتِ الخامسة ويجب أن تبدئي التصرف بما يتناسب مع عمرك

(لج) بوجهٍ محبط: موضوع الافتراس مرة ثانية؟

(طيمة) بصرامة: وثالثة ورابعة!.. أنت لم تعودي صغيرة ومعاملتك

اللطيفة للكائنات يجب أن تنتهي اليوم!.. هيا اذهبي وأحضري عائلة السلطعون إلى هنا كي أراقبك وأنت تلتهمينها

(لج) بابتسامة عريضة: ألم أخبرك يا أمي؟!.. لقد رحلوا!

(طيمة) بتعجب: رحلوا؟

(لج) وهي تتصنع الوحشية ببلاهة: نعم!.. فقد كنت جائعة وذهبت لافتراسهم جميعاً ولم أجدهم!

لم تعلق (طيمة) على كلام (لج) وحركت زعانفها وبدأت بالعوم خارج الكهف..

(لج) وهي تراقبها: إلى أين يا أمي؟

(طيمة): اتبعيني فقط..

تبعتها (لج) حتى توقفتا أمام منزل عائلة السلطعون أسفل الكهف وتفاجأت الحورية الصغيرة عندما رأت أن العائلة بالكامل قد عادت للجحر الصغير الذي كانت تقيم فيه وقالت بارتباك وتوتر لـ(طيمة): صـ.. صدقيني يا أمي أنهم لم يكونوا هنا قبل أن أنام.. أقسم لكِ

(طيمة): المهم أنهم موجودون الآن وسأراقبكِ وأنتِ تفترسينهم..

(لج) وهي تراقب عائلة السلطعون المكونة من أبوين وخمسة أطفال وتقول بحزن: بمن أبدأ..؟

(طيمة) بتجهم: وما الفرق؟!

(لج): لا يمكنني أكل الأم أمام صغارها ولو تناولت الصغار أمام أمهم فسوف ينكسر قلبها

(طيمة) وهي تحاول تحمل تعليقات (لج): ابدئي بالأب إذاً

(لج) بنبرة متفاجئة: السيد سلطعون؟!

(طيمة) وهي تصرخ في (لج): كفي عن التعلق بتلك المخلوقات!

غطت (لج) وجهها وبدأت بالبكاء..

(طيمة) ببرود: البكاء لن يحميك هذه المرة.. هيا التقطي واحدة منها.. بسرعة!

مدت (لج) يدها نحو عائلة السلطعون واليد الأخرى أبقتها على وجهها وغطت بها إحدى أعينها والتقطت الأب صاحب المخلب الكبير وبدأت تقربه من فمها فقالت لها (طيمة): ماذا تفعلين؟

(لج) وإحدى يديها على عينها: سآكله.. أليس هذا ما تريدينه؟

(طيمة): هذه ليست الطريقة الصحيحة لتناول السلطعون

(لج) وهي تنزل يدها عن عينها: وما هي الطريقة الصحيحة إذاً؟

(طيمة): انزعي أطرافه واحداً تلو الآخر وتناوليها

(لج): لكن يا أمي أنا أقضم رؤوسهم كي يموتوا بسرعة ولا يتعذبوا

(طيمة) وهي تصرخ بقوة في (لج): وهذا عكس ما أريده!!.. هيا نفذي ما أمرتك به!

نزعت (لج) في لحظة خوف من صراخ (طيمة) ذراع السلطعون وبدأت تتناولها أمامه وأمام عائلته التي دخلت الجحر مباشرة.

(لج) وهي تلوك ذراع السلطعون بحزن: هل رأيتِ كيف جزعت زوجته وأطفاله من المنظر؟

(طيمة): جيد.. سيكون مذاقها أفضل وهي خائفة..

(لج) وهي لا تزال تلوك ذراع السلطعون وتدمع: أشعر بالشفقة عليهم!

(طيمة): لا أريدك أن تشعري بالشفقة تجاه أي كائن خصوصاً الصغيرة منها

(لج) وهي تنزع ذراع السلطعون الآخر وتبكي: حاضر!

قضت (طيمة) عاماً كاملاً في إرغام (لج) على قتل وتعذيب الكائنات الصغيرة قبل تناولها وأحياناً بلا سبب فقط لقتل الإحساس بداخلها وإيصالها لمرحلة التبلد التام وبالرغم من أن (لج) كانت تقاوم كثيراً في البداية إلا أنها ومع مرور الوقت بدأت تفقد الكثير من تعاطفها تجاه الموت عموماً وأصبحت مشاعرها خليطاً من الحب والكره والحقد والتعاطف. تمكنت (طيمة) من إفساد نفسية (لج) وخلقت منها كائناً لا يجيد التعامل مع مشاعره بشكل كامل وقد ساعدها كون (لج) لا تملك أي أصدقاء يمكن أن تتأثر بهم مما سهل على (طيمة) مسخ شخصيتها لشيء مثير للحزن والشفقة فهي لم تكن حقوداً تماماً ولم تكن أيضاً متعاطفة تماماً بل كانت متقلبة بينهما ويوماً بعد يوم ومع ضغط (طيمة) أخذت تميل للحقد والكراهية أكثر.

في أحد الأيام وبينما كانت (لج) تهشم بعض القريدسات بحجرٍ كانت قابضة عليه وترمي بها جانباً سمعت صرخة آتية من خلفها تقول: ماذا تفعلين يا مجنونة؟!

التفتت (لج) على مصدر الصوت بسرعة وهي ترمي قريدسة مهشمة أخرى جانباً لأنها كانت أول مرة تسمع فيها صوتاً غير صوت أمها

(طيمة) وقالت بعد ما رأت درفيلاً صغيراً ينظر إليها بتجهم: من أنت؟! وكيف تستطيع الحديث معي؟!

(الدرفيل الصغير) بعصبية: لماذا تقتلين تلك القريدسات بلا رحمة هكذا؟!

(لج) ببرود: لأنها تستحق ذلك..

(الدرفيل الصغير) بغضب: هل أنت معتوهة؟!

رمت (لج) بالحجر الذي كان بيدها وحركت ذيلها وعامت تجاه ذلك الدرفيل وعانقته بشدة وهي تقول: أنت جميل!

(الدرفيل الصغير) يحاول التفلت منها وهو مرعب: ابتعدي عني يا متوحشة!

(لج) وهي تفك عناقه وبوجهٍ حزين: لَم تعاملني بقسوة؟

(الدرفيل الصغير) بغضب وتعجب: أنتِ آخر كائن في البحور السبعة يحق له الحديث عن القسوة؟!

(لج) وهي تبتسم: ما اسمك؟

(الدرفيل الصغير) بتجهم: ماذا تريدين باسمي؟!

(لج) وهي لا تزال تبتسم: أريد أن أكون صديقتك

(الدرفيل الصغير) بعبوس: أنا لا أصاحب السفاحين

(لج) بتساؤل: ما معنى سفاحين؟

(الدرفيل الصغير) وهو يزفر بعض الفقاعات: أنت فعلاً فاقدة لعقلك

(لج) وهي تعاود الابتسام: هيا أخبرني.. ما اسمك؟

(الدرفيل الصغير) بعصبية:.. (موج)!.. وهذا لا يعني أننا أصبحنا أصدقاء!

(لج) وهي تندفع نحو (موج) وتعانقه بابتسامة عريضة: بل يعني أننا أصبحنا أعز الأصدقاء!

لم يستطع ذلك الدرفيل الصغير مقاومة تعلق (لج) به فهو درفيل يتيم في عمرٍ صغير وبقي يهيم وحده في البحر معظم حياته ولم يعرف معنى الانتماء لسرب أو أسرة بعد فقدان أهله ووجد في تلك الحورية الصغيرة نديماً مشابهاً له بالرغم من الفظاعات التي كانت ترتكبها بحق الكائنات الصغيرة. كان لدخول (موج) في حياة (لج) تأثيرٌ إيجابيٌّ على سلوكها فقد كان على الدوام يثنيها

عن قتل الكائنات الصغيرة دون حاجة وكان يلمس في ردود أفعالها تناقضات غريبة. فتارة تكون حنوناً جدّاً وتارة أخرى تكون قاسية وميتة القلب وكانت لا تجيد التعامل مع مشاعرها ولا تحسن التعبير عنها في معظم المواقف لكن وبالرغم من ذلك لم ييأس (موج) من تغيير نفسية وأطباع صديقته ومع مرور الوقت نجح في طمس الكثير من التشوهات التي أحدثتها (طيمة) في نفسية (لج) وقد كان يجهل طريقة التربية التي تربت عليها لذا لم يحمل أي ضغينة تجاه (طيمة) التي بالطبع لم يعجبها ما كان يقوم به (موج) من ترميم لعقل (لج) لأنها كانت تريد تحويلها إلى كائن منزوع الرحمة والرأفة ولا يحمل أو يكن في قلبه أي شفقة للغير لذا كانت غير راضية عن علاقتهما نهائيّاً وتحاول في كل مناسبة إجبار (لج) على قطع التواصل معه والتوقف عن مقابلته لكن (لج) بطبعها العنيد لم تكن تصغي إليها أبداً وكان (موج) خطّاً أحمر لا تسمح لأحدٍ بتجاوزه مهما حدث.

(لج) تدخل الكهف ليلاً في وقتٍ متأخر بهدوء..

(طيمة) من ظلام الكهف: ذهبتِ للسطح مرة أخرى أليس كذلك؟

(لج) ورأسها للأرض: بلى

(طيمة): وبالطبع كنتِ مع ذلك الدرفيل الأبله

(لج) بعصبية: (موج) ليس أبله!.. إنه طيب القلب!

(طيمة): وهذا ما أكرهه فيه..

(لج): لمَ يا أمي تريدين مني أن أكون شريرة؟

(طيمة): أريدك أن تكوني على طبيعتك وهذه ليست طبيعتك

(لج) بصوتٍ مرتفع: وما أدراك بطبيعتي؟!

(طيمة): هذه أول مرة ترفعين فيها صوتك علي بهذا الشكل.. منذ أن دخل ذلك الدرفيل حياتنا وهي مقلوبة رأساً على عقب

(لج): لقد دخل حياتي أنا فقط فأنت لم تتقبليه يوماً ثم إنه أجمل شيء حدث لي في هذا الوادي الكئيب والممل!

(طيمة) بهدوء: لمَ تصرين على مخالفة أوامري؟.. أنا أحاول حمايتك

(لج) بحسرة: حمايتي من ماذا يا أمي؟! نحن لا نرى سوى القشريات والأسماك الصغيرة هنا

(طيمة): المستقبل يخفي لكِ الكثير من المخاطر وأنا أحاول إعدادك لها

(لج): أنا أحتاج صديقاً في حياتي و(موج) كان بمثابة الحياة الجديدة التي نُفخت في قلبي

(طيمة): الصداقات مضيعة للوقت وهدرٌ للأحلام..

(لج) بعصبية: وما أدراك بأحلامي؟!

(طيمة): أعرفها لأني أنا من سيصوغها لكِ..

(لج) بصوتٍ مرتفع: اتركيني وشأني! اتركيني أعيش حياتي!

(طيمة) بغضب: لن أفعل وستكونين كما أريد!

حركت (لج) ذيلها وخرجت من المكان وهي تصرخ في (طيمة): أنا أكرهك!

(طيمة) محدثة نفسها: اكرهيني كما تشائين يا ابنة (عقيق) لكنك لن تكوني ضعيفة كأمك..

رفعت (لج) يدها عن اللؤلؤة الزرقاء وبدأت تدعك أنفها بساعدها الهزيل وتلتفت يميناً وشمالاً..

(جيتر): ما بك عن ماذا تبحثين؟

(لج) وهي تحرك ذيلها الهزيل وتغوص للقاع: أحتاج بعض المخدر..

(جيتر) يعوم خلفها ويمسك بمعصمها ويقول بصوته المبحوح: يجب أن تتوقفي عن تناول هذه النبتات.. قد تخسرين حياتك خلال تعاطي أحدها..

(لج) تشد ساعدها عن قبضة (جيتر) بقوة وبلا اكتراث وتلتقط ورقة مخدرة: لا يمكن كسر المكسور..

(جيتر): المكسور لا يُكسر لكن يمكن تحطيمه.. تحطيم حياتك سيقودك للموت..

(لج) تضع الورقة في فمها وتقول: ولِمَ تأخر الموت؟.. أنا أنتظره..

(جيتر) وهو يعقد أصابعه: هناك وسائل أسرع إذا كنتِ تريدين الموت..

(لج) وهي تلوك ورقة المخدر بأعين نصف مفتوحة: مثل ماذا؟.. هيا أخبرني؟

(جيتر): ما كنتِ تهربين منه طيلة حياتك..

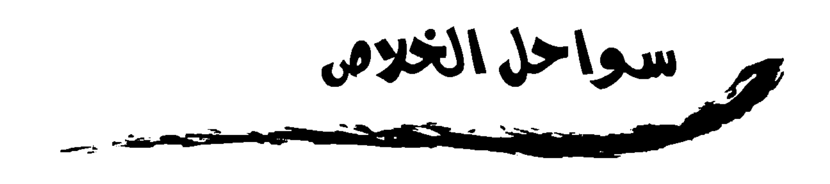
(لج) وهي نصف مخدرة: معك حق.. لقد كبت الكثير في صدري وحان الوقت كي أتقبل من أنا وأن لا أحاول أن أكون شيئاً آخر..

(جيتر): وما أنت..؟

(لج) وهي تطفو على ظهرها والخدر يتمكن منها: لا أعرف..

(جيتر) ينظر إليها بصمت..

(لج) تنظر للسقف المضيء وقد بدأت تفقد الوعي: سوف أذهب إليها وأجعلها تقتلني لننتهي من هذا كله..



رجلٌ يطرق باب قصرٍ كبير بقوة وغضب..

يفتح له الحارس بتجهم وهو يقول: ماذا تريد؟! لِمَ تطرق الباب هكذا؟!

(الرجل) وهو يتنفس بثقل ويقول بحنق: أريد مقابلة السيدة الكبيرة!

(الحارس) وهو ينظر للرجل باشمئزاز: ومن أنت؟!

(الرجل): أخبرها بأن (كوفان) ابن أخت (خزل) التي تعمل عندها يريد مقابلتها!

(الحارس) وهو يهم بإغلاق الباب: السيدة لا تقابل أبناء الخدم..

(كوفان) يعترض إغلاق الباب بقدمه ويقول للحارس بحدة وصرامة: سأقابلها شئت أم أبيت!

(صوت أنثوي من خلف الحارس): اتركه يدخل..

ابتعد الحارس عن طريق (كوفان) بعبوس عندما سمع الأمر يأتيه من الخلف فدخل (كوفان) لحديقة القصر والغضب يتطاير من عينيه ليرى أمامه سيدة بدت عليها مظاهر الثراء ممسكة بمظلة قماشية صغيرة ترفعها فوق رأسها لوقايتها من حر الشمس وقال لها بتجهم: هل أنت صاحبة القصر؟!

(السيدة) بهدوءٍ وبنظرة صارمة وكلماتٍ واثقة دون أن تهتز: نعم.. ماذا تريد أيها الرجل؟

(كوفان): أريد الحديث معكِ!

(السيدة): نحن نتحدث الآن.. أفصح..

(كوفان) وهو يخرج خاتماً بفصٍّ أزرق من جيبه ويرفعه أمام السيدة: أريد التحدث عن هذا الخاتم!

نظرت السيدة للخاتم وتذكرته في الحال فقد كان الخاتم الذي أعطته للرجل الذي قفز من فوق سفينتها وتركته ليموت في عرض البحر فأدارت نفسها وبدأت تسير ببطء نحو القصر وهي تقول لـ(كوفان): اتبعني..

دخلت السيدة لمكان كبير ومجهز بأثاثٍ فاخر أعدته لاستقبال

الضيوف وقبل أن تجلس أشارت بيدها لـ(كوفان) بالجلوس فجلس. أغلقت شمسيتها ووضعتها جانباً وجلست أمامه واضعة ساقاً على ساق وهي تقول بهدوء: نعم.. ماذا تريد أن تعرف عن هذا الخاتم؟

(كوفان) وهو يرفع الخاتم مرة أخرى في وجه السيدة: هذا الخاتم كان ملكاً لأمي وأنت اشتريته منها..

(السيدة) بثقة وبرود: نعم صحيح..

(كوفان): كيف وصل لي بما أنكِ اشتريته؟!

(السيدة): لقد بعته على شخصٍ آخر..

(كوفان): من هو أريد معرفة اسمه وأين أجده؟!

(السيدة): لا أعرف فقد التقيت به خلال رحلة بحرية ولم أرَه بعدها أبداً

(كوفان) بغضب: يجب أن أعرف صاحب هذا الخاتم!

(السيدة) بهدوء: هل لي بسؤال؟

(كوفان): ماذا؟!

(السيدة): لِمَ الاهتمام بمالك الخاتم؟ من الواضح أنه عاد لأمك بطريقة ما فلِمَ الحرص على إيجاد صاحبه؟

(كوفان) بغضب: لأن آخر من لبس الخاتم قتل أخي وقد أسقطه مكان جريمته وعندما رأته أمي معي أخبرتني بأنه الخاتم نفسه الذي باعته عليكِ بضغطٍ من خالتي!

(السيدة) وهي ترفع كفها في وجه (كوفان): أرجوك.. أنا لم أجبر أمك على شيء.. هي باعته برضا منها وقبضت الثمن في المقابل

(كوفان) بعصبية: لا يهمني ذلك الآن! ما يهمني هو الشخص الذي بعتِ الخاتم عليه!.. أين أجده!

دخل مجموعة من الرجال ووقفوا عند أطراف المجلس عندما سمعوا صوت (كوفان) المرتفع لكن السيدة أشارت لهم بعدم التقدم أكثر ثم التفتت إلى (كوفان) وقالت: عندما تكون غاضباً لن تستطيع استخدام عقلك لذا حاول أن تهدأ قليلاً وتفهم ما أحاول أن أقوله لك..

(كوفان) وهو يزفر محاولاً الهدوء والعرق يتصبب من جبينه: حسناً.. أخبريني أين أجد هذا الرجل..

(السيدة) ببرود: كما أخبرتك لا أعرف طريقه..

انفجر (كوفان) غضباً وبدأ بتكسير المكان فنهضت السيدة من أمامه دون أن تجزع وسارت مبتعدة عنه لداخل القصر بينما انقض عليه الرجال ورموه خارج القصر بعد ما ضربوه وهو يصرخ: سوف أعرف الحقيقة!

عاد (كوفان) لمنزله الذي ابتاعه مؤخراً لأمه ودخل عليها وهي لا تزال مهمومة وحزينة لفراق (طيسل) المفاجئ فهي لا تعلم بما حدث له لأن (كوفان) أخبرها بأنه رحل عن المدينة بشكل مفاجئ دون أن يخبرهم وأنه سيسافر قريباً للبحث عنه.

(الأم) وهي جالسة على حصيرتها القديمة التي أحضرتها معها للمنزل الجديد وتقول بحزن: هل هناك أي أخبار عن أخيك؟

(كوفان) وهو مهموم: لمَ تجلسين على تلك الحصيرة القديمة يا أمي؟ لقد اشتريت لكِ أثاثاً جديداً

(الأم) بحزن شديد: لا طعم لأي شيءٍ وأخوك (طيسل) بعيدٌ عني وهذه الحصيرة كان ينام عليها دائماً وعبقه لا يزال فيها

(كوفان) يشرب بعض الماء من قارورة فخارية ويقول بحزن: حاولي أن لا ترهقي نفسك بالتفكير يا أمي..

(الأم) وهي تبكي: لوكنت قد رزقت بأطفال لما قلت ذلك!

صمت (كوفان) وأنزل رأسه ومشاعره اختلطت بين غضب وحزن وقهر..

باب المنزل يُطرق..

(الأم) لـ(كوفان) بحماس وبعض دموعها تنهمر: لقد عاد حبيبي (طيسل)!

نهض (كوفان) وفتح الباب ليرى (حربة) ومعه بعض الرجال..

(كوفان): هل نحن جاهزون؟

(حربة) يهز رأسه بصمت..

دخل (كوفان) وودع أمه وأخبرها بأنه سيسافر بحثاُ عن (طيسل) وترك معها أموالاَ كثيرة حصل عليها من بيع بعض العملات الذهبية من نصيبه ونصيب أخيه في كنز القراصنة.

(كوفان) وهو يخرج من منزله ويغلق الباب خلفه ويلقي نظرة على الرجال الذين حضروا مع (حربة): ما العمل الآن؟

(حربة): دعني أعرفك على طاقمك الجديد أولاً..

(كوفان): حسناً

(حربة) يشير لرجلٍ أعور بلا شارب أو لحية: هذا (دقاس) من أشد الرجال الذين عملت معهم في صيد الحيتان

(كوفان) وهو يشير برأسه لرجلٍ ضخم حليق الرأس بشارب ولحية سوداء كثيفة: ومن هذا؟

(حربة) مبتسماً: هذا (مقلوم)..

(كوفان): اسمه (مقلوم)؟

(حربة) ضاحكاً: نعم!

(كوفان) موجهاً كلامه لـ(مقلوم): ولَمِ يسمونك بهذا الاسم؟

(مقلوم) يفتح فمه كاشفاً عن لسانه المقطوع في إشارة منه أنه لا يستطيع الرد بالكلام..

(كوفان) مبتسماً: حسناً يا (مقلوم) يمكنك أن تغلق فمك

(حربة) يشير لرجلٍ أسمر نحيل ويقول: هذا (نجم)..

(كوفان): لا يبدو قويّاً كالبقية

(حربة) يومئ برأسه لـ(نجم) لاستعراض مهارته..

(نجم) موجهاً كلامه لـ(كوفان): لقد عدت للتو يا سيدي من الخارج بعد أن خضت عراكاً مع مجموعة من الرجال بعد مشاحنة كلامية مع شخصٍ آخر وقبل أن تخرج لنا كنت مهموماً وفي الغالب كنت تتحدث مع شخصٍ أكثر حزناً منك.. لم تتناول الطعام منذ وقتٍ طويل لكنك للتو احتسيت بعض الماء و..

(كوفان) وهو يستوقف (نجم) ويقول بانبهار: ما هذا؟! كيف عرفت كل هذه المعلومات؟!

(حربة) مبتسماً: (نجم) صاحب فراسة قوية وسيكون عوناً كبيراً لنا خلال رحلة بحثنا عن تلك الفتاة..

(كوفان) وهو يلتفت على (حربة) ومعالم وجهه تتغير للغضب: يجب أن نجد تلك الفتاة يا (حربة) ونمزقها كما مزقت أخي الصغير

(حربة) يضع يده على كتف (كوفان) ويقول: أعدك أننا سنجدها ونقتص منها لما فعلته بـ(طيسل)

(كوفان): هل جهزت سفينتنا للرحيل؟

(حربة): نعم وقد اشتريت بعض السيوف والخناجر والحراب كي نكون مستعدين لأي خطر

(كوفان): كم كلفتك هذه الأسلحة؟

(حربة): ثمنها أن تحصل على ثأرك فقط وتجد الراحة بعدها..

(كوفان): ومن قال لك إني أبحث عن الراحة في قتل تلك الفتاة؟

(حربة): عن ماذا تبحث إذاً؟

(كوفان): عن شيءٍ من العدالة فقط فكما أهدت تلك الفتاة الحزن لنا سوف أهديها الألم

قبل إبحارهم أمر (كوفان) مساعده (حربة) بأن يُغير اسم السفينة وبأن يمسح كلمة «الماسة الزرقاء» المكتوبة على جانبها باللون الأزرق ويستبدل بها اسماً آخر وهو «الابنة الضالة» وأن يكتبه باللون الأحمر لكن (حربة) حاول ثني القبطان بقول: تغيير اسم السفن بعد أن أبحرت باسم آخر جالب للنحس أيها القبطان.. السفينة تُسمى مرة واحدة فقط وكتابته بالأحمر أسوأ.

(كوفان) بلا اكتراث: غير الاسم يا (حربة) ولا تذكر هذه الخرافات أمامي مرة أخرى

(حربة): حسناً كما تشاء..

أبحر الطاقم عصر ذلك اليوم وقد قام (حربة) بإصلاح جميع الأضرار التي لحقت بباب المخزن قبلها بأيام وحمل (كوفان) معه ما تبقى من العملات الذهبية بعد ما باع نصفها ليشتري منزلاً لأمه ويترك معها ما يكفيها من المال. كذلك اشترى مجموعة من المواشي وعين عليها راعياً اشترط عليه التجارة بها واقتسام الأرباح بينه وبين أمه. لم يكن للطاقم وجهة محددة فهم لا يعرفون من أين أتت (لج) وأين ذهبت فقد كان (كوفان) لا يزال مقتنعاً بأنها لم تكن حورية كما روت بالرغم من كل ما حدث بل مجرد فتاة انفصلت عن أهلها في البحر لسبب ما وقد عادت لهم بعد ما استعادت عافيتها وقتلت أخاه (طيسل) كي تهرب من ما ظنته أسراً لها وكانت تتظاهر بالجنون أمامهم كي تخدعهم ليطمئنوا إليها. عندما تلاشى الساحل عن أنظار الطاقم وابتعدت «الابنة الضالة» وتوسطت البحر اجتمع القبطان برجاله ودار بينهم هذا الحوار:

(كوفان): أفترض أن (حربة) أخبركم بغايتنا من هذه الرحلة لكن

سوف أكررها عليكم كي لا أترك أي مجالٍ للشك أو التأويل.. مهمتنا واضحة ومحددة وهي البحث عن فتاة تسببت في مقتل أخي الوحيد وعندما نجدها سوف نقتص منها بقتلها ونعود من حيث أتينا.. لا يوجد غنائم لنجنيها ولا أرباح لنكتسبها سوى أجوركم التي ستدفع لكم ومن لديه استفسار أو اعتراض فليفصح من الآن.

(نجم): أين تقيم هذه الفتاة؟

(كوفان): لا نعرف عنها شيئاً سوى شكلها.. حتى اسمها لسنا متيقنين من صحته

(نجم): إذاً فنحن نبحث عن قطرة ماءٍ عذبة في بحرٍ مالح..

(كوفان): نعم.. هل يزعجك هذا الأمر؟

(نجم) مبتسماً: على العكس تماماً.. أحب التحديات الصعبة

(دقاس): ما وجهتنا الآن؟

(كوفان): للمكان الذي وجدناها فيه أول مرة ومنها سوف نحدد وجهتنا التالية

(نجم): أخبرنا (حربة) بأنكم وجدتموها في عرض البحر

(كوفان): نعم

(دقاس): وماذا تتوقع أن نجد هناك أيها القبطان؟

(كوفان) وهو يرفع نظره للأفق: أي شيء يمكن أن يساعدنا في البحث عنها..

استمر طاقم سفينة «الابنة الضالة» في الإبحار نحو المكان الذي وقعت فيه (لج) في الشباك أول مرة وبالرغم من أن المسافة كانت تبعد يوماً ونصف اليوم من الإبحار إلا أن الريح كانت مواتية وقوية واختصرت عليهم جزءاً كبيراً من الرحلة فوصلوا لوجهتهم عصر اليوم التالي حين صرخ (حربة) في الطاقم وأمرهم بالتوقف ورفع الأشرعة وإنزال المرساة.

(كوفان) وهو ينزل من قمرة القيادة: هل وصلنا يا (حربة)؟

(حربة) خلال شده لعقدة تثبيت أحد الأشرعة: نعم أيها القبطان

(كوفان) يجول بنظره حوله في البحر الواسع المحيط بهم: كيف تعرف أننا في المكان نفسه؟.. لا يوجد أي علامات تشير لذلك

(حربة) وهو يلقي بالمرساة مبتسماً: عندما تُبحر لأكثر من أربعين عاماً يصبح الأمر بالنسبة لك كالغريزة التي لا يمكن تفسيرها

(كوفان) يطل من طرف السفينة للأمواج المرتطمة بها في القاع: بعض الغرائز يمكن تفسيرها يا (حربة)

(حربة) يقف بجانب القبطان ويشاركه التحديق بالماء: ماذا الآن؟

(كوفان) ونظره منكب على الماء وبوجه صارم: هل يجيد أحدٌ من الرجال الذين أحضرتهم الغوص؟

(حربة): بالطبع فكلهم بحارة متمكنون وأصحاب خبرة

(كوفان) رافعاً نظره للأعلى: أحتاج شخصاً يمكنه الوصول للقاع والبحث عن شيء ما

(حربة): عن ماذا أيها القبطان؟

(كوفان) ملتفتاً على (حربة): رشح لي أحدهم وستعرف معه

(حربة) يدير نظره نحو الرجال ويقول وهو يفرك ذقنه: (مقلوم) كان يعمل في جمع المحار واللؤلؤ قبل أن يصبح صائد حيتان وقد يكون نفسه أطول من البقية

(كوفان): ممتاز نادِ عليه..

شرح (كوفان) للبحار الأبكم أنه يريد منه أن يبحث في القاع عن أي شيء لافت للانتباه وخارج عن المألوف وأن يجلبه معه للسطح. غطس (مقلوم) بعد خلع قميصه وبقي البحارة الآخرون في انتظاره.

(نجم) وهو ينظر لسطح الماء من طرف السفينة: ماذا تتوقع أن يجد أيها القبطان؟

(كوفان) وهو جالس بالقرب من طرف السفينة مع (حربة): لا أعرف لكن لدي إحساساً بأن مفتاح العثور على تلك الفتاة موجود هنا

(حربة): هل بدأت تصدق ما روته لنا أيها القبطان؟

(كوفان) خلال تحريكه لعودٍ صغير بين أسنانه: تقصد أنها حورية..

(حربة): نعم

(كوفان) موجهاً نظره لسطح السفينة الملوث ببقايا دماء (طيسل) بعد تنظيفها: أيّاً كانت سوف أقتص منها..

(دقاس) يصرخ من طرف السفينة: لقد عاد (مقلوم)!

نهض (كوفان) من مكانه مع (حربة) على عجالة وأطلا برأسيهما من طرف السفينة ليريا (مقلوم) يرفع بيده شيئاً كالحجر ويشوح به. أشار (حربة) بأن يرمي ذلك الشيء نحوهم وبعد ما أمسك به بدأ يتفحصه قليلاً ثم مده لـ(كوفان) قائلاً: يبدو كحجر اعتيادي..

(كوفان) متناولاً الحجر بيده: دعني أرَ

(حربة) يشير لـ(مقلوم) بأن يغطس مرة أخرى ويبحث مجدداً

(كوفان) وهو يتفحص الحجر: ليس حجراً عاديّاً.. إنه مرجان أزرق

متحجر وكان مع (مقلوم) حق في إحضاره فالمرجان الأزرق لا ينمو في هذه الأرجاء

(حربة): لكنه ليس ما تبحث عنه أليس كذلك؟

(كوفان) رامياً بالحجر الأزرق في الماء: لا..

(نجم) بصوتٍ مرتفع: لقد خرج مرة أخرى!

نظر (كوفان) و(حربة) للماء مجدداً وكانت المفاجأة..

(حربة) ونظره على ما كان بيد (مقلوم): أعتقد أن هذا ما كنت تبحث عنه أيها القبطان..

(كوفان) بأعين متسعة ووجه متقد حماساً: نعم..

كان بيد (مقلوم) قارورة بغطاءٍ ذهبي رماها تجاه سطح السفينة وقام بالتقاطها (نجم) الذي ما أن أمسكها وتفحصها بنظره حتى قال: قارورة جميلة..

(كوفان) يسير نحو (نجم) ويأخذ القارورة منه: لقد وجدنا الخيط الأول..

(حربة) وعيناه على القارورة: هل تعتقد يا قبطان أنها القارورة نفسها التي تحدثت عنها الفتاة؟

(كوفان) وهو يضع القارورة في جيب صدره: أين يمكن أن نجد أكثر البحارة خبرة وأكثرهم شقّاً للبحر؟

(حربة): القراصنة هم فقط من يقضون معظم حياتهم أكثر من غيرهم في البحر فالأرض بالنسبة لهم خطر وعاصمتهم هي ميناء «بردوسا»

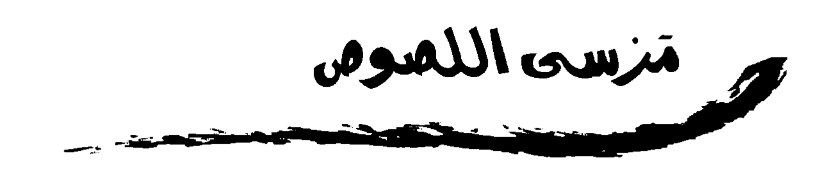
(كوفان) وهو يسير نحو قمرة القيادة: إذاً هذه هي وجهتنا التالية

(حربة) باستغراب يخالطه بعض القلق: ميناء «بردوسا»؟.. هذا ميناء خاص بالقراصنة فقط ولن نجد سوى المتاعب هناك

(كوفان) ممسكاً بدفة القيادة: كم يبعد هذا الميناء عن هنا!

(حربة): مسيرة ثلاثة أيام لو كانت الريح مواتية وخمسة لو لم نوفق بريحٍ قوية

(كوفان) بصوتٍ مرتفع مخاطباً الجميع: أنزلوا الأشرعة!.. ميناء «بردوسا» هو وجهتنا التالية!



رست «الابنة الضالة» عند رصيف ميناء «بردوسا» أول الصباح بعد أربعة أيامٍ من الإبحار المستمر وبعد ما نزل الطاقم مع قبطانهم (كوفان) للميناء المزدحم والمجاور لمدينة صغيرة زاخرة بالبضائع المتنوعة والمسروقة من مختلف السفن سأل (حربة) قبطانه وقال: ماذا الآن أيها القبطان؟

(كوفان) وهو يجول بنظره حول ذلك الميناء المفعم بالحياة ويقلب الخاتم ذا الفص الأزرق بين سبابته وإبهامه: نبحث عن شخصٍ رأى حورية من قبل..

(نجم) بتعجب: ماذا؟! حورية؟!.. هل تمزح أيها القبطان؟!

(كوفان) ونظره لا يزال أمامه: سيبقى (مقلوم) مع (دقاس) لحراسة السفينة ونحن الثلاثة سنتولى هذه المهمة

(دقاس) لـ(نجم): يبدو أن القبطان جادٌّ في كلامه

(حربة): كفوا عن الكلام ونفذوا تعليمات القبطان فوراً!

سار الثلاثة بقيادة (كوفان) بعد ما عاد البقية للسفينة وسط السوق الكبير الذي بدأ من الميناء وامتد كالطريق الطويل عبر تلك المدينة الصغيرة. خلال سيرهم كان الثلاثة يتفحصون بأنظارهم الباعة والمتسوقين ورواد السوق بصمت حتى تكلم (نجم) وقال لـ(كوفان) وعينه لا تزال تتفحص الأوجه حولهم: عن ماذا نبحث بالضبط أيها القبطان؟

(كوفان) وهو مستمر بالسير والتحديق بالأشخاص: عن شخصٍ أمضى الكثير من حياته في البحر

(نجم): وكيف سنعرف ذلك؟

(حربة) لـ(نجم): أنت صاحب الفراسة.. أخبرنا أنت

أشار (كوفان) لرجلٍ بساقٍ مبتورة يجلس على قارعة الطريق وقال: هذا الرجل يبدو أنه أبحر كثيراً

(نجم) يهز رأسه بالنفي ويقول: لا أيها القبطان فجلده لا يظهر علامات الإبحار وقدمه فقدها بسبب المرض وليس لشيء آخر

(حربة) يشير لرجلٍ بلحية بيضاء يبتاع بعض الأسماك المملحة: ما رأيك بهذا؟

(نجم) ممعناً النظر بالرجل العجوز: نعم هذا الرجل أبحر كثيراً لكنه لم يكن قرصاناً

(كوفان): ماذا كان إذاً؟

(نجم) مشيراً بسبابته لذراع الرجل العجوز: انظر لذلك الوشم على ساعده.. هذا وشم لتجار الرقيق من بحر الشمال.. هذا الرجل قضى حياته كتاجر في النخاسة وليس قرصاناً

(حربة): أليست تجارة العبيد من الأمور التي يمتهنها القراصنة

(نجم): بلى لكن هذا الرجل يمتهنها بشكل دائم وليس بشكل عارض

(كوفان) يسير نحو رجلٍ بربطة حمراء على رأسه وحلقة نحاسية في أذنه اليسرى ويقول له: لَو سمحت.. أريد أن أسألك سؤالاً

(الرجل ذو الربطة الحمراء) ملتفتاً على (كوفان) بتجهم وصوتٍ غليظ: ماذا تريد؟

(كوفان) بتوتر: لا شيء..

سار الرجل ذو الربطة الحمراء بعيداً عن (كوفان) المتوتر..

(حربة): ماذا حدث يا قبطان؟.. لِمَ لم تسأله؟

(كوفان): أدركت مدى غباء سؤالي عندما هممت بطرحه..

(حربة) وهو يمسك برجلٍ رث الملابس عبر بجانبهم ويسأله بشكل مباشر: هل رأيت حورية من قبل؟!

(الرجل) مبتسماً: نعم بالطبع! وقد تزوجت منها!

(حربة) لـ(نجم): ما رأيك بكلامه؟

(نجم) وهو يمعن النظر بملامح الرجل المبتسم: إنه يقول الصدق أو يظن أنه يقول الصدق

(كوفان) باستغراب: ماذا تقصد؟

(نجم): المجانين لا يمكن التيقن من صدق كلامهم لأنهم في الغالب يؤمنون بما يقولونه ولا تظهر عليهم علامات الكذب

(حربة) يدفع الرجل بعيداً وهو يضحك: هل يمكنك على الأقل معرفة ما إذا كان عاقلاً أم لا؟

(نجم): لا يوجد شخص عاقل كلنا مجانين بدرجات متفاوتة..

(كوفان): هذا ليس وقت الحكم يا (نجم)! يجب أن لا نهدر وقتنا!

(نجم): لدي فكرة قد توصلنا لما نريد يا قبطان

(كوفان): هات ما عندك

(نجم): أغلب القراصنة عندما يرسون في أي ميناء يتوجهون مباشرة للمواخير للشرب ومغازلة النساء بعد أشهر من العزلة في البحر

(حربة): ما علاقة ذلك بما نبحث عنه؟

(نجم): نحتاج مالاً كافياً لتحقيق ما أفكر فيه

(كوفان): لا تحمل همّاً للمال معنا ما يكفي.. فيمَ تفكر؟

(نجم): لنسأل إذاً عن أشهر ماخورٍ في هذه الأرجاء ثم عندما نصل إليه سأخبركم بما يجب علينا القيام به

بعد جولة تفقدية بسيطة علم الثلاثة أن ميناء «بردوسا» يضم ثلاثة مواخير. الأول كان قريباً من مرسى السفن وهو أرخصها وأقلها جودة فالنبيذ الذي كان يقدمه كان سيئاً جدّاً ونساؤه يلقبن بالـ(أخابيط) لقبحهن والماخور الثاني كان خلف طريق السوق وهو أفضل من الماخور الأول وأعلى تكلفة قليلاً لكنه يقدم النبيذ فقط ومعظم القراصنة يجتمعون فيه ليلاً. الماخور الثالث والذي عُرف

بـ«نجمة الشمال» هو الأغلى بينها ولا يذهب إليه سوى القراصنة الكبار وملاك السفن وأصحاب البازارات الكبيرة في الميناء لأن ما يقدمه كان الأفضل من خمور ونساء ولا يستطيع كل أحدٍ تحمل تكلفته العالية. كان يدير «نجمة الشمال» سيدة في الخمسين من العمر عُرفت باسم (زبيقة) وكانت كما نُقل لـ(كوفان) ورفاقه سيدة قوية وصاحبة نفوذ في ميناء «بردوسا» وتربطها بجميع البحارة الكبار علاقة وطيدة ولم يكن ماخورها مفتوحاً للجميع بل لزبائنها المعروفين والخاصين والذين عادةً ما يتم تزكيتهم من زبائن آخرين ومع ذلك قرر (كوفان) البدء بذلك الماخور الواقع خارج أطراف الميناء.

(حربة): لمَ لا نبدأ بالمواخير الصغيرة يا قبطان؟ قد نجد ضالتنا فيها..

(نجم): أتفق مع المرشد (حربة) فما سمعناه عن «نجمة الشمال» غير مطمئن

(كوفان): لمَ هو غير مطمئن؟ سوف نذهب كما يذهب غيرنا من الزبائن ومعنا المال الكافي لذلك

(نجم): المال وحده ليس تذكرة الدخول الوحيدة لذلك المكان

(كوفان) وهو يسير نحو الطريق المؤدية لـ«نجمة الشمال»: ابقيا هنا إذا شئتما

(نجم) لـ(حربة): ما رأيك؟

(حربة) وهو يلحق بـ(كوفان): لا رأي لي بعد رأي القبطان

(نجم) يلحق بهما محدثاً نفسه: أتمنى أن لا ينتهي بنا المطاف في أحد براميل النبيذ

بعد مسيرة استغرقت أقل من نصف ساعة خارج حدود ميناء «بردوسا» أقبل الثلاثة على مبنى كبير. كان المبنى مختلفاً في تصميمه عن بقية المباني التي تجاوزوها قدوماً من الميناء فقد كان مبنيّاً من الحجر وفي الوقت نفسه مُطعماً بالخشب وكانت الأشجار والزهور تحيط به من كل الجوانب ويقف عند مدخله الحديدي مجموعة كبيرة من الحراس المسلحين بالسيوف والخناجر. تقدم (كوفان) نحو مدخل المبنى بالرغم من توتره بادئ الأمر من منظر الحراسة المشددة وعند اقترابه من البوابة الحديدية المؤصدة استوقفه حارسٌ مفتول العضلات قائلاً بتجهم: أين تظن نفسك ذاهباً؟!

(كوفان) بثقة: أين تظن أني ذاهب؟!.. افسح لي الطريق قبل أن تندم

(الحارس): هذا المكان ليس لعامة البحارة ولا يمكنك الدخول دون دعوة

(كوفان) بغضب: أنصحك بإبلاغ سيدتك بقدومي كي لا تفقد حياتك!

(الحارس) مشككاً: من أنت؟

(كوفان) يُخرج صرة من العملات الذهبية التي حصل عليها سابقاً من القراصنة الذين اعترضوه في البحر ويرميها على الحارس ويقول بتجهم: أعطِ سيدتك هذه الصرة وسوف تعرفني!

(الحارس) وهو يُقلب الصرة في يده ثم يفتحها وينظر لمحتواها: حسناً ابق هنا

توجه الحارس للبوابة وفتحها وبعد دخوله أغلقها خلفه وسار نحو المبنى الحجري..

(حربة) يهمس في أذن (كوفان) المحدق ببقية الحراس: هل تظن أن حيلتك ستنجح أيها القبطان؟

(كوفان) بصوتٍ مسموع لرجاله فقط: أي حيلة؟ أنا بحار وأملك المال الوفير ولا يوجد سببٌ كي أُمنع من دخول هذا الماخور

(نجم): لم تعجبني ملامح الحارس عندما شاهد محتوى الصُّرة

(كوفان) مبتسماً: العملات الذهبية لها تأثير على أي أحد مهما كان

(نجم): لا أقصد ذلك أيها القبطان

(حربة): ماذا تقصد إذا؟

(كوفان) لرجاله ومشيراً بسبابته لمدخل المبنى البعيد: انظرا

رأى الثلاثة الحارس الذي أخذ الصرة وهو يلوح بعلمٍ كبير براية بيضاء..

(حربة): لَم يلوح بذلك العلم؟

(نجم): أعتقد أن خطة القبطان نجحت

تقدم أحد الحراس الواقفين عند البوابة الحديدية وأشار بكفه نحو المبنى وهو يقول لـ(كوفان): تفضل يا سيدي..

(كوفان) يسير مبتسماً نحو البوابة التي فُتحت له ويقول لرجاله: هيا اتبعاني

(الحارس) معترضاً (حربة) و(نجم): فقط أنت أما رجالك فلا يسمح لهم بالدخول..

(كوفان) بتجهم: أملك ما يكفي لي ولرجالي!

(حربة): لا بأس أيها القبطان سوف ننتظرك بالخارج

أكمل (كوفان) سيره نحو المبنى وعند وصوله للباب قام الحارس بتفتيشه فقال له: ماذا تفعل؟

(الحارس) وهو يُخرج خنجراً كان مربوطاً بساق (كوفان): الأسلحة ممنوعة..

(كوفان) بتهكم: هل هناك قوانين أخرى؟

(الحارس) يفتش جيب قميص (كوفان) ويخرج القارورة ذات الغطاء الذهبي وينظر إليها قائلاً: ما هذه؟

(كوفان) بارتباك: هذا نبيذي الخاص أم أن هذا ممنوع أيضاً؟

(الحارس) وهو يعيد القارورة لـ(كوفان) ويشير له بالدخول: لا أبداً تفضل.. وأتمنى لك وقتاً ممتعاً..

دخل (كوفان) للمبنى الحجري وما أن تجاوز بابه الخشبي المنقوش حتى اصطدم بضوضاء الغناء ودخان التبغ المختلط برائحة النبيذ المعتق. وقف في منتصف قاعة كبيرة اكتست جدرانها برفوفٍ مزخرفة مليئة بالقوارير بمختلف الأحجام والألوان يقبع أسفل

منها مجموعة من السقاة يسكبون ويلمعون الكؤوس لعدد كبير من البحارة والغانيات المصاحبات لهم. لم يشعر (كوفان) بالارتياح لتلك العربدة التي تفجر بها المكان وتسمر مكانه محاولاً استيعاب ما كان يراه. لم يدم وقوفه طويلاً حيث انقطع تركيزه عندما وقفت أمامه سيدة بلباسٍ أحمر طويل مكشوف الاكتاف وهي تنفخ في وجهه سحابة من الدخان من لفافة تبغ كانت بين أصابعها وهي تقول: مرحباً بك في «نجمة الشمال»..

(كوفان) بتوتر: أين صاحبة المكان؟

(السيدة) وهي تضحك بضحكةٍ ماجنة: ابحث عن أجمل امرأة هنا وستجدها!

(كوفان) وهو يجول بنظره بين النساء اللاتي عج بهن المكان: أمهليني دقيقة..

(السيدة) تضحك مرة أخرى وبقوة أكبر: يبدو أنك ستكون مسلياً!

(كوفان): ماذا تقصدين؟

(السيدة) ترمي بلفافة التبغ وتدوس عليها ثم تضع يدها على كتف (كوفان) وتقوده لغرفة قريبة: تعال معي..

فتحت السيدة باب الغرفة وأشارت لـ(كوفان) المتردد بالدخول وهي تقول: تفضل أيها القبطان..

(كوفان) يدخل الغرفة والسيدة تتبعه وتغلق الباب خلفها ليختفي مع إغلاقه معظم الضوضاء بالخارج ولا يبقى منها سوى القليل..

(السيدة) تجلس على مخدة كبيرة من الحرير الأبيض وتشير لـ(كوفان) بالجلوس أمامها على مخدة مماثلة..

جلس (كوفان) ونظره يتفقد تلك الغرفة الغريبة والتي زُينت بالكثير من الستائر والتحف والشموع المشتعلة..

(السيدة) تمد يدها لشمعة كانت بجانبها وتشعل لفافة أخرى من التبغ أخرجتها من شق صدرها وتقول بعد نفخها الدخان للأعلى: أخبرني الآن.. ما الذي أتى بك إلى هنا؟

(كوفان) قاطعاً سرحانه بالغرفة وموجهاً عينيه للسيدة: للاستمتاع بالطبع!

(السيدة) تبتسم وتضرب رأس لفافة التبغ بسبابتها: أنت لست قرصاناً ولا بحاراً جيداً أيضاً فأناملك تكشفك أيها الشاب.. أخبرني الآن بالحقيقة قبل أن أطلب من الحراس إخراج الحقيقة منك بالقوة

(كوفان) وهو يحاول تغطية أنامله: عن ماذا تتحدثين؟

(السيدة) تخرج صرة العملات الذهبية التي أعطاها (كوفان) للحارس وتقول: من أين لك بهذه العملات؟

(كوفان): لقد سرقتها من سفينة تجارية!

(السيدة) تأخذ نفساً عميقاً من لفافة التبغ ثم ترمي بها تحت قدمها وتدوس عليها وتقول وهي تنظر لحذائها الجلدي اللامع: لن أسألك مرة أخرى.. من أنت ولِمَ أتيت إلى هنا؟

أدرك (كوفان) أن تلك السيدة لن تنخدع بكلامه فقرر أن يحكي لها سبب قدومه للماخور وأنه يريد البحث عن شخص رأى حورية من قبل. عندما سمعت السيدة والتي لم تكن سوى (زبيقة) صاحبة الماخور كلام (كوفان) والغرض من زيارته لماخورها ضحكت بقوة وقالت: لدي فتياتٌ هنا بجمال الحوريات لو كنت ترغب في ذلك!

(كوفان): لا لا.. أريد حورية محددة بعينها

(زبيقة) وهي تبتسم: أنت مضحك أيها الشاب وعملاتك الذهبية هي السبب الوحيد لجلوسي معك ووقتك بدأ ينفد فإذا لم تكن تملك

المزيد منها سوف أطلب منك الرحيل فهذا المكان مخصص للقراصنة الكبار فقط

(كوفان): ماذا لو أحضرت لكِ المزيد من تلك العملات.. أكثر بكثير مما في تلك الصرة؟

(زبيقة): أنا منصتة.. ماذا تريد؟

(كوفان): أريد فقط أن أسأل جميع القراصنة في ماخورك

(زبيقة) باستنكار: تسألهم ماذا؟!.. عن حوريتك؟!

(كوفان): نعم وسأدفع لكِ مقابلاً مجزياً

(زبيقة): طلبك مرفوض فالقراصنة هنا يأتون لمقابلة النساء وليس البحارة المجانين وراحتهم من أولوياتي وسوف أفقد سمعتي إذا تضايق أحدٌ منهم بسبب أسئلتك المزعجة

(كوفان): ماذا عن بناتك؟

(زبيقة): ماذا تقصد؟

(كوفان): الفتيات اللاتي يعملن عندك.. ألا يستطعن سؤال الزبائن بطريقة ما دون أن يزعجنهم ولو من باب المزاح خلال ثمالتهم.. أعتقد أن هذا لن يضايقهم

(زبيقة) وهي تفكر: اقتراحك ذكي ويمكن تطبيقه.. لكن ذلك سيكلفك

(كوفان): كم تريدين؟

(زبيقة): صرة من العملات الذهبية مثل التي كانت معك عن كل فتاة في ماخوري

(كوفان) وهو مصدوم: لكن هذا كثير!

(زبيقة): بعض الأشياءِ لا تُقدر بمال لأنها بلا قيمة.. وطلبك لا قيمة له عندي لكنه غالٍ عليك وستدفع ثمنه

(كوفان): ألا يوجد ثمن آخر يمكنني دفعه؟

(زبيقة): هذا هو الثمن..

(كوفان): وماذا لو لم أجد الجواب لسؤالي؟!

(زبيقة): لا علاقة لي بالنتيجة أنا أنفذ رغبات الزبائن بمقابل ولا يهمني غير ذلك

(كوفان): ألم تقولي بأن رضا الزبون من أولوياتك؟

(زبيقة): أنت لست زبوناً دائماً وهم الذين عنيتهم بذلك الحديث

(كوفان): وكم فتاة في ماخورك؟

(زبيقة): عشرون فتاة..

(كوفان) بصوتٍ مرتفع: تريدين عشرين صرة؟!

(زبيقة): لا.. هذا أجر الفتيات فقط.. لم نتحدث عن أجري أنا وهو ما يعادل ما سأتقاضاه عن كل فتاة

(كوفان) بغضب: هذه سرقة!

(زبيقة): اخفض صوتك أيها البحار قبل أن أجعل منك أضحوكة أمام القراصنة..

(كوفان): كيف تستطيعين العيش هكذا؟.. كيف تنامين الليل وأنتِ بماضٍ ملوث لا يمكن نسيانه؟

(زبيقة): ما ندفنه في مقبرة الذكريات سيزورنا يوماً حتى وإن هجرنا زيارته.. من قال لك بأني أريد نسيان أي ذكرى مررت بها في حياتي.. الذكريات وقودي للاستمرار بحلوها ومرها.. أنا على الأقل لا ألبس أقنعة مثلك..

كبت (كوفان) غضبه وقال بهدوءٍ حانق: وكيف أتحقق من أنكِ

ستسألين القراصنة؟ قد تخدعينني وتأخذين الأموال ولا تنفذين الاتفاق خاصة وأن مجال عملك لا يشفع لكِ بالأمانة

(زبيقة) وهي تنهض: الشرف لم يكن يوماً ناتج الاستشراف فلا تمارسه أمامي.. لا يوجد أخبث من عهر العقول يا قبطان.. لا تقلق أنا لست كالقراصنة الذين أخدمهم.. أحضر المال وسوف تحصل على المعلومات سواءً أعجبتك أم لا وكي تكون أكثر اطمئناناً يمكنك الإقامة في إحدى غرف الماخور وتستمع لإفادة الفتيات بنفسك

(كوفان): أحتاج رجالي معي..

(زبيقة): رجلٌ واحد فقط وسيقيم معك في الغرفة نفسها وأي شيء تطلبانه سيكون بقيمته عدا الطعام والشراب

(كوفان) وهو ينهض: أبلغي حراسك بأن يسمحوا لي بالدخول عندما أعود بالمال

(زبيقة) تفتح الباب وتخرج قائلة: باب الخروج هو نفسه باب الدخول..

خرج (كوفان) من الماخور وعندما التقى برجاله استقبله (حربة) وقال: ما الذي حدث في الداخل؟ هل وصلت لنتيجة؟

(كوفان) ونظره موجه للمبنى الحجري الكبير: سنعود للسفينة الآن..

(نجم): لم توفق إذاً

(كوفان) يسير مبتعداً عن المكان: هيا كي لا نتأخر..

عاد الثلاثة للسفينة وبمجرد أن اعتلوا سطحها توجه (كوفان) للمخزن ودخل فيه وأغلق على نفسه.

(دقاس) بتعجب: ما به القبطان؟

(حربة): لا أعرف

(نجم): هل سنبحر الآن أم ماذا؟

(حربة): القبطان لم يعطنا الأمر بذلك

خرج (كوفان) من المخزن بعد أقل من نصف ساعة وهو يحمل معه صرة جلدية كبيرة ويشير لـ(نجم) بأن يحملها عنه وعندما أخذها قال: ما هذا يا قبطان؟! إنها ثقيلة جدّاً!

(كوفان) لـ(حربة): سنغيب أنا و(نجم) بضعة أيام

(حربة): هل ستعود للماخور؟

(نجم) وهو يهز الصرة الكبيرة على ظهره: يبدو أننا سنستمتع كثيراً!

(دقاس): أنا أريد الذهاب أيضاً!

(كوفان) وهو ينهر طاقمه: كفوا عن الكلام!.. استعدوا للإبحار في أي لحظة

(حربة): نحتاج للتزود ببعض المؤن قبل أن نبحر

(كوفان) رامياً بعض القطع الذهبية على (حربة): هل تكفي هذه؟

(حربة) وهو يلتقطها: نعم تكفي

(كوفان): حسناً إذاً.. هيا يا (نجم)!

(نجم) يشد الصرة على ظهره ويتبع (كوفان) تاركاً بقية الطاقم خلفه في حالة من التعجب..

سار الاثنان حتى بلغا وجهتهما وهي ماخور «نجمة الشمال» وعند وصولهما للحراس خارجه لم يعترضهما أحدٌ منهم وفُتحت لهم البوابة وصاحبهما ثلاثة حراس حتى الباب الخشبي وطلب أحدهم منهما الانتظار.

(كوفان) بتجهم: ألم تبلغك سيدتك بأن لا تعترض طريقنا؟

(الحارس): أوامر السيدة (زبيقة) هي بأن لا تدخلا حتى تأتي هي وتستقبلكما بنفسها

(نجم) وهو مرهق: هل يمكنني وضع الصرة على الأرض أيها القبطان فهي ثقيلة جدّاً؟

(كوفان) وهو محدق بالباب بغضب: لا!

(نجم) يشد الصرة لظهره والعرق يتصبب من جبينه: حسناً

بعد دقائق قليلة خرجت (زبيقة) مع الحارس الضخم وعند رؤيتها للصرة فوق ظهر (نجم) قالت مبتسمة: هل أحضرت ما اتفقنا عليه؟

(كوفان) يشير لـ(نجم) برمي الصرة الكبيرة عند عتبة الباب أمام (زبيقة)..

رمى (نجم) الصرة وارتطمت بالأرض وفُتحت عقدتها المربوطة وتناثرت بعض العملات الذهبية على الأرض..

(كوفان) بتجهم: أربعون ضعفاً من محتوى الصرة السابقة كما كان الاتفاق!

(زبيقة) وهي تهم بالدخول مبتسمة: تفضل يا سيدي كي أرشدك لغرفتك..

تبع (كوفان) ومن خلفه (نجم) مالكة الماخور التي قادتهما للطابق العلوي عبوراً بالصخب والمجون القائم في الطابق السفلي والذي بهر (نجم) ودفعه لقول: ما نوع العمل الذي سنقوم به هنا يا قبطان؟

(كوفان) وهو يصعد خلف (زبيقة) للطابق العلوي: استجمع نفسك يا (نجم) فأنا لم أحضرك معي كي تفقد تركيزك

(نجم) وهو يصعد خلف (كوفان) ونظره للخلف مراقباً الاحتفال الصاخب بالأسفل: أنا مركز أيها القبطان لا تقلق..

أخرجت (زبيقة) مفتاحاً ودسته في قفل إحدى الغرف المنتشرة في الطابق العلوي وفتحت الباب وهي تقول: تفضلا..

دخل (كوفان) ومن خلفه (نجم) المنبهر من المكان وقبل رحيل (زبيقة) قالت: سوف أُرسل أحداً ليعتني بكما خلال إقامتكما معنا..

(كوفان) ملتفتاً عليها بعبوس: ماذا عن اتفاقنا؟!

(زبيقة): الليلة سنقيم احتفالاً كبيراً كما جرت العادة كل يوم وخلال الاحتفال سأبدأ بتنفيذ ما اتفقنا عليه وسأبلغك بأي معلومة أحصل عليها.

(كوفان): نريد حضور هذا الاحتفال

(زبيقة): ملابسكما غير لائقة.. القراصنة هنا لا يلبسون ملابس رثة كالتي تلبسانها الآن

(كوفان) بغضب: هل تريدين منا البقاء في هذه الغرفة حتى تحصلي على المعلومة؟!

(زبيقة) وهي تبتسم وتهم بالرحيل: سوف أُرسل لكما بعض الملابس لتشرفانا الليلة..

رحلت صاحبة الماخور فسار (نجم) وأغلق الباب خلفها والتفت على قبطانه وقال: عن أي معلومة تتحدث يا قبطان؟

(كوفان) وهو يجلس على الفراش الذي توسط المكان: اسمع يا (نجم).. لقد أحضرتك معي لغرضٍ هام

(نجم): ما هو؟.. أنا رهن إشارتك

(كوفان): أنا لا أثق بتلك السيدة ولا أثق بأنها سوف تنفذ اتفاقي معها لكن كان لا بد أن أدخل لهذا الماخور وأن أكون قريباً من أشهر القراصنة الذين جابوا البحر

(نجم) يقترب من (كوفان) ويجلس بجانبه ويقول: بمَ تأمر؟

(كوفان): أريدك أن تستخدم فراستك خلال الحفل الليلة وتبحث لي عن شخصٍ يمكنه أن يدلنا على مكان توجد به حوريات

(نجم) بوجه متردد: لكن يا قبطان الحوريات ليس لهن وجود

(كوفان) وهو يخرج القارورة ذات الغطاء الذهبي من جيبه ويحدق بها ممسكاً بعنقها: أشك بذلك يا (نجم).. أشك..

بعد مرور فترة وجيزة على بقائهما في الغرفة طُرق الباب عليهما فتوجه (نجم) وفتح الباب ليرى فتاة جميلة بلباسٍ قصير ممسكة بمجموعة من الملابس بين أذرعها وتقول باسمة: هلّ يمكنني الدخول؟

(نجم) بتوتر وابتسامة غبية: نعم! نعم! تفضلي

دخلت الفتاة وبمجرد أن رآها (كوفان) صرخ فيها قائلاً: من أنت؟! ومن سمح لكِ بالدخول؟!

(الفتاة) بخوف: أنا (روميسا) وقد أمرتني السيدة بأن أحضر لكما هذه الملابس

(كوفان) بعصبية شديدة: ضعيها واخرجي فوراً!

وضعت الفتاة الملابس على الأرض وهمت بالخروج لكنها توقفت وبدا على وجهها التردد والخوف وكأنها تريد التحدث..

(كوفان) وهو يصرخ فيها: لمَ توقفتِ؟!

(روميسا) بتوتر: من منكما يريد الاستحمام أولاً؟

(كوفان) بتجهم: ماذا؟!

(روميسا) وهي لا تزال متوترة: السيدة طلبت مني أن أقوم بتحميمكما

(نجم) يضحك و(كوفان) ينهض ويقول بغضب: اخرجي من هنا قبل أن أصفعك!

جرت الفتاة على عجالة نحو الباب لكن (نجم) أمسك بها واستوقفها وقال لها بهدوء وهو مبتسم: انتظري بالخارج ولا ترحلي..

(روميسا) تحني رأسها بتوتر وتخرج..

أغلق (نجم) الباب خلفها وتوجه لـ(كوفان) وهو يقول بهدوء: لن نستطيع أن نصل لما نريد بهذه الطريقة يا قبطان

(كوفان) وهو يجلس متجهماً: ماذا تقصد؟!

(نجم): أقصد أننا أتينا هنا لنحصل على معلومات لا لنثير الشكوك حولنا وبطريقتك هذه سوف نلفت الأنظار نحونا ونحن في غنى

عن ذلك.. لا تنسَ أن القراصنة هنا حذرون جدّاً ولو أحسوا أن الغرض من وجودنا شيء آخر عدا المتعة فسوف يقتلوننا دون أن يسألوا أي أسئلة ولا أعتقد أن تلك السيدة مع فتياتها سيمنعنهم

(كوفان) وغضبه يخف: ماذا تريد مني أن أفعل؟.. أشرب الخمور وأعاشر النساء هنا كي يرضى عني القراصنة!

(نجم) ممازحاً (كوفان): شرب النبيذ لا مناص منه ومعاشرة النساء اتركها لي

(كوفان): بغضب: ماذا؟!

(نجم) وهو يضحك ويهم بالخروج: سوف آخذ حمامي الآن واستعد أنت كذلك لتأخذ حمامك إذا كنت تريد الخروج من هنا على قيد الحياة

خرج (نجم) وذهب مع (روميسا) وترك (كوفان) وحده يفكر في كلامه..

بعد نصف ساعة تقريباً من رحيل (نجم) طُرق الباب على (كوفان) فقال: من الطارق؟

فُتح الباب ودخلت فتاة أخرى أكثر جمالاً من السابقة وقالت: لقد أرسلتني السيدة كي..

(كوفان) وهو يقاطعها: أعرف أعرف.. كي تحمميني كالأطفال

(الفتاة): لا يا سيدي فهذه مهمة الفتاة الأخرى

(كوفان): لَمَ أنتِ هنا إذاً؟

(الفتاة): أنا هنا كي ألبي لك أي شيء تريد

(كوفان): لا أريد شيئاً.. اخرجي وأغلقي الباب خلفك..

(الفتاة) وهي تحني رأسها وتمسك بمقبض الباب: أمرك

(كوفان): انتظري..

(الفتاة) وهي تعود: بماذا يمكن أن أخدمك يا سيدي؟

(كوفان) بتردد: أريد بعض النبيذ

(الفتاة) وهي تبتسم: هل هناك نوع معين تفضله؟

لم يحتسِ (كوفان) قبل ذلك قطرة من النبيذ في حياته لذا لم يكن ملمّاً بأنواعها ومسمياتها فاكتفى بقول: أي شيء جيد..

(الفتاة) وهي تخرج مبتسمة: حاضر

فُتح الباب مرة أخرى على (كوفان) بعد دقائق من رحيل الفتاة ليدخل عليه (نجم) وهو سعيد ويغطي جسده ورأسه بقماشة بيضاء

ويقول: كان حماماً رائعاً.. أنصحك يا قبطان بعدم تفويته!

(كوفان) مبتسماً: لم أعرفك وأنت نظيف.. ظننتك شخصاً آخر

(روميسا) وهي تدخل الغرفة وتوجه كلامها لـ(كوفان): هل أنت جاهز لحمامك الآن؟

(نجم) وهو يرمق (كوفان) بنظرة لمجاراة الفتاة: نعم يا (روميسا) القبطان جاهز

(كوفان) وهو مغلوبٌ على أمره ويمد القارورة ذات الغطاء الذهبي التي كانت بجيبه لـ(نجم): حسناً.. احتفظ بها معك ولا تفقدها

غاب (كوفان) عن الغرفة نصف ساعة أيضاً وعند عودته دخل ليرى (نجم) مستلقياً على الفراش نائماً دون أن يرتدي ملابسه والخرقة البيضاء التي كانت تغطيه واقعة على الأرض فاستدار خلفه بتوتر وطلب من (روميسا) الرحيل لكنها قالت: ألا تريدان أن أحلق لكما؟

(كوفان) بتعجب: تحلقين لنا؟

(روميسا) وهي تخرج نصلاً حادّاً من جيبها: نعم.. أحلق أذقانكما

(كوفان) وهو يدفعها برفق للخارج: لا! لا! شكراً

أغلق (كوفان) الباب وسار نحو رفيقه النائم وأيقظه بركلة لقدمه المتدلية من الفراش وهو يقول: استيقظ!

(نجم) وهو يفيق بكسل: ماذا؟.. ما الأمر؟!

(كوفان) يجلس أمامه ورأسه وجسده ملفوفان بخرقة بيضاء: غطِّ نفسك أولاً

(نجم) وهو يسحب اللحاف مبتسماً ويغطي نفسه: كيف وجدت الحمام؟

(كوفان): لا بأس به

(نجم) وهو يضحك: لا تنكر أنك استمتعت!

(كوفان) يشير لقارورة كبيرة نصف مملوءة أسفل السرير: ما هذه القارورة؟

(نجم) وهو يوجه نظره إليها: آه نعم.. لقد أحضرت فتاة جميلة هذا النبيذ وقالت بأنك أنت من طلبه.. لا تقلق لقد تركت لك نصفها

(كوفان) يحمل القارورة ويشتمها متقرفاً: كيف لأحدٍ أن يحتسي هذا العفن؟

(نجم): الناس أذواق لكن هذا لا يعني أن كلهم يملكون ذوقاً..

(كوفان) وهو يضع القارورة على الأرض: لاحظ أنك تتكلم عن نفسك أيضاً

(نجم) ضاحكاً: أعرف..

(كوفان): أين وضعت القارورة الأخرى؟

(نجم): لم تحضر سوى قارورة واحدة

(كوفان) بغضب: أنا أتكلم عن القارورة التي أعطيتك إياها قبل أن أذهب للحمام!

(نجم) مستجمعاً أفكاره: أوه!.. نعم! نعم!

(كوفان) بعصبية: هل أضعتها؟!

(نجم) يخرج القارورة ذات الغطاء الذهبي من أسفل الفراش: بالطبع لا.. لم أفقد تركيزي لهذا الحد يا قبطان

(كوفان) يأخذ القارورة ويقول: هذه القارورة مهمة ويجب أن لا نفقدها

(نجم): أين ملابسك؟

(كوفان): أخذتها تلك الفتاة وقالت إنها ستغسلها مع ملابسك

(نجم): معنا الملابس الجديدة التي أحضروها

(القبطان): لن أرحل دون ملابسي التي دخلت بها

(نجم) مبتسماً: تتعلق بأمورٍ غريبة يا قبطان.. التجديد أمرٌ حميد ويجب أن ننسى الماضي من وقتٍ لآخر

(القبطان): لن تجد الحكمة إلا في الماضي لأن المستقبل مهما كان جميلاً سيبقى طفلاً حديث الولادة..

(نجم) مبتسماً: حسناً.. ما الخطوة التالية الآن؟

(كوفان) معانقاً القارورة ذات الغطاء الذهبي: ننتظر على ما أظن حتى الليل..

(نجم): لا تقلق يا قبطان إذا كان أحدٌ من القراصنة هنا يملك أي معلومة فسوف أحصل عليها

(كوفان): أتمنى أن يحدث ذلك بأسرع وقت فهذا المكان لا يعجبني

(نجم) وهو يستلقي على الفراش: أنت غريب يا قبطان.. من يكره الجنة

(كوفان): الجنة التي تسكنها الشياطين جحيمٌ بارد..

مع حلول الليل ارتفعت أصوات الغناء والهرج والمرج في الطابق السفلي بينما كان (كوفان) و(نجم) نائمين في الغرفة ولم يستيقظا إلا عندما طُرق الباب عليهما لينهضا مفزوعين في ظلمة أحاطت بهما فبدأ (نجم) يتحسس الجدران حوله حتى وصل للباب وفتحه ليرى فتاة لم يرَها من قبل تبتسم له وتقول: السيدة (زبيقة) تدعوكما للانضمام إلينا في الأسفل..

(كوفان) من داخل الغرفة المظلم: من عند الباب؟

(الفتاة) لـ(نجم) باستغراب: لمَ لم تطلبا أحداً ليشعل لكما الشموع؟

(نجم) مبتسماً بتوتر: نحن نحب النوم في الظلام

(الفتاة) وهي تهم بالرحيل وتغمز لـ(نجم) مبتسمة: لا تتأخرا

عاد (نجم) للغرفة وترك الباب خلفه مفتوحاً كي يستعين بالنور البسيط الآتي من الخارج لرؤية طريقه وقال لـ(كوفان): هيا يا قبطان لنبدأ العمل

(كوفان) ينهض بثقل: كم لبثنا نائمين؟

(نجم) يمد يده للقبطان ويساعده على النهوض: ساعات طويلة فيما يبدو

عرج الاثنان على الحمام وقاما بغسل وجوههما ولبسا الملابس الجديدة التي أُحضرت لهما سابقاً ثم توجها للطابق السفلي نزولاً عبر السلالم وقبل وصولهما لمكان الاحتفال الصاخب كانت (زبيقة) في استقبالهما بابتسامة عريضة وهي تقول: أهلاً أهلاً بضيوفنا الجدد!

قادت (زبيقة) مع إحدى فتياتها (كوفان) ومن خلفه (نجم) لمكانٍ خُصص لهما وبعد جلوسهما قالت وهي تشير للفتاة التي كانت معها: هذه (روميسا) وستكون معكما طيلة الليل لتلبية طلباتكما..

(نجم) وهو يبتسم بخبث: نعم لقد التقينا من قبل

(زبيقة) وهي تهم بالرحيل: استمتعا

(كوفان) مشيراً بيده لها: لحظة!

(زبيقة) وهي تقترب منه وتهمس في **أذنه: لا** تقلق كل شيء يسير حسب اتفاقنا لكن لا تستعجل واترك الأمور تسير بروية..

(كوفان): حسناً

استمر الاحتفال لساعاتٍ طويلة والصخب يعلو مع مرور كل ساعة بسبب ثمالة الحاضرين وكان (نجم) مستمتعاً بوقته محتسياً لكل كأسٍ يوضع أمامه ومعانقاً ومقبلاً لكل فتاة تقترب منه لكن

(كوفان) بقي مستيقظاً يراقب الحاضرين بأعين مترصدة مما دفع (نجم) لأن يدنو منه قائلاً وهو شبه ثمل: يجب أن تحتسي شيئاً أيها القبطان فشكلك مثير للريبة وأنت تراقب الناس هكذا

(كوفان) وعينه على الحاضرين المحتفلين: كيف ستحصل تلك المرأة على أي معلومة في هذه الفوضى؟!

(نجم) وهو يمد قارورة عند فم (كوفان): تناول بعض النبيذ يا قبطان وروح عن نفسك

(كوفان) مبعداً القارورة عن فمه بهدوء دون أن يقطع تحديقه في الحاضرين: اشرب أنت.. أحدنا يجب أن يبقى مستيقظاً

(نجم) وهو يحتسي محتوى القارورة: كما تشاء

قبل نهاية تلك الليلة الصاخبة اقترب أحد القراصنة الذين كانوا موجودين في المكان وهو يترنح ثملاً وجلس بجانب (كوفان) وقال بصوتٍ خدر: لقد كنت أراقبك طيلة الليل.. ولم أرَك تحتسي شيئاً أو ترافق فتاة.. لماذا؟

(نجم) وهو مخمور: القبطان (كوفان) له ذوق خاص ولا يعجبه أي شيء!

(القرصان الثمل):.. (كوفان)؟.. لم أسمع بهذا الاسم بين القراصنة من قبل.. في أي بحرٍ تبحر؟

(كوفان) وهو مستاء من حديث القرصان المخمور معه: من بحر الشمال البعيد

(القرصان الثمل): بحر الشمال؟.. إذاً أنت تعرف (نيسر)!

(كوفان): نعم.. نعم..

(القرصان الثمل): سمعت أنه غرق قبل شهر عندما أبحر تجاه البحر المظلم.. هل هذا صحيح؟!

(نجم): كلنا سمعنا مثلك لكن لا أحد متيقن من حقيقة ما حدث له

(القرصان الثمل) رافعاً قارورة كانت أمامه: لنشرب نخباً لشجاعة القبطان (نيسر)!

(نجم) وهو يرفع قارورته: لشجاعة القبطان (نيسر)!

(القرصان الثمل) وذراعه الممسكة بالقارورة لا تزال في الهواء ونظره يوجه لـ(كوفان): ألن تشرب معنا؟

(كوفان) بتوتر: لا ، شكراً

(القرصان الثمل) بغضب: أي نوعٍ من القراصنة أنت؟!.. ترفض أن تشرب نخباً لزميلٍ لك قضى نحبَه تحت الأمواج الثائرة؟!

تدارك (نجم) الموقف وسحب كأساً كان أمامه وسكب فيه بعض النبيذ من قارورته ومده لـ(كوفان) بنظرة حاثة. أخذ القبطان الكأس المملوء وما أن أمسكه حتى طرق القرصان الثمل قارورته بالكأس وبدأ يحتسي الخمر بشراهة. تبعه (نجم) ومن بعده (كوفان) المتردد والذي شرب الكأس دفعة واحدة فقال له القرصان ضاحكاً وهو يملأ كأس القبطان مرة أخرى: لن تبارح مكانك حتى ننهي كل القوارير على الطاولة!

قضى الثلاثة الساعة التي تلت ذلك في احتساء ما كان أمامهم من النبيذ وأصبح (كوفان) أكثر ارتخاءً ومرونة في الحديث وتعالت ضحكاته على أغلب الأشياء التي قيلت عند تلك الطاولة. من ضمن الموضوعات التي طُرحت تحت تأثير النبيذ كان موضوع الحوريات وكيف كان يبحث عن واحدة فقال له القرصان الثمل ضاحكاً: ما الذي تريده من تلك المخلوقات البشعة؟!

(كوفان) وهو ثمل: أتفق معك! هذه الكائنات أقبح وأبشع شيء يمكن أن تقابله فهي جميلة القشور فاسدة اللب!

(القرصان الثمل) وجبينه يقترب من سطح الطاولة الخشبية: إذا كنت تكرهها لهذا الحد فلا تبحر بالقرب من جنوب البحر الأخضر

(نجم) بسخرية: لمَ؟.. هل ستهاجمنا الحوريات؟

(القرصان الثمل) وقد أسند خده لسطح الطاولة وبدأ يفقد الوعي تدريجيّاً: نعم..

(كوفان) وهو يخرج قليلاً من ثمالته ويشد القرصان من لباسه محاولاً إيقاظه: ماذا تقول؟!.. هل هناك حوريات في البحر الأخضر؟!

(نجم) يحاول إبعاد قبضة (كوفان) عن القرصان: دعه يا قبطان لقد فقد الوعي

(كوفان) يرمي القرصان على الأرض: هل سمعت ما قاله؟!

(نجم) ورأسه يترنح وعيناه نصف مفتوحتين: قال إنه يحب نبيذ العنب أكثر من نبيذ التفاح..

(كوفان) ينهض ويشد (نجم) معه ويسير نحو السلم المؤدي للطابق العلوي: هيا أيها الأحمق!

قبل أن يصعد (كوفان) لغرفته اعترضت (زبيقة) طريقه وهي تبتسم وتقول: كيف وجدت الحفل أيها القبطان؟

(كوفان) يشوح بيده وهو ثمل: حفلك مثلك..

(زبيقة): حفاظاً على حياتك سأعتبرها مجاملة أيها القبطان..

(القبطان) وهو مخمور: ماذا تريدين؟

(زبيقة): أرى أنك لست بحالةٍ تسمح لنا بالحديث الآن

(كوفان) وصوته يرتفع: ومن قال إني أريد الحديث معكِ أو مع غيرك!

أشارت (زبيقة) لبعض فتياتها لاصطحاب (كوفان) ورفيقه لغرفتهما..

أفاق القبطان (كوفان) في اليوم التالي في فراشه وذراع (نجم) على صدره وهو يشخر بقوة. أبعد يده وجلس على طرف الفراش وهو يحس بصداعٍ شديد ولا يتذكر شيئاً مما حدث ليلة البارحة. بقي صامتاً و(نجم) مستمر في شخيره حتى نفد صبره منه وهزه بقوة ليفيق هو الآخر قائلاً: كانت ليلة صاخبة..

(كوفان) وهو يضع كفه على جبينه ويمسح وجهه: يجب أن نرحل..

(نجم) وهو يتثاءب: نرحل إلى أين؟

(كوفان): نرحل من هذا المكان.. لا جدوى من البقاء هنا.. لقد أضعنا الكثير من المال والوقت دون فائدة

(نجم): هل يمكنني الاستحمام مرة أخيرة قبل أن نرحل؟

(كوفان): حسناً لكن لا تتأخر

نهض (نجم) وتوجه للحمام وبعد خروجه طُرق الباب ودخلت (زبيقة) مع ثلاث فتيات وقالت: صباح الخير يا قبطان

(كوفان) دون أن ينهض أو يلتفت عليها: لا خير سيأتي من البقاء في هذا المكان..

(زبيقة): لقد حصلت على المعلومة التي تبحث عنها إذا كنت لا تزال راغباً في سماعها من فتياتي

(كوفان) ملتفتاً بوجهه الناعس: أي معلومة؟

أشارت (زبيقة) للفتيات فبدأن واحدة تلو الأخرى بالحديث..

(الفتاة الأولى): الزبون الذي كنت أجلس معه البارحة أخبرني بأنه رأى سمكة كبيرة برأس امرأة عندما كان يبحر شمال البحر الأخضر

(الفتاة الثانية): القبطان (هموز) أخبرني وهو ثمل بأنه تعرض لهجوم

من حورية عندما قرر يوماً السباحة.. يقول بأنها قد قضمت ساقه وقد أراني الندبة التي تسببت له بها

(كوفان) وهو منصت باهتمام: هل ذكر في أي بحرٍ حدث ذلك؟

(الفتاة الثانية): جنوب البحر الأسود..

(كوفان) بنبرة تساؤل: البحر الأسود؟

(زبيقة): أعتقد أن ما ستقوله الفتاة الثالثة سيحسم لك الأمر

وجه (كوفان) نظره للفتاة الثالثة بصمت في انتظار حديثها..

(الفتاة الثالثة): كنت جالسة مع قرصان امتهن صيد الحيتان قبل أن يصبح قرصاناً وأخبرني أنه عندما كان يطارد سرباً من حيتان العنبر لجمع زيتها رأى سرباً كبيراً يسبح بجانب سرب الحيتان.. ظن في بادئ الأمر أنها درافيل لكنه يقسم بأنها كانت كالبشر بأذيال سمكية تعوم وتقفز من الماء وجميع طاقمه شاهد ذلك

(زبيقة) تشير لفتياتها بالخروج من الغرفة وبعد رحيلهن قالت قبل أن تلحق بهن: وداعاً أيها القبطان ورحلة موفقة في البحث عن حوريتك..

خرجت (زبيقة) وأغلقت الباب خلفها تاركة (كوفان) يفكر بعمق..

(حربة) وهو يصرخ في (دقاس): لِمَ لم تحضر برميل التفاح الذي أمرتك بشرائه من سوق الميناء؟!

(دقاس): لم أجد إلا تفاحاً أحمر

(حربة) بعصبية: وما المشكلة؟!

(مقلوم) يشير بيديه أن اللون الأحمر فأل شؤم في البحر..

(حربة) بغضب: نحن بحارة يا حمقى وهذه الخرافات يؤمن بها القراصنة فقط!

(نجم) وهو يقفز على سطح السفينة ضاحكاً: وما بهم القراصنة يا صائد الحيتان؟!

(حربة) مبتهجاً: لقد عدتما!.. هل كانت رحلتكما مثمرة؟!

(كوفان) وهو يصعد على السطح ويتوجه لقمرة القيادة: هل نحن جاهزون للإبحار يا (حربة)؟

(حربة): نعم يا قبطان لكن إلى أين؟

(كوفان) ونظره منصب على الأفق: حيث يلتقي البحر الأخضر بالبحر الأسود..

(حربة): هذه منطقة واسعة وبها مسارات عدة

(كوفان) موجهاً نظره لـ(حربة): وهل حيتان العنبر تقطعها كلها؟

(حربة): لا.. حيتان العنبر تتخذ مساراً محدداً خلال هجرتها بين البحر الأسود والأخضر

(كوفان): خذني هناك وبأسرع وقت..

بعد أيام من الإبحار وصلت سفينة «الابنة الضالة» لمعبر حيتان العنبر قبل الفجر بقليل فأمر (كوفان) برمي المرساة والانتظار..

(حربة): ما العلامة التي تريد البحث عنها أيها القبطان؟

(كوفان) وهو يمعن النظر في البحر: أريد أن تكون أعيننا على الماء بشكلٍ دائم ومستمر.. ليتولَّ الرجال مراقبة سطح الماء بالتناوب طيلة اليوم بلا انقطاع.. ليلاً ونهاراً.. وإذا رأوا شيئاً خارج المألوف فليخبروني في الحال

(حربة) وهو متعجب: أمرك

دخل (كوفان) المخزن تاركاً (حربة) وراءه ليوزع مهام المراقبة على الرجال وبعد مضي نصف ساعة تقريباً طُرق عليه الباب ودخل (حربة) قائلاً: لقد وزعت المناوبات بيننا نحن الأربعة بحيث يكون

نصيب كل واحدٍ منا ربع يوم من المراقبة.. هل تأمرني بشيء آخر؟

(كوفان) وهو مستلقٍ: لا يا (حربة) شكراً

هم (حربة) بالخروج وإغلاق الباب لكن السفينة اهتزت بقوة بسبب عاصفة ممطرة ضربتها فجأة. كانت عاصفة هوجاء حطمت جميع الأشرعة ودفعت الرجال للجري والدخول للمخزن للاحتماء.

(كوفان) ينهض مفزوعاً: ما الذي يحدث؟!

(حربة) وهو ممسك بحبلٍ متدلٍّ: يبدو أنها ريحٌ قوية أيها القبطان!

السفينة تهتز بقوة أكبر من السابق..

(دقاس) وهو يسقط على الأرض: هل المرساة مثبتة جيداً؟!

(نجم) يضع يده على الجدار الخشبي ويقول: أعتقد أننا فقدنا المرساة وبدأنا بالتحرك..

السفينة تهتز ليسقط الجميع على الأرض..

استمرت العاصفة بالهيجان والرجال مختبئون في تلك الغرفة يصارعون بين الحياة والموت حتى توقفت فجأة مثلما بدأت..

(كوفان) ينهض بجسد متألم: هل الجميع بخير؟

(حربة) مستنداً على الباب للنهوض: أنا بخير

(نجم) مستلقياً على الأرض: أعتقد أني كسرت ساقي

(مقلوم) ينهض ويشير بيده بأنه بخير و(دقاس) ملقى على الأرض..

(حربة) يهز (دقاس) قائلاً: انهض!.. لقد انتهت العاصفة!

(كوفان): أعتقد أنه مات

(نجم) وهو مصدوم: كيف مات؟!

(حربة) يضع يده عند عنق (دقاس) ويقول: لقد دُق عنقه خلال ارتطامه بجدران الغرفة

(كوفان) يسير متجاوزاً رجاله نحو الباب..

(نجم) يستعين بذراعيه لينهض ويسند ظهره للجدار..

(حربة) يلحق بـ(كوفان) قائلاً: ما مدى الضرر الذي لحق بالسفينة؟

(كوفان) وهو ينظر للأشرعة المحطمة: لقد تمزقت الأشرعة وكُسرت الصواري ولن نتمكن من الإبحار مرة أخرى..

(حربة): التيارات لا تزال تحرك السفينة وقد يحالفنا الحظ ونرى سفينة أخرى

(كوفان) يسير لطرف السفينة ويطل منها: كم سفينة تعرفها تمر في هذه الأرجاء يا صائد الحيتان؟

(حربة) وهو ينزل رأسه: ليس الكثير..

(كوفان) ينظر للأعلى ويشاهد بعض طيور النورس: طيور النورس لا تطير بعيداً عن اليابسة.. ربما ما زلنا نملك فرصة للنجاة

(حربة): سوف أذهب لأطبب ساق (نجم)..

(كوفان) ونظره لا يزال للبحر: لا تنسَ أن ترمي (دقاس) في الماء

(حربة): لا أنصح بذلك أيها القبطان

(كوفان) ملتفتاً على (حربة) باستغراب: لماذا؟

(حربة) بوجهٍ مكتئب: قد نحتاجه لاحقاً..

(كوفان): لأي غرض؟

(حربة): الجوع هو الاختبار الحقيقي للقيم والمبادئ.. وسوف نُختبر قريباً..

نفد الماء والطعام سريعاً من البحارة خلال الأيام التي قضوها تائهين

في عرض البحر بلا أشرعة أو مرساة وكانوا تحت رحمة التيارات التي كانت تأخذهم في عدة اتجاهات.

(كوفان) وهو يتناول آخر قطعة من لحم (دقاس): يبدو أننا سنموت..

(مقلوم) ينظر إليه بوجهٍ شاحب دون أن يعلق..

(حربة) وهو يخرج من المخزن بوجهٍ قلق: لم يعد هناك فائدة من العلاج لا بد من بتر ساقه فالغرغرينة تمكنت منها

(كوفان) ببرود: هل تحتاج مساعدتي في بترها

(حربة): لا يمكنني القيام بذلك وحدي لكني أحتاج أن توقد لي ناراً أطهر بها النصل الذي سأستخدمه لبتر ساقه وإغلاق الجرح بعد البتر

(كوفان) ينهض ويرمي بعظمة (دقاس) في البحر بعد ما أكل لحمها: حسناً..

عند منتصف الليل وتحت وميض قمرٍ مكتمل بتر (حربة) ساق (نجم) الذي أطلق صرخة مدوية كسرت هدوء تلك الليلة الكئيبة..

(كوفان) وهو جالسٌ خارج الغرفة يراقب أمواج البحر تحت ضوء

القمر: لا أحد يستطيع سماع صراخك يا صديقي..

لم يخرج (حربة) تلك الليلة من الغرفة وبقي بجانب (نجم) حتى الصباح و(كوفان) مع (مقلوم) افترشا سطح السفينة واكتفيا بنجوم السماء لحافاً..

(حربة) يخرج من الغرفة أول النهار..

(كوفان) يستيقظ عند سماعه للخطوات التي عبرت بجانبه متوجهة لطرف السفينة: كيف حاله الآن؟

لم يرد (حربة) على قبطانه وبقي متكئاً بسواعده على طرف مقدمة السفينة ينظر للأفق..

نهض (كوفان) وسار حتى وقف بجانب (حربة) وشاركه النظر قائلاً: هل مات؟

(حربة): لا لكنه سيموت إذا لم نرَ اليابسة قريباً..

(كوفان) موجهاً نظره لـ(حربة) ويقول بشفاه متشققة من العطش: الماء العذب بات أهم من اليابسة الآن..

(حربة) ينظر خلفه لـ(مقلوم) وهو نائم متسائلاً: لَمَ لم يستيقظ حتى الآن؟.. الشمس لا تطاق

(كوفان) ببرود: لأنه مات..

(حربة) وهو مصدوم: ماذا؟!.. كيف؟!

(كوفان): لقد جن جنونه البارحة بعد ما خلدنا للنوم وهجم علي فقاومته وقتلته

(حربة) باستغراب وتشكيك في كلام (كوفان): (مقلوم) بحارٌ قوي كيف استعطت التغلب عليه يا قبطان؟

(كوفان): المهم أننا نملك المزيد من الطعام الآن..

(حربة): ما الذي يجري يا قبطان؟

(كوفان): ماذا تقصد؟

(حربة) وهو يشير بإصبعه أمامه ويصرخ: يابسة!

(كوفان) ينظر حيث أشار (حربة) ويقول بحماس: أين؟! لا أرى شيئاً!

(حربة) يقفز مكانه مبتهجاً: حمداً لله!.. يابسة! يابسة!

(كوفان) وهو يحاول رؤية اليابسة التي يتحدث عنها (حربة): أين أيها الأحمق؟! لا أرى شيئاً!

(حربة) يضع كفيه على خدي (كوفان) ويضغط عليهما ويدير وجهه لليمين قليلاً..

(كوفان) بسعادة غامرة وصوتٍ مرتفع: نعم أراها! أراها!

(حربة) يترك وجه القبطان ويحدق معه للساحل البعيد ويقول بقلق: لكن المسافة بعيدة وقد نضطر للسباحة نحو الساحل إذا لم تجرِ الرياح كما نشتهي..

(كوفان) ملتفتاً على (حربة): ماذا عن (نجم)؟

(حربة): سنأخذه معنا بالطبع

(كوفان): لكن جرحه جديد ولو لامس الماء المالح..

(حربة) بعصبية: هل لديك اقتراحٌ أفضل أيها القبطان؟!

(كوفان): لا.. لكن لننتظر حتى تتوقف السفينة أو تغير مسارها ثم نقفز نحن الثلاثة في الماء ونسبح تجاه الساحل

(حربة) وهو يسير للمخزن: سوف أحضر بعض السيوف معنا

(كوفان): لماذا؟

(حربة) وهو يدخل الغرفة: نحن لا نعلم ما قد يواجهنا خلال الطريق أو حتى بعد الوصول..

بقي الاثنان عند مقدمة السفينة يراقبان تقدمها نحو الساحل مدفوعة بالتيارات القوية التي كانت تحركها وتقودها حتى تباطأت وتيرة ذلك التقدم وأخذت تهدأ تدريجيّاً.

(حربة) وهو يربط السيوف بحبلٍ في خاصرته: الساحل أصبح قريباً ويمكننا قطع بقية المسافة سباحة

(كوفان) ونظره للغرفة: من منا سيحمل (نجم)؟

(حربة) متوجهاً للغرفة: كلانا سيتعاون في حمله والسباحة به

(كوفان) يلقي نظرة على الساحل المترائي أمامه: أتمنى أن نصل بسلام..

(حربة) وهو يدخل الغرفة: لا تقلق أيها القبطان الأمور ستسير على ما يرام

(كوفان) يرفع كفه فوق جبينه ليغطي وهج أشعة الشمس ويمعن النظر في الساحل البعيد ويقول محدثاً نفسه: هل أنا واهم أم أني أرى شخصاً يلوح لنا بيده؟

(حربة) يخرج من الغرفة مسنداً (نجم) بوضع ذراعه على رقبته: هل أنت مستعد أيها القبطان؟

(كوفان) دون أن يحيد بنظره عن الشاطئ ويبدأ بالتلويح بيده ويقول بصوتٍ مرتفع: أعتقد أن هناك شخصاً على الساحل!

(حربة) يرفع نظره عند وصوله لطرف السفينة قائلاً: معك حق.. هناك من يلوح بيده

(كوفان) يلوح بحماسٍ أكبر ويصرخ: رائع! هذا دليل أننا وصلنا لمنطقة مأهولة!

(حربة) بتوجس: لا تتحمس كثيراً يا قبطان فنحن لا نعرف من في انتظارنا عند الساحل

(كوفان) وهو مستمر بالتلويح والصراخ: لا يهم!.. المهم أننا نجونا!

(حربة): سنغير خطتنا

(كوفان) وهو يتوقف فجأة: ماذا تقصد؟

(حربة) يضع (نجم) أرضاً على سطح السفينة: لو كان ما ينتظرنا خطراً فلا مبرر أن نموت جميعاً.. سأذهب أنا وأتحقق من الأمر

وإذا كان الساحل آمناً وهذا الشخص ليس بعدو فسوف أعطيك الإشارة لتلحق بي

(كوفان): لا.. سأذهب أنا

(حربة): أنا صاحب الفكرة وأنا من سيخاطر

(كوفان) مبتسماً: هل تظن أن العوم مع رجلٍ ينزف في مياه تعج بأسماك القرش أقل خطراً؟

(حربة) يضع يده على كتف (كوفان) باسماً: حسناً.. كن حذراً أيها القبطان

(كوفان) يرفع قدمه ويصعد على طرف السفينة: انتظر مني الإشارة

(حربة): تعلم بأني سآتي لنجدتك إذا لم أرَ إشارتك..

(كوفان) وهو يقفز في الماء: أعرف..

بمجرد أن ارتطم (كوفان) بالماء سمع (حربة) ينادي عليه وهو يرمي أحد السيوف التي كانت معه قائلاً: خذ هذا قد تحتاجه!

لم يستطع (كوفان) التقاط السيف ليقع ويغوص في الماء..

(كوفان) مستأنفاً السباحة تجاه الساحل بعبوس: بداية موفقة!

بالرغم من أن الشاطئ كان نصب أعين (كوفان) إلا أن الوقت الذي استغرقه للوصول إليه كان طويلاً جدّاً فقد أمضى ما يقارب الساعة من السباحة المستمرة دون توقف حتى لمس بأنامله رمال الشاطئ الدافئة. الشخص الذي كان يلوح له اختفى على أنظاره منتصف الطريق لذا لم يجد حاجة للحذر منه خاصة وأنه كان مرهقاً جدّاً لحظة وصوله. استلقى (كوفان) على ظهره يتنفس بثقل بأعين مغمضة بسبب الشمس الساطعة ولم يفتح عينيه إلا عندما أحس بزوال الشمس فجأة ليرى عجوزاً تُطل في وجهه ففزع ونهض بسرعة وهو يصرخ: من أنت؟!

(العجوز) تدنو بخطواتٍ بطيئة نحو (كوفان) رافعة كفها لتلمسه..

(كوفان) يتراجع للوراء ويقول لها بحدة: ابتعدي عني!.. ماذا تريدين؟!

(العجوز): أريد أن ألمسك.. أريد أن أتحقق من أنك لست حلماً

(كوفان) وهو يقبض حفنة من الرمال ويرمي بها في وجه العجوز: هل تحققتِ الآن؟!

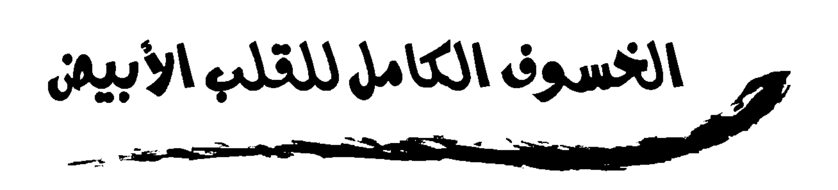
(العجوز) وهي تستعيد تركيزها: نعم..

(كوفان) ينظر حوله بنظراتٍ خاطفة كي لا يحيد عن تركيزه بالعجوز: أين نحن؟! ومن أنت؟!

(العجوز) ببرود: أنت الدخيل علي وأنا من يجب أن يسألك عن هويتك..

(كوفان): أنا (كوفان) قبطان الـ«ابنة الضالة»!

(العجوز): يبدو أن ابنتك قد ضلت بالفعل.. أنت على جزيرة «يوكاي».. وأنا هنا منذ أربعين عاماً أحاول الخروج منها..



الخسوف الكامل للقلب الأبيض

استيقظت (لج) وبدأت حراشفها تضيء المكان تدريجيّاً من حولها ورأت أنها كانت لا تزال في ذلك التجويف الأرضي الذي غاصت فيه سابقاً وقابلت فيه (جيتر) لكنه لم يكن في الجوار، لا هو ولا لآلئه المضيئة. لم ترَ سوى نبتات المخدر في الأسفل والفتحة التي دخلت من خلالها. حركت ذيلها الهزيل وبدأت بالعوم خروجاً من ذلك التجويف العميق حتى عادت لقاع البحر الرملي من حيث أتت. أحست (لج) بالضيق وراودتها رغبة ملحة للعوم للسطح شوقاً لصديقها القديم.. القمر.

عند وصولها لم تقوَ (لج) بسبب ضعف جسدها على القفز والشقلبة خارج الماء كما اعتادت دائماً واكتفت بالإطلال برأسها والبحث بنظرها في السماء عن ذلك الحجر المضيء الذي كان يمدها بالقوة كلما أحست بالوهن أو الحزن. وقعت عيناها على بدره المكتمل فابتسمت وحدقت به لثوان ولم تجد حديثاً تقوله لنديمها واكتفت بالنظر لنوره بأعين دامعة.

خرجت (لج) عن صمتها بعد دقائق من التحديق وقالت:

كيف لي أن أشتاق لك وأنت أمامي؟.. أخبرني يا نديمي.. ربما لأنك كنت وما زلت كالقنديل تضيء ظلمة أعماقي..

كيف حالك يا صديقي القديم؟.. صاحبتك لم تعد كما عهدتها..

هل اشتقت لي كما اشتقت لك؟.. هل افتقدتني كما افتقدتك؟..

أنت حبي الوحيد ونجومك سربي الذي أنتمي إليه..

لَمَ لا ترد علي..؟ لَمَ لا تحدثني ولو لمرة؟.. تغاضَ عن كبريائك وقل لي أحبك   أحبك وإن ذبلتِ.. أحبك وإن تناسيتِ.. أحبك وإن كابرتِ.. أحبك لأنكِ أنفاسي عندما أغرق وابتسامتي عندما أحزن.. أحتاج أن أسمع هذه الكلمات منك.. قلها وخذ عمري بعدها فنورك هو الوحيد الذي يذكرني بوجودي على قيد الحياة ويعيد لي توازني مهما لطمت بي أمواج الحزن وحاولت تغييري.. هل يرضيك لو انتزعت قلبي وتركته رهناً ورهينة عندك كي تصدق أني لا أحب أحداً سواك..؟

في تلك اللحظة بدأ نور القمر يخفت ويتناقص تدريجيّاً..

(لج) بتعجب ودموع متساقطة: ما بك أيها القمر؟!.. لمَ بدأت تفقد نورك؟!

استمر نور القمر بالتناقص حتى اختفى تماماً وحل مكانه سوادٌ حالك..

(لج) بحزنٍ شديد ودموع منهمرة: فهمت.. لن أزعجك بحماقاتي مرة أخرى.. وداعاً أيها القمر..

غاصت (لج) وهي تبكي بحرقة للقاع المظلم ولأن جسدها كان هزيلاً ومريضاً شعرت بضيقٍ خانق في صدرها لكنها لم تتوقف واستمرت بالغوص حتى ارتطمت بالأرض الرملية الناعمة بأعين دامعة ومغمضة وبدأت تطفو ببطء للأعلى مجدداً. شعرت (لج) وهي بتلك الحالة بحركة عند شفتيها ففتحت عينيها بثقل لترى السلطعون (ناسك) يجلس على صدرها ويحاول دس ورقة في فمها.

(لج) وهي نصف مستيقظة: هل أنا أحلم؟.. (ناسك)؟

(ناسك) ممسكاً بورقة خضراء بمخلبه: تناولي هذه قبل أن تفقدي الوعي..

(لج) تفتح فمها وتقضم جزءاً من الورقة بأنيابها الطويلة وتبتسم وتدمع: لا أعرف لِمَ أنا سعيدة لرؤيتك

(ناسك): كنت أتمنى أن أبادلك الشعور نفسه لكن حالك يرثى له.. لقد تغيرتِ كثيراً

(لج) وهي لا تزال تطفو على ظهرها ولا تقوى على الحراك: كيف وجدتني في هذا البحر الواسع؟ وكيف تعرفت علي بعد أن تغير شكلي؟

(ناسك) وهو يدس ما تبقى من الورقة في فم (لج) بتجهم: لِمَ يُصر الجميع على الانتقاص من قدرة السلطعونات!

(لج) تمضغ ما تبقى من الورقة مبتسمة بوجهٍ متعب..

(ناسك): تغيرتِ بالفعل لكن ملامحك لم تتغير كثيراً وذلك الوسم على جبينك كذلك..

(لج): لقد فقدت الكثير من الوزن بسبب المرض..

(ناسك): هذه الورقة سوف تعيد لكِ بعض عافيتك لكن ذلك لن يدوم إذا استمررتِ بتعاطي تلك السموم

(لج) بحزن: كان معك حق فيما قلت..

(ناسك): أنا محق في كل شيء أقوله.. أيّاً من كلامي تقصدين؟

(لج) تبتسم بحزن: أنا لست حورية..

(ناسك): ولستِ شيئاً رأيته من قبل.. لستِ بسايرينا ولا غرنيق أيضاً..

(لج): في كل الأحوال كنت محقّاً بشأن عدم انتمائي للحور

(ناسك): أنت لا تشبهين أي كائن في البحور السبعة عدا..

(لج): عدا من؟

(ناسك): أخبريني قبلها.. كيف تخلصتِ من قبضة البشر؟ وكيف استعدتِ ذيلك؟

(لج): قفزت في الماء فقط..

(ناسك): يبدو أن تأثير الخليط ضعيف لأن العناصر لم تكتمل أو ربما لأنكِ لم تتناولي الخليط بالكامل

(لج) بعصبية وقد استعادت بعض عافيتها: أخبرني أنت الآن!.. لمَ طلبت مني شرب الخليط؟!

(ناسك): هل كنتِ تريدين أن تقعي في قبضة البشر كحورية؟..

كانوا سيأكلونك بالتأكيد

(لج): هم لا يعترفون بوجود الحور من الأساس

(ناسك) بتعجب: هل تحدثتِ معهم؟

(لج): لا تغير الموضوع وأخبرني.. هل كنت تعلم بأن الخليط سيحولني لبشر؟!

(ناسك): بصراحة لا.. كنت أعرف أنه سيحولك لكائن آخر وكنت أتمنى أن تتحولي لسلطعونة لكن لا بأس ببشر المهم أنهم لم يروك كحورية

(لج): وكيف كنت تعرف أنني سأتحول لكائن آخر؟

(ناسك): ملوك الجن أعطوك مكونات خليطٍ كان سيساعدك على انتزاع الحكم من (أمفرتيت) وهذا لم يكن ليتم إلا إذا أصبحتِ كائناً آخر لذا طلبت منكِ تحطيمها في السابق

(لج): تقصد أني أصبحت مثلها؟.. كائناً متوحشاً

(ناسك): هذا ما أراه أمامي لكن الخليط الذي تناولتِه كان ناقصاً فكيف حدث ذلك؟ ولَم كان ذلك الأخطبوط يريد سرقته منكِ؟

(لج): تقصد (مارج)؟

(ناسك): نعم

(لج) بتهكم: كنت أظنك تملك جميع الإجابات

(ناسك): لا شك أن الإجابة في رأسي لكني أحتاج وقتاً لإيجادها

(لج): وماذا سنفعل حتى تخرج تلك الفكرة من رأسك الغليظ؟

(ناسك) باستغراب: هل تخليتِ عن فكرة استعادة عرش الملك (عقيق)؟

(لج) بإحباط: هل ترى أمامك مخلصاً للبحور السبعة؟

(ناسك): بصراحة لا أرى سوى مدمنة هزيلة للأوراق المخدرة..

(لج) بابتسامة مصطنعة: شكراً لصراحتك

(ناسك): عفواً

(لج) تنقلب على بطنها وتحرك ذيلها الهزيل و(ناسك) يتشبث بخصلة من شعرها..

(ناسك): إلى أين؟

(لج) وهي تعوم و(ناسك) متعلق بمخلبه في شعرها: لم يعد هناك

شيء يستحق أن أبقى لأجله.. صديقي الوحيد (موج).. القمر.. أمي.. كلهم رحلوا عني وتركوني..

(ناسك) محاولاً التمسك بصعوبة بشعر (لج) خلال سباحتها السريعة: وما علاقة ذلك بما تقومين به الآن؟

(لج) وهي مستمرة بالسباحة بسرعة: سوف ألحق بهم!

(ناسك): تلحقين بمن يا مجنونة؟!

لم ترد (لج) على السلطعون المتعلق بشعرها وزادت من سرعة سباحتها..

(ناسك) وهو يحاول التمسك بشعر (لج) بصعوبة: ما اسمك؟

(لج) تتوقف عن السباحة وتقول: ماذا؟

تشبث (ناسك) أكثر في خصلات شعرها وتسلقها حتى استقر فوق رأسها وقال بهدوء: ما اسمك؟.. إلى الآن لم تخبريني باسمك.. أخبرتني بأسماء كل من تعرفين لكنك لم تذكري اسمك قط..

(لج) باستغراب: ولِمَ تريد معرفة اسمي؟

(ناسك): أريد معرفة اسم من ستتسبب بمقتلي..

(لج) بتجهم: لا شأن لك باسمي!

(ناسك): هل هو بشع لهذا الحد؟.. لقد كان لي عمة اسمها (قبروصة) ولا أعتقد أن هناك أبشع من هذا الاسم

(لج) وهي تبتسم:.. (لج).. اسمي (لج)..

(ناسك):.. اسم ملكي يليق بأميرة مثلك..

(لج): هل تعرف معناه؟

(ناسك): أعتقد أن أحد معانيه هو بحرٌ لا قاع له..

(لج) بإحباط: إذاً فأنا هاوية ظلماء؟

(ناسك): هل كنتِ فعلاً تنوين اللحاق بالموتى؟

(لج) بحزن: الحياة بلا شريك تحبه كالسماء بلا قمر..

(ناسك): هل تذكرين قبل أن نفترق أين كنا ذاهبين؟

(لج): أعتقد أننا كنا سنذهب لكائنٍ شمال البحر الأخضر أكثر علماً منك لنجد عنده بعض الإجابات

(ناسك): نعم.. هل ما زلتِ راغبة بالذهاب؟

(لج) بحزن: لا..

(ناسك): لمَ؟

(لج): كلما اقتربت من معرفة حقيقة من أكون ازداد الخوف والرعب في قلبي من تلك الحقيقة.. ليتني لم أخرج من وادي المرجان.. أفتقد ذلك الملل المقرون بالأمان..

(ناسك): لمَ لا تعودين لوادي المرجان إذاً؟

(لج): ما الهدف إذاً من خروجي وكل التضحيات التي قمت بها؟!

(ناسك): ليس من العيب أن نخطئ ونتعلم العيب كل العيب أن نستمر في الخطأ حتى نهلك..

(لج): سيكون المكان موحشاً بدون (موج) وأمي بالرغم من قسوتها..

(ناسك): يمكنني أن أحل محل (موج) هذا مؤقتاً لكن لا تتوقعي أن أقوم بمهام أمك

(لج) تبتسم بحزن: شكراً أيها السلطعون لكن لا.. لن أعود..

(ناسك) ممازحاً (لج): أعدك بأنكِ إذا لم تجدي الراحة والاطمئنان فسوف أقتلك بنفسي

(لج) تبتسم: حسناً..

(ناسك) يشير بمخلبه الضخم لليسار: عومي بهذا الاتجاه وستجدين تياراً متوسط القوة سيقودك مباشرة للبحر الأصفر

(لج): هل يمكن لكائن صغير مثلك الترحال عبر التيارات المتوسطة؟

(ناسك) وهو يضرب رأس (لج) بتجهم: لَم يُصر الجميع على الانتقاص من قدرة السلطعونات!

(لج) بتهكم: هل تعرف أني كنت في صغري أقتل القشريات مثلك للتسلية فقط؟

(ناسك) يشد شعر (لج) ليتشبث بها أكثر ويقول ببرود وهو ينظر أمامه: المهم أنها لم تمت عبثاً وقامت بتسليتك.. هيا تحركي كي لا نصادف سرباً من القروش ونصبح كلانا تسليتهم..

حركت (لج) ذيلها الهزيل مبتسمة وعامت باتجاه التيار المؤدي للبحر الأصفر..

بعد وصولها لوادي المرجان توجهت (لج) للكهف الذي كانت تقيم فيه مع (طيمة) ورأت أن فوهته لا تزال مطمورة بالصخور

فبدأت تزيحها واحدةً تلو الأخرى بصمت و(ناسك) يراقبها من فوق رأسها ويقول: ماذا تفعلين؟

(لج): أحاول استعادة منزلي السابق؟

(ناسك): بالرغم من ضعفك وهزالة جسدك إلا أنكِ تزيحين تلك الصخور بسهولة

(لج) وهي ترمي صخرة كبيرة جانباً وتمد يديها لحمل أخرى: كف عن معايرتي بالمخدر الذي كنت أتعاطاه

(ناسك): لم أقصد المخدر ولو أنه بالفعل عادة لا يمارسها سوى الكائنات الوضيعة

(لج) ترمي بصخرة بقوة وغضب جانباً: تحدث دون مراوغة أيها القشري فأنا جائعة ولا أرى كائنات حولنا غيرك!

(ناسك) بهدوء: ألم تقولي بأنكِ كنتِ حبيسة هذا الكهف مع ذلك الدرفيل واضطررتِ للبحث عن مخرجٍ آخر للهروب؟

(لج) وهي تزيح صخرة أخرى وتبدأ معالم الكهف تظهر: بلى وماذا في ذلك؟

(ناسك) وهو يزفر بعض الفقاعات الصغيرة: هل يجب أن أوضح

لكِ كل شيء؟.. لقد أصبحتِ قوية!.. أقوى بكثير من ما كنتِ سابقاً فالبرغم من ضعفك وهوانك استطعت إزاحة كل تلك الصخور الكبيرة والثقيلة بيسر وسهولة.. تخيلي مدى القوة التي ستملكينها لو استعدتِ عافيتك بالكامل!

(لج) وهي تنظر لفوهة الكهف التي عادت كما كانت قبل هدمها: ماذا تريد أن تقول؟

(ناسك) بحسرة: ما نوع المخدر الذي كنتِ تتناولينه؟.. أحتاج جرعة منه!

(لج) ترفع يدها وتمسك بـ(ناسك) وتحاول رفعه لكنه كان متشبثاً بقوة في شعرها فقالت بعصبية: اترك شعري يا (ناسك)!

(ناسك): هل ستأكلينني؟

(لج) بغضب: لا تختبر صبري!

(ناسك) وهو يفك شعر (لج) ويجد نفسه أمام وجهها العابس: كنت أريد القول بأنكِ بهذه القوة الجديدة قد تملكين فرصة في التغلب عليها..

(لج): التغلب على من؟

(ناسك): ملكة الغرانيق.. ملكة البحور السبعة.. (أمفرتيت)..

(لج) ترمي بـ(ناسك) وتعوم لداخل الكهف: أخبرتك أنه لم يعد لي رغبة في ذلك..

(ناسك) رافعاً رأسه ليرى المسافة التي يتوجب عليه تسلقها ليصل لمدخل الكهف: أنا جديّاً أحتاج لمخدر إذا كنت سأعيش مع هذه المخلوقة..

(لج) من داخل الكهف: أستطيع سماعك!

(ناسك) من أسفل الكهف: أعرف!

(لج) من داخل الكهف: هناك جحرٌ بالقرب منك كان لعائلة سلطعون يمكنك الإقامة فيه!

(ناسك) وهو يتفحص الجحر بنظره محدثاً نفسه: مكان جميل ومناسب

(لج): هل رأيته؟!

(ناسك): نعم! نعم!.. أين رحلت العائلة التي كانت تقيم فيه؟!

(لج) من داخل الكهف: ألم أخبرك بهوايتي عندما كنت صغيرة؟!

(ناسك) وهو يدخل الجحر بتذمر: حسناً سأخلد للنوم الآن!

أقامت (لج) في الكهف الذي نشأت فيه في وادي المرجان ويوماً بعد يوم استعادت عافيتها وتضاعفت قوتها ونما جسمها أكثر لأن (ناسك) أقنعها بتقنين تناولها للنبتات المخدرة للتعامل مع نهمها وشبقها للدم فأصبحت لا تأكل أوراق المخدر إلا نادراً عندما تصل لمرحلة لا يمكنها السيطرة فيها على نفسها. استقرت حياتها في الوادي وعادت لروتينها السابق بين افتراسٍ ونوم وعاد معه الملل والضجر الذي أخرجها من الوادي أول مرةً فقالت يوماً خلال حديثها مع (ناسك) عند فوهة الكهف: هل سأبقى هكذا طيلة حياتي؟

(ناسك) وهو على كتفها: تقصدين آمنة ومرتاحة في حياة هادئة وجميلة؟

(لج): تعرف ما أقصد فلا تراوغ

(ناسك): أعرف أن هناك صراعاً بين طباعك وطبيعتك ينهش داخلك لكن هذا ليس سبباً لتغيير حياتك

(لج): الممل مع الأمان خير من المسلي مع الموت ..

(ناسك): نعم!.. هذا أول كلامٍ حكيم أسمعه منكِ

(لج) وهي تبتسم بحزن: لأنه ليس كلامي

(ناسك): أيّاً كان قائله فهو حكيمٌ جدّاً

(لج) بحزن: أفتقد هذا الحكيم ووجوده في حياتي بالرغم من كل ما قام به لتحطيمها

(ناسك) وهو ينظر للأسفل: لقد رأيت سلطعونة جميلة بالأمس وكنت أفكر بالحديث معها اليوم.. ما رأيك؟

(لج) وهي تنظر للأفق أمامها: تقصد السلطعونة ذات المخالب الصفراء؟

(ناسك): نعم هي.. هل رأيتها اليوم؟

(لج) ببرود: لقد افترستها بالأمس.. آسفة

(ناسك) يشارك (لج) النظر للأفق: لا بأس لم تكن بذلك الجمال على أي حال..

(لج) تلتفت على (ناسك) بسرعة وحماس وكأن فكرة قد أنارت في رأسها فجأة: ما رأيك أن نخرج في جولة؟!

(ناسك): جولة؟

(لج) وحماسها متقد: نعم جولة!.. جولة تفقدية للمناطق حولنا.. رحلة كي نكسر روتين حياتنا!

(ناسك) بتردد: لا أعتقد أنها فكرة جيدة

(لج) تحرك ذيلها وتعوم للأمام: صدقني ستستمتع!

(ناسك) وهو يتشبث في إحدى خصلات شعرها: مفهومك لما يمتعني مشوش..

عامت (لج) مبتعدة عن كهفها في وادي المرجان ومع تقدمها ابتعدت أكثر وأكثر حتى وصلت لحدود البحر الأصفر ووقفت أمام تيارٍ كان يمر من أمامها وقالت وهي مغمضة العينين ومنتشية: هذا التيار ينقل عبق بحرٍ آخر.. رائحة جميلة..

(ناسك): نعم.. عبق البحر الأسود حيث تعيش معظم الغرانيق العفنة

(لج) مستنشقة بعض عبق التيار: أفتقد مداعبة التيارات الباردة والدافئة لذيلي وشعري..

(ناسك): هذيانك هذا لا يعجبني..

(لج): مسار التيار يقود للبحر الأبيض لأنه قادم من البحر الأسود.. أليس كذلك؟

(ناسك) بتجهم: بمَ تفكرين أيتها السايرينا المتغرنقة؟

(لج) وعينها على التيار: لا أفكر بشيء لكن..

(ناسك) بعبوس: لكن ماذا؟.. ألا تعلمين أن (أمفرتيت) تقيم الآن في البحر الأبيض وتحديداً في جبل «الجير»؟!

(لج): أليست تلك مملكة الحور؟

(ناسك): لم يعد هناك مملكة للحور فقط مملكة الغرانيق

(لج) محدقة بالتيار بوجهٍ مبتسم ومتسائل: ما الضرر في إلقاء نظرة؟

(ناسك) بعصبية وهو مصدوم: نظرة على ماذا؟!.. كفي عن التفكير بغباء ولنعد لكهفنا الآمن!

(لج) وهي تمد أذرعها للأمام وتحرك ذيلها مندفعة نحو التيار: نظرة بسيطة فقط..

(ناسك) يتشبث بقوة في شعر (لج) قائلاً: هل جننتِ؟!

اخترقت (لج) غشاء التيار الرقيق وبدأت تسبح خلاله وهي سعيدة

وتصرخ قائلة: أشعر بالحياة!

(ناسك) مغمضاً عينيه ومتشبثاً بكل قوته: وأنا أشعر بالموت يربّتُ على كتفي!

بعد دقائق من سباحة (لج) في التيار رأت سرباً من الأسماك الكبيرة برؤوس مفلطحة وقالت في نفسها: لقد رأيت هذه الأسماك من قبل.. لكن أين؟

(لج) بصوتٍ مسموع لـ(ناسك): نعم تذكرت!.. سفراء الموت الذين تحدث عنهم (مجرود)!

(ناسك) يفتح عينيه ويقول مرتعباً: سفراء الموت؟!.. ابتعدي عن طريقها فهذه القروش لا تعرف سوى لغة الدم

(لج) وهي تعوم مقتربة من إحداها بلا اكتراث: الدم لم يعد يخيفني ويقرفني كالسابق..

(ناسك) بتوتر شديد: سيخيفك عندما يكون الدم المراق دمك!

(لج) وهي تسأل أحد القروش ذوات الرأس المفلطح خلال سيرها في السرب الكبير: إلى أين أنتم ذاهبون؟

(القرش ذو الرأس المفلطح) دون أن يلتفت عليها: للقاء الملكة

(أمفرتيت) فقد استدعتنا من البحر الأسود على عجالة

(لج): لماذا استدعتكم؟

التفت القرش على (لج) ظنّاً منه أنها إحدى الكائنات المفترسة التي يمكنها أن تتجرأ وتتحدث مع قرشٍ سفير لكنه وعندما رأى أنها لم تكن قرشاً أو حوتاً فتح فكه وخرج من خط سير سربه وبدأ يحاول افتراس (لج) و(ناسك) متشبث بها ويصرخ: كنت أعرف أننا سنموت!

لم تعد (لج) تلك الحورية الضعيفة فسرعتها وقوتها كانتا أقوى بكثير من السابق بالإضافة إلى مخالبها وأنيابها الحادة والبارزة وكان من المفترض أن لا يتجرأ أي كائن على مهاجمة كائن آخر بذلك المنظر والحجم لكن «السفراء» يملكون من التهور والغباء ما يدفعهم لمقاتلة أي كائن مهما بلغت قوته معتمدين على أعدادهم الكبيرة وتكالبهم على خصومهم. مزقت (لج) ذلك القرش المتهور في ثوانٍ بمخالبها وما أن انتشرت سحابة دمه بين بقية أفراد سربه حتى غير مجموعة منهم مسارهم وخرجوا عن خط سيرهم وانطلقوا مندفعين نحو (لج) لقتلها.

(ناسك) وهو ممسكٌ بشعر (لج) ويرتجف مراقباً عدداً مهولاً من

السفراء يندفعون نحوهما: هل تشعرين بالحياة الآن؟

(لج) تشد قبضتها وتحدق بالسرب المندفع نحوها بحدة وتقول: تشبث جيداً أيها السلطعون..

انطلقت (لج) بسرعة وشقت السرب وبدأت بتمزيق القروش واحداً تلو الآخر مما جذب انتباه بقية سرب السفراء ليتحركوا جميعاً نحو سحابة الدم الكبيرة التي تشكلت حولها. كان سرب السفراء كبيراً ويقدر عدده بخمسين قرشاَ تقريباً يقوده قرشٌ معمر ضخم اسمه (مطرقة) والذي لم يندفع مع سربه وبقي مع اثنين من حراسه يراقب المشهد ويقول: ما الذي يحدث؟.. من هاجمنا؟

(الحارس الأول): لا أعرف لكنه يبدو قويّاً فسحابة الدم تزداد حجماً

(مطرقة): ألم تعطنا الملكة (أمفرتيت) الأمان لعبور البحر الأبيض؟

(الحارس الثاني): بلى

(مطرقة) بتجهم: من يجرؤ إذاً على مهاجمتنا!

(الحارس الأول) يحرك ذيله متوجهاً للمعركة: سوف أرى ما يحدث

(الحارس الثاني): لنكمل المسير يا سيدي وسيلحق بنا السرب عندما يقتلون من هاجمنا

(مطرقة) محدقاً بسربه وسحابة الدم الكبيرة بقلق: لا أظن أن أحداً من السرب سينجو

(الحارس الثاني): ماذا عن لقائنا بالملكة (أمفرتيت)؟

(مطرقة) يعوم تجاه المعركة: لن يكون هناك لقاء قبل أن نتخلص من هذا المفترس!

في تلك الأثناء وفي جبل «الجير» تحديداً استأذن غرنيقٌ ضخم بالدخول على (أمفرتيت)..

(أمفرتيت) وهي جالسة على عرشها الحجري محاطة بمجموعة من حراسها: ماذا تريد يا (جباس)؟

(جباس) وهو محني الرأس: رسلنا في البحر الأصفر أخبرونا بأن السفراء في طريقهم إلينا

(أمفرتيت): جيد.. حلفنا مع (مغلود) يجب أن لا يهتز وموافقته على إرسال السفراء بادرة مبشرة

(جباس): لكن من المفترض أنهم وصلوا.. لقد تأخروا

(أمفرتيت): بالحكم على طبيعة تلك القروش لست مستغربة من

تأخيرهم.. ربما عبر بجانبهم سربٌ من أسماك الـ(تُّنّ) وقرروا افتراسه

(جباس): أقترح أن نرسل قنديلاً لتفقد الأمر

(أمفرتيت): إذا لم يصلوا نهاية اليوم فقم بذلك

(جباس) وهو يهم بالرحيل: أمرك

استدار (جباس) ليخرج من المكان وتفاجأ بدخول قرشٍ ضخم برأسٍ مفلطح وجسده مملوء بالجروح النازفة وجزءٌ من زعنفة ذيله مقطوع فقال بتجهم: من أنت؟!

(مطرقة): أنا قائد السفراء..

(أمفرتيت) بتعجب: قائد السفراء.. ماذا حل بك؟.. وأين سربك؟

(مطرقة) بثقل وتجهم وبعض الدماء تخرج من فمه: لم يبقَ من سربي أحد.. لقد فشلت خطتك يا (أمفرتيت)!

(أمفرتيت): خطتي؟.. عن ماذا تتحدث أيها القرش الأحمق؟!

(مطرقة): لقد هاجمنا أحد غرانيقك خلال عبورنا البحر الأصفر وكان من الواضح أنه أمر بإبادتنا جميعاً لكنني نجوت.. نجوت لأخبر الملك (مغلود) بخيانتك!

(أمفرتيت): غرنيق؟.. لا يوجد غرنيق يمكنه القيام بذلك يا مغفل!

(مطرقة) يعوم تجاه (أمفرتيت) ببطء: أيّاً كان فهو من أتباعك وفعل فعلته بناءِ على توجيهاتك وأوامرك!

(جباس) يعترض (مطرقة) ويوقف تقدمه نحو الملكة: لا تقترب أكثر..

(مطرقة): أنا عائدٌ للبحر الأسود لإخبار الملك (مغلود) بما حدث وهو من سيقتص لنا!

(أمفرتيت) تمرر سبابتها عبر عنقها ونظرها لـ(جباس) الذي قبض يده الضخمة وأنزلها بقوة على رأس (مطرقة) ليموت مكانه في الحال.

(أمفرتيت): ما الذي يحدث يا (جباس)؟.. هل أعطيت أمراً بمهاجمة سرب السفراء؟

(جباس): بالطبع لا يا جلالة الملكة.. لا أجرؤ على إعطاء أمرٍ كهذا دون الرجوع إليكِ

(أمفرتيت) بغضب: من هاجمهم إذاً؟!

(جباس) يمسك بجثة (مطرقة) من ذيلها ويهم بالخروج قائلاً: سأتحقق من الأمر بنفسي!

في منطقة ما عند مشارف حدود البحر الأبيض وتحديداً بين مجموعة من الصخور في القاع كان (ناسك) يشد شعر (لج) النائمة على بطنها لإيقاظها: كفى نوماً! هيا لنعد لوادي المرجان!

(لج) تستيقظ بارتباك: أين نحن؟

(ناسك): أين نحن؟.. ألا تذكرين ما حدث؟

(لج) تمسك برأسها وتحاول التذكر: كنا نتناول القريدس أليس كذلك؟

(ناسك) بتهكم: لقد كانوا بين يديك كالقريدس لكنهم بالتأكيد لم يكونوا كذلك

(لج): عن ماذا تتحدث؟

(ناسك) بعصبية: عن سرب السفراء الذين مزقتِهم!

(لج): سفراء؟

(ناسك): لم أسمع في حياتي من قبل هذا الكم الهائل من القروش

وهم يصرخون من الألم

(لج) تفرك جبينها بأعين مغمضة: لا أذكر شيئاً مما تقول..

(ناسك): جيد هذا أفضل.. لنعد للوادي

(لج) باستغراب: لمَ خرجنا منه؟

(ناسك): كنا ذاهبين لجمع بعض المرجان الزهري وضللنا الطريق

(لج) بتجهم: لا تكذب علي!

(ناسك) وهو يزفر بعض الفقاقيع: أرجوك لنعد للوادي

(لج) بحماس: لقد تذكرت!.. كنا ذاهبين للبحر الأبيض

(ناسك) بحسرة: أخرجي هذه الفكرة من رأسك

(لج) تحرك ذيلها وتعوم للأعلى: أين التيار

(ناسك) متشبثاً بشعرها: لقد خرجنا منه عندما فقدتِ الوعي

(لج) تتوقف عن السباحة وتقول: فقدت الوعي؟

(ناسك): ألا تذكرين؟.. لقد دخلتِ في حالة من السعار وكنتِ تصرخين كالوحش الكاسر حتى فقدتِ الوعي

(لج): وأنت أين كنت؟

(ناسك): كنت مختبئاً في شعرك خشية أن تريني لأنك كنتِ تقتلين أي شيء أمامك

(لج): ليتني أحضرت بعض أوراق المخدر معي

(ناسك): لو كنتِ قد فعلتِ ذلك لكنا فريسة للسفراء

(لج): أين هم الآن؟

(ناسك): أعتقد أنهم انقرضوا بسببك

(لج) وهي تستأنف العوم: على أي حال سنكمل رحلتنا للبحر الأبيض

(ناسك) بعصبية: أي رحلة؟!.. رحلة الموت هذه لا تبشر بخير!

(لج) وهي تعوم: يمكنك عدم مرافقتي لو أحببت

(ناسك) بتوتر: وأبقى في هذا المكان الموحش وحدي؟

(لج): أخبرني إذاً عن مكان التيار المؤدي للبحر الأبيض واصمت بعدها

(ناسك) بسخرية: ألم تتقني إيجاد التيارات بعد؟

(لج): لم يعلمني أحدٌ بالطريقة من قبل

(ناسك): يمكنني أن أعلمك بالطريقة لكن بشرط

(لج): أن نعود للوادي..

(ناسك): نعم

(لج): حسناً موافقة

(ناسك): أنفك هو مرشدك للتيارات

(لج): كيف؟

(ناسك): كل تيار له رائحة خاصة تختلف عن رائحة البحر المحيطة به ورائحته غالباً ما تكون رائحة البحر الذي أتى منه

(لج): مثل تلك الرائحة الجميلة التي شممتها قبل أن نركب التيار في البحر الأصفر

(ناسك): تقصدين الرائحة العفنة

(لج) وهي تشتم الماء حولها: لا أشم شيئاً الآن

(ناسك): استمري بالعوم حتى تلتقطي رائحة تيار

(لج): البحر واسع.. من أين أبدأ؟

(ناسك): استشعري حرارة الماء.. تغير الحرارة بين البرودة والدفء مؤشر آخر على قربك من تيارٍ ما

(لج): أعتقد أني سمعت هذه المعلومة من قبل

(ناسك) بتهكم: ومن الواضح أنها لم تستقر في رأسك

(لج) وهي تعوم للأمام: شكراً

(ناسك): إلى أين؟!

(لج) وهي مستمرة في العوم: سأبحث عن تيار

(ناسك): لقد وعدتِني بأننا سنعود للوادي بعد أن أخبرك بطريقة إيجاد التيارات!

(لج): أنا لم أعدك ثم إني لم أجد شيئاً بعد..

(ناسك): الكذب صفة لم أعهدها عليكِ

(لج): مارست مؤخراً أشياء كثيرة لم تعهدها علي والكذب ليس أسوأها..

(ناسك): الكذب مؤلم..

(لج) وهي تسبح في ظلام الماء المنار جزئيّاً بحراشفها الفسفورية وتبتسم بحزن: ذكرتني بـ(طيفون)..

(ناسك):.. (طيفون) من؟

(لج): كائن كان يشبه القمر..

(ناسك): وما دخله بحديثنا؟

(لج): القمر كذب علي ورحل..

(ناسك) بقلق: لقد بدأتِ تهذين مرة أخرى.. هل ستصابين بالسعار؟

(لج) وهي تبتسم: لا   لا تقلق

بعد سباحة وجيزة في ظلمات المكان توقفت (لج) فجأة وبدأت تستنشق بأنفها الصغير..

(ناسك): ما بك؟.. هل التقطت رائحة تيار؟

(لج) وهي مغمضة العينين: لا أعرف.. هذا العبق مختلف عن السابق

(ناسك): صفيه لي

(لج) وهي تفتح عينيها: الرائحة تشبه رائحة أحشاء السردين..

(ناسك) رائحة جميلة.. هذا تيار قوي يقود للبحر الأخضر

(لج): البحر الأخضر.. ماذا يوجد هناك؟

(ناسك): لا أعرف.. لم أزره من قبل

(لج) باستغراب: ألم تقل بأن الكائن الذي كنا سنزوره يعيش هناك؟

(ناسك): بلى في الجزء الشمالي منه لكني لم أقابله من قبل

(لج): كيف تعرف مكانه وأنت لم تزره من قبل؟

(ناسك) بتجهم: لمَ يُصر الجميع على الانتقاص من قدرة السلطعونات!

(لج) وهي تستأنف العوم في اتجاه آخر: على أي حال هذا ليس طريقنا

(ناسك): ما الطريق الذي تبحثين عنه إذاً؟

(لج) محدثة نفسها بصوتٍ مسموع لـ(ناسك): سأفقد عقلي إذا لم أتناول المخدر..

(ناسك) بقلق: لنعد للوادي إذاً كي تتناولي القليل منه وتهدئي

(لج): الوادي أصبح مصدراً للحزن بعد ما كان يمنحني الشعور بالأمان.. لن أعود للوادي

(ناسك): لن تعودي؟!.. إلى أين نحن ذاهبون إذاً؟!

(لج) تغمض عينيها وتستنشق الماء وتبتسم: للبحر الأبيض..



حصاد الجنون

دخل الغرنيق الضخم (جباس) على ملكته (أمفرتيت) في مقرها بجبل «الجير» مصطحباً معه مجموعة من أتباعه يتقدمهم قنديلٌ أزرق اللون..

(أمفرتيت) بتجهم: هل توصلت لهوية من هاجم سرب السفراء؟!

(جباس): لقد أحضرت معي أحد القناديل التي شهدت ما حدث كي تسمعي منه بنفسك..

(أمفرتيت) بوجهٍ عابس للقنديل الأزرق: ماذا تنتظر؟!.. تحدث!

(القنديل الأزرق) برهبة وخوف: لقد مزقتهم.. اندفعوا نحوها بأعداد كبيرة لكنها قتلتهم جميعاً..

(أمفرتيت) لـ(جباس) بتجهم: ماذا يقول هذا الكائن الأحمق؟

(جباس) وهو يزيح القنديل الأزرق جانباً بكفه الضخم: يقول بأن كائناً اشتبك مع سرب السفراء وقتلهم جميعاً

(أمفرتيت) باستنكار: كم كان عدد أفراد السرب؟

(جباس): قرابة الخمسمين قرش مع قائدهم (مطرقة)

(أمفرتيت) بتعجب شديد يخالطه بعض التوتر: أي نوعٍ من المخلوقات يمكنه فعل ذلك؟

(جباس): عدد قليل من الكائنات في البحور السبعة يملك القدرة على إحلال مثل هذا الدمار

(أمفرتيت): هل أعلنت أي مملكة مؤخراً الحرب علينا؟

(جباس): لا فعلاقاتنا مستقرة مع أعدائنا وقوية مع حلفائنا

(أمفرتيت): إذاً هناك من يعبث بمملكتي ويريد نشر الذعر بين أفراد شعبي

(جباس): لكن لأي غرض؟

(أمفرتيت): لا تهمني غايته الآن المهم أن نوقفه قبل أن يكرر عدوانه

(جباس): سوف أرسل مجاميع من الجيش للبحث عنه في بقية أرجاء البحر الأبيض والأصفر وسنجده

(أمفرتيت): وماذا ستفعل إذا وجدتموه؟.. هذا المخلوق سيبيد أي مجموعة ترسلها للبحث عنه

(جباس) وهو يحني رأسه: بماذا تأمرين إذاً يا جلالة الملكة؟

(أمفرتيت): حددوا موقعه فقط ولا تشتبكوا معه أبداً وأبلغوني.. وحشٌ كهذا يجب أن أتعامل معه بنفسي

(جباس): أمرك

بعد أن تجاوزت (لج) مع السلطعون (ناسك) الحدود بين البحر الأصفر والأبيض عن طريق أحد التيارات المتوسطة التي ركباها خرج الاثنان من التيار ليجدا أنفسهما في مكانٍ تغطى قاعه بأحجارٍ بيضاء ورمادية كُسي بعضها بنباتات طويلة ملونة. غاصت (لج) مقتربةً من تلك الصخور ووضعت كفها على إحداها ومسحت عليها وهي تقول: لقد زرت هذا المكان من قبل..

(ناسك) وهو يخرج من فروة رأس (لج): متى؟

(لج) وهي سارحة في الصخرة الرمادية: لا أعرف لكني متيقنة أني كنت هنا من قبل..

(ناسك) ينظر حوله ويقول: هل انتهينا الآن؟.. هل يمكننا العودة من حيث أتينا؟

(لج) ترفع رأسها وتنظر أمامها: كنت ألعب هنا عندما كنت صغيرة..

(ناسك) بقلق: لم يعد هذا المكان كما عهدتِه.. هذه مملكة الغرانيق الآن ولا شك أننا سنصادف أحدها لو بقينا مدة أطول

(لج) تمد أذرعها وتعوم ببطء وتتفحص المكان حولها: المكان لم تعد فيه روحٌ كالسابق..

(ناسك): ماذا تتوقعين من مكان تقطنه وحوشٌ بشعة كالغرانيق؟.. هذا ثمن ثقة الملك (عقيق) بـ(أمفرتيت)

(لج) وبعض الدموع تتلألأ في محاجرها: بعض الأثمان أغلى من أن تُدفع..

(ناسك): لنعد يا (لج) لوادي المرجان.. لم يعد لكِ موطن هنا

(لج) بحزن: حسناً..

حركت (لج) ذيلها واستدارت للعودة لكنها تفاجأت بغرنيقٍ ضخم يعترض طريقها بصمت..

(لج) بتجهم: من أنت؟!

حدق الغرنيق الضخم بها دون أن يرد عليها..

(لج) تكشر عن أنيابها بغضب: تنحَّ عن طريقي قبل أن تندم!

خرجت (أمفرتيت) من خلف الغرنيق الضخم وهي تبتسم وتقول: لا تخافي فهو لن يؤذيك..

(لج) بتجهمٍ أقوى: من أنتِ؟!

(أمفرتيت) وهي تعوم تجاه (لج) بهدوء: أنا ملكة البحور السبعة..

(لج) تزمجر بغضب:.. (أمفرتيت)؟!

(أمفرتيت) مبتسمة: نعم يا جميلة.. من أين أتيتِ؟ لم أرَ مخلوقاً بجمالك من قبل؟

(ناسك) يهمس بخوفٍ شديد في أذن (لج): لنخرج من هنا بسرعة قبل أن تفتك بنا!

(أمفرتيت) بتودد: أخبري المخلوق الصغير الذي يهمس في أذنك أني لا أنوي الشر لكما

(لج) بوجهٍ عابس وزمجرة مخيفة: ماذا تريدين منا إذاً؟

(أمفرتيت) تشير بيدها لشيء خلف (لج): سنتحدث لاحقاً يا عزيزتي..

فقدت (لج) وعيها مباشرة وغطت في سباتٍ عميق..

فتحت عينيها بعد فقدانها الوعي لفترة غير معلومة لها وهي مستلقية على صدفة كبيرة في تجويفٍ صخري تغطى سقفه بمجموعة من القناديل المضيئة ولم يكن في المكان سوى مخرجٍ واحد أغلق بحجرٍ كبير. حركت ذيلها وعامت نحو تلك الصخرة وبدأت تدفعها لكنها لم تتزحزح من مكانها وخلال ذلك سمعت (ناسك) يقول لها: لا تحاولي فنحن سجناء هنا..

(لج) تلتفت خلفها قائلة: أين أنت يا (ناسك)؟!

(ناسك) وهو يخرج من خلف الصدفة الكبيرة: هنا..

(لج): ما الذي حدث لي؟

(ناسك): يبدو أن (أمفرتيت) قامت بتخديرك بسم ما.. لقد رأيت الغرنيق الذي تسلل من خلفك ممسكاً برأس ثعبانٍ أصفر

(لج): لِمَ لم تقم بتحذيري؟

(ناسك): لم أره إلا بعد أن قام بلدغك فاختبأت بسرعة في شعرك

لكني أحسست برحلة العودة بالكامل حتى وضعوك هنا بالأمس

(لج): بالأمس؟.. هل غبت عن الوعي كل تلك الفترة؟

(ناسك): نعم.. وأنا مستغربٌ من أن (أمفرتيت) لم تقم بقتلك مباشرة

(لج) وهي تعيد نظرها للصخرة: ربما تريد تعذيبي..

(ناسك): لا.. أعتقد أنها تعرفت عليك

(لج) وهي تنظر لـ(ناسك): تعرفت علي؟.. أنا لم أقابلها في حياتي قط

(ناسك): بعد فقدانك الوعي رأيتها تقترب منكِ وعندما أصبح وجهها قريباً من وجهك قالت «ابنة (لؤلؤان)».

(لج): تذكرت.. أخبرني (مارج) بأنها هي من قام بعلاجي عندما مرضت وأنا صغيرة وهذا سبب وثوق أبي فيها وزواجه منها

(ناسك): نعم لقد أخبرتني بهذا من قبل لكن هذا ليس سبباً كي تبقيك على قيد الحياة الآن خاصة وأنكِ تحملين وسم (عقيق) الملكي وقد تهددين حكمها

(لج): لَمَ تحتفظ بي أسيرة إذاً؟

(ناسك): أعتقد أننا سنعرف قريباً..

بعد ساعة من هذا الحوار بدأت القناديل في السقف بالتحرك كاشفة فتحة صغيرة لا يمكن لـ(لج) العبور منها وسمعت صوتاً يحدثها من تلك الفتحة قائلاً: الملكة (أمفرتيت) تريد مقابلتك..

(لج): من يتحدث معي؟!

نزل من الفتحة قارورة صغيرة وحطت على الأرض تبعها حديث ذلك الصوت مرة أخرى وهو يقول: إذا وافقتِ على مقابلتها فتناولي محتوى هذه القارورة..

(لج): وإذا لم أرغب في ذلك؟

(الصوت من الأعلى): ستبقين هنا مدى حياتك..

(لج) تصرخ في الصوت الذي حدثها: ماذا تريد مني (أمفرتيت)؟!

لم يرد الصوت على (لج) التي التقطت القارورة الصغيرة وقلبتها بين أصابعها وتفحصتها بنظرها وهي تقول: لَمَ تريد مني شرب هذا الخليط؟

(ناسك): أعتقد أنه مخدرٌ ما..

(لج) وهي توجه نظرها لـ(ناسك): ولَم تريد تخديري؟

(ناسك): لتأمن شرك

(لج): شري؟.. أنا لست شريرة

(ناسك): أنتِ لا تدركين قوتك حتى الآن.. لو سمحوا لكِ بالخروج من هنا وأنت بكامل قوتك يمكنك إلحاق ضررٍ كبير بهم وقد تقتلين (أمفرتيت) نفسها

(لج): لَم أبقتني على قيد الحياة إذاً؟

(ناسك): من الواضح أنها تريد تجنيدك لخدمتها والاستفادة منك ومن قوتك

(لج) بتجهم: هذا لن يحدث أبداً!

(ناسك): لَم لا؟.. أنتِ لم تأتي للبحر الأبيض إلا لأنكِ شعرتِ بشيء يناديك لهذا المكان.. أنت منذ نعومة أظافرك تبحثين عن الانتماء.. تبحثين عن سربٍ يحتويك وقد وجدتِ في مملكة الغرانيق ذلك الاحتواء فأنت الآن مثلهم ويمكنك الاندماج معهم فلم لا؟

(لج): لكن..

(ناسك): لا تقولي بأنك تريدين الخير لكائنات البحر فهذه قصة لم أهضمها منذ البداية.. في قرارة نفسك أنت تريدين أن تكوني أحد أفراد شعب مملكة الغرانيق وأعتقد أن ملوك الجن كانوا يعرفون ذلك أيضاً لذا فالخليط الذي زودوك بعناصره كان سيحولك لشيء كـ(أمفرتيت) وربما أسوأ.. الخير لا ينتصر على الشر دائماً..

(لج): هل تريد مني أن أصبح كائناً شريراً كي أحقق رغبتي في الانتماء؟

(ناسك): أنت لم تكوني كائناً خيراً قط.. الشر بُذر فيك منذ الصغر وكان لا بد أن ينمو ويظهر يوماً ما وكل ما مررت به هو مجرد رحلة لاكتشاف ذاتك وحقيقتك..

(لج): وما تلك الحقيقة؟

(ناسك): أنكِ كائن مفترس بلا رحمة في قلبه وكل معاناة مررت بها في حياتك تحدث عندما تحاولين إنكار تلك الحقيقة.. تقبلي حقيقتك وعومي مع سربك.. سرب الغرانيق..

صمتت (لج) وهي تحدق بوجهٍ حزين بالقارورة الصغيرة..

(ناسك): ما بك؟.. هل كلامي عن حقيقتك أحزنك؟

(لج): كنت سأحزن لو كنت أهتم..

(ناسك): ماذا إذاً؟

(لج) لم أعلم أن كائناً صغيراً مثلك يمكنه قراءتي أفضل مني.. لو كنت سأحزن على شيء فسأحزن على سذاجتي في الماضي..

(ناسك) مبتسماً: لِمَ يُصر الجميع على الانتقاص من قدرة السلطعونات!

(لج): للتو أدركت أني وحيدة وسبب تلك الوحدة هي أني حاولت أن أكون شيئاً مغايراً لطبيعتي.. كنت أظن أن أفكاري ورغباتي المكبوتة جنون لكنها ببساطة كانت أنا..

(ناسك): لا أصعب من ممارسة الجنون إلا كبته.. الحل بين يديك والقرار يعود لكِ يا ابنة (عقيق)

(لج): سأخسر الكثير لو مارست الجنون الذي يضج في عقلي

(ناسك): المجنون السعيد خيرٌ من العاقل التعيس..

(لج) وهي تشرب محتوى القارورة: لن أنكر حقيقتي بعد اليوم إذاً.. شعب الحور انقرض ويجب أن أختفي معه..

شعرت (لج) بدوخة بعد احتسائها ما كان في القارورة الصغيرة لكنها لم تفقد الوعي. سار (ناسك) وتسلق ذيلها حتى وصل عند أذنها وقال: سأكون معكِ لا تقلقي..

بدأت الصخرة التي كانت تسد المخرج بالتحرك فالتفتت (لج) بأعين زائغة لترى الغرنيق (جباس) يشير لها بالخروج معه. تبعته طواعية وسارت خلفه حتى دخلوا مكاناً واسعاً استقرت فيه (أمفرتيت) على عرشها الحجري وحولها مجموعة من الحيتان والقروش بالإضافة لمجموعة من حراسها من الغرانيق.

(أمفرتيت) مبتسمة: كيف تشعرين يا سمو الأميرة؟

(لج) وهي في حالة من الدوخان: بخير يا جلالة الملكة..

(أمفرتيت) وهي تضحك وتنظر لحراسها: هل تلومونني في حب هذه الجميلة؟!

(لج) بأعين ناعسة وفمٍ مفتوح: أنا أعرف ماذا تريدين مني

(أمفرتيت) تبتسم وتسند خدها لقبضتها: وماذا أريد منكِ؟

(لج) بخدر: تريدين مني أن أنضم لجيشك وأن أكون أحد أتباعك.. أنا موافقة

(أمفرتيت): وماذا عن الحكم؟

(لج): أي حكم؟

(أمفرتيت): حكم البحور السبعة.. عرش أبيك (عقيق).. ألا ترغبين في استعادته؟

(لج): لا رغبة لي في حكم أي شيء..

(أمفرتيت) أنت ما زلتِ أميرة من نسل (عقيق) بغض النظر عن تحولك.. وهذا الوسم يهدد حكمي طال الزمن أو قصر فكيف أتيقن أنكِ لا ترغبين بالحكم أو ستتملكك رغبة فيه مستقبلاً؟

(لج) تبسط كفها الأيمن وتبرز مخالبها: سأثبت لكِ الآن..

(جباس) في حالة من التأهب: لا تقومي بأي حماقة فالمخدر الذي احتسيته لن يمكنك من مقاومتنا جميعاً

ابتسمت (لج) وهي ترمق (جباس) بنظرة ثم مررت مخالبها على جبينها محدثة جروحاً عميقة أخفت معالم الوسم الملكي بالكامل وقالت: لم أعد أميرة أو وريثة لشيء..

وقف الجميع يراقبون جبين (لج) النازف وهم مصدومون مما فعلت ما عدا (أمفرتيت) التي حركت ذيلها الضخم وعامت نحوها وعند

استقرارها أمامها وضعت يديها على أكتاف (لج) وقامت بلعق جبينها بلسانها ثم قالت: مرحباً بكِ بيننا يا (لج).. أنت الآن من الغرانيق وجزءٌ من سربنا العظيم..

(لج) تبتسم وتدمع وتحني رأسها: شكراً يا جلالة الملكة..

(أمفرتيت) تمسك ذقن (لج) بإبهامها وسبابتها وترفع رأسها محدقة بأعينها الزرقاء: ناديني بأمي..

(جباس): ماذا عن (مغلود) يا مولاتي؟

(أمفرتيت) وهي لا تزال ممسكة بأكتاف (لج) محدقة برأسها المحني: ماذا عنه؟

(جباس): لقد بلغه ما حدث لسرب السفراء ويطالبنا بمساعدته في البحث عن الفاعل والاقتصاص منه

(أمفرتيت) تحتضن (لج) وتقول: لن يتعرض أحدٌ لابنتي ومن يفكر بذلك سيرى سخطي..



هامورٌ ضخم يعوم بصحبة أربعة حيتان زرقاء في البحر الأخضر الشمالي..

يرون سلسلة من الجبال في الأفق..

(حوت أزرق) محدثاً الهامور الضخم: لقد وصلنا يا سيد (مجرود)..

(مجرود) وهو يخرج بعض الفقاقيع من فمه: حسناً فليتقدم أحدكم ليعلن وصولي ويطلب إذناً لمقابلة الحاكم

حرك أحد الحيتان الزرقاء ذيله الضخم وعام تجاه سلسلة الجبال وبقي الآخرون مكانهم في انتظاره..

عاد الحوت الأزرق بعد غياب وحنى رأسه الضخم أمام (مجرود) قائلاً: الملك (سايدن) سمح لنا بمقابلته..

(مجرود) بسخرية: ملك؟ من نصبه ملكاً؟.. على أي حال لنرَ هذا الملك وماذا يريد

سار (مجرود) مع حيتانه الأربعة ومع اقترابهم من سلسلة الجبال بدؤوا يرون الكثير من الحور يعومون في المنطقة فقال (مجرود) وهو يراقب ذلك المنظر: إذاً فما سمعناه حقيقة.. هناك شعبٌ للحور خارج البحر الأبيض

عند وصولهم لمدخل أحد الجبال الضخمة خرج في استقبالهم مجموعة من الحور الذكور والإناث ممسكون في أيديهم عظاماً برؤوسٍ مدببة ومشحوذة فقال (مجرود): ما هذا الذي تحملونه في أيديكم؟

(حوري بشعرٍ أسود قصير): مخالبنا..

(مجرود) بتهكم واستنكار: مخالبكم؟.. منذ متى والحور يملكون مخالب؟.. أليست هذه عظام حيتان

أشار الحوري باسماً لـ(مجرود) ومن كانوا معه بالدخول فحرك ذيله ومن خلفه حراسه وعام متجاوزاً الحور وهو ينظر إليهم باستغراب. بعد سباحة طويلة في عمق ذلك الجبل وصلت المجموعة لنفقٍ لا يمكن للحيتان الزرقاء تجاوزه فقال أحد الحور لـ(مجرود): الملك (سايدن) ينتظرك بالداخل..

(مجرود): أنا لا أذهب لأي مكان دون حراسة

(الحوري): أنت بأمان هنا ولا تحتاج حراسة

(مجرود): أنتم تدركون أنا رسول من؟

(الحوري) مبتسماً: نعم نعرف.. الملكة (أوركا) ملكة الحيتان ورسولها سيعامل كما لو أن الملكة بنفسها هي من حضر

(مجرود) محركاً ذيله ومتوجهاً نحو الفتحة: أطعموا حراسي إذاً..

دخل (مجرود) من خلال الفتحة ورأى في آخر نفقها القصير نوراً سار باتجاهه حتى خرج لمكانٍ متواضع مثل أي تجويف صخري وشاهد حوريّاً بذيلٍ وشعرٍ أزرق يجلس على قطعة من المرجان المتحجر فقال له: أنا..

(الحوري ذو الشعر الأزرق): أعرف.. (مجرود) وزير الملكة (أوركا).. أهلاً بك في «مملكة الحور»

(مجرود): أنت (سايدن) على ما أظن

(سايدن): أفضل أن تناديني بالملك (سايدن)

(مجرود): ليس كل من لقب نفسه ملكاً يصبح كذلك

(سايدن) مبتسماً: ومتى يكون الملك ملكاً؟

(مجرود): سؤالٌ وجيه سوف نتجاوزه الآن.. لقد أرسلت في طلب لقاء الملكة (أوركا) وهذا الطلب بحد ذاته وقاحة غير مغتفرة وقد أثار غضبها بشدة لكني أقنعتها بإرسالي لمقابلتك خاصة وأن رسولك طلب منها مبايعتك كملك للبحور السبعة وبعكسها لم أظن أنك مجنون كي تجرؤ على مثل هذا الطلب دون أسبابٍ وجيهة

(سايدن): معك حق.. أرى أن الملكة (أوركا) تجيد اختيار مستشاريها

(مجرود): مؤهلاتي أكبر من ذلك بكثير ولو أطلت البقاء هنا في هذا المكان الضيق فقد تراها بعينك وتسمعها بأذنك

(سايدن) وهو يرفع غرته التي كانت تغطي جبينه: هل تعرف معنى هذا الوسم؟

عندما رأى (مجرود) الوسم الملكي على جبين (سايدن) تذكر صديقته السابقة (لج) وقال: نعم رأيته من قبل.. هذا الوسم الملكي لنسل الملك (عقيق)

(سايدن) منزلاً كفه عن جبينه: هل تحتاج إثباتاً آخر لحقي في حكم البحور السبعة؟

(مجرود): وماذا تريد من مملكة الحيتان؟.. وسمك هذا دون قوة

تقف خلفه لا يعني شيئاً.. (أمفرتيت) هي ملكة البحور السبعة الآن وبالقوة ولا نستطيع مساعدتك

(سايدن) بهدوء: الغرنيقة (أمفرتيت) اغتصبت الحكم من أبي.. والحق معي

(مجرود): هل تظن أن الملك (عقيق) أخذ الحكم بالتراضي؟

(سايدن): ماذا تقصد؟

(مجرود): ألم تسأل نفسك يوماً من كان يحكم قبل أبيك؟

(سايدن) مبتسماً: أخبرني أنت أيها المستشار

(مجرود): يكفيك أن تعرف أن الملك (عقيق) في سعيه لحكم البحور السبعة أراق دماءً أكثر بكثير من (أمفرتيت) واغتصب الحكم كغيره ممن سبقوه

(سايدن): ماذا تريد أن تقول؟

(مجرود): إن العروش لا تؤخذ بالأنساب والأوسمة فقط بل بالدم والكثير منه..

(سايدن): وضعت هذا في الاعتبار ولا أريد من مملكة الحيتان سوى الدعم عندما أنتزع مملكة أبي من مخالب (أمفرتيت)

(مجرود): الحور ليسوا شعوباً مقاتلة مثل الغرانيق..

(سايدن): نحن مختلفون عن شعب الحور الذي كان يقطن البحر الأبيض..

(مجرود): إذا كنت تقصد تلك العظام المدببة فهي ليست كافية أمام مخالب وأنياب الغرانيق المتوحشة

(سايدن) بهدوء: إذا حصلت على دعم الممالك الأخرى فسوف أنتصر

(مجرود): هل حصلت على دعمٍ من ممالكَ أخرى؟

(سايدن): لا أستطيع الإفصاح عن ذلك

(مجرود) وهو يخرج بعض الفقاعات من فمه: لا تتذاكَ علي يا سمو الأمير.. إذا كنت تريد دعم مملكة الحيتان يجب أن تفصح عن خططك

(سايدن): حصلت على دعم «مملكة النور» وأرسلت رسولاً لـ«مملكة الأخابيط» لطلب الدعم والمبايعة

(مجرود) وهو يضحك: «مملكة النور»؟!.. هل تقصد تلك القناديل الضعيفة في البحر المظلم؟!

(سايدن): تلك القناديل الضعيفة كما تسميها تملك علماً يقلب الموازين وقد بايعوني ووعدوا بدعمي في أي تحرك أقوم به ضد مملكة الغرانيق

(مجرود): مع فائق احترامي أيها الأمير الصغير هل رأيت «مملكة مغلود» من قبل؟

(سايدن): «مملكة القروش» معروفة لكن لم أزرها قط

(مجرود): لا أحد يسميها «مملكة القروش» خوفاً من بطش (مغلود) فهو قد أعاد تسميتها لتكون باسمه وهذه هي القوة التي حدثتك عنها.. القوة التي تأتي بالحكم وتحافظ عليه

(سايدن): هل أفهم من ذلك أن مملكة الحيتان ترفض مبايعتي؟

(مجرود): لا أستطيع الحديث بالنيابة عن الملكة (أوركا) فالقرار في النهاية يعود لها وهي الآن مرتبطة بعهدٍ مع الملكة (أمفرتيت) ومبايعتك ستنقض ذلك العهد وتعرضنا لعداء معلن مع الغرانيق وحلفائهم وعلى رأسهم (مغلود) وجيش القروش ونحن في «مملكة الحيتان» في غنى عن ذلك بلا شك

(سايدن): أنا لا أطلب مبايعة معلنة.. فقط كلمة شرف بمساندتي

عندما أقتل (أمفرتيت) وأعتلي العرش في جبل «الجير»

(مجرود): لو كنت أيها الأمير الصغير تعرف أصول السياسة لعلمت أن هذا سيحدث تلقائيّاً إذا تمكنت من قتل (أمفرتيت)

(سايدن): أحتاج كلمة بذلك..

(مجرود): سأنقل حوارنا للملكة وسيصلك الجواب مع رسولٍ منا خلال أيام

(سايدن) مبتسماً: ممتن لك يا سيد (مجرود)

(مجرود): لدي سؤالان قبل أن أرحل

(سايدن): تفضل

(مجرود): هل لديك أختٌ من أبيك (عقيق)؟

(سايدن): لا.. أمي قبل موتها أخبرتني بأني الولد الوحيد للملك (عقيق).. لمَ تسأل؟

(مجرود): لا شيء.. مجرد سؤال

(سايدن): وسؤالك الآخر؟

(مجرود): هل لديكم بعض سمك (الشعور)؟

(سايدن) مبتسماً: بالطبع أيها المستشار.. سوف أوجه أتباعي بتضييفك أنت ومن معك بكمية كبيرة منها

(مجرود): لا تهتم لأتباعي كثيراً فهم ليسوا جياعاً مثلي

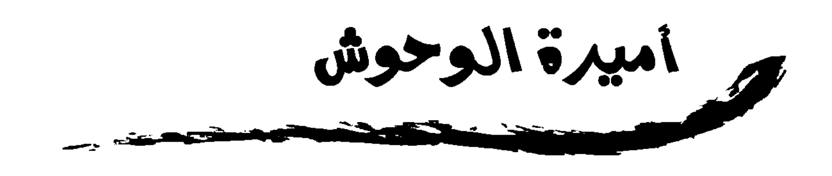
(سايدن) مبتسماً: حسناً أيها المستشار

لم يمضِ (مجرود) وحراسه وقتاً طويلاً في «مملكة الحور» الجديدة ورحلوا في اليوم نفسه وكان (سايدن) بنفسه في توديعهم وخلال مراقبته لهم وهم راحلون دنا أحد الحور منه بحذر وخوف وقال: بمَ تأمر يا سيدي؟

(سايدن): أرسلوا خلفهم مجموعة من محاربينا واقتلوهم جميعاً وتحققوا من عدم وصول ذلك الهامور لملكته

(الحوري) حانياً رأسه: حاضر

(سايدن) محدثاً نفسه وهو يحدق بالأفق بوجهٍ صارم: أنا خصم نفسي وخصيمها والغلبة ستكون لنا..



أميرة الوحوش

على عرشٍ جميلٍ صُنع من الأصداف واللآلئ اللماعة جلست (لج) وهي تمد يدها لغرنيقٍ نحيل جلس عند أقدامها ممسكاً بأحد مخالبها ويقوم ببرده بحجرٍ خشن وهو يقول: أناملك جميلة يا سيدتي لكنها تحتاج لعناية..

(لج) بتذمر: ألم تنتهِ مما تقوم به يا (غَرنُوق)؟

(غَرنُوق) يمسك بمخلبٍ آخر ويبدأ ببرده قائلاً: لم يتبقَّ سوى معجون الطحالب وننتهي اليوم

(لج): لو لم تصر أمي على هذه الطقوس اليومية لما قمت بها أبداً

(غَرنُوق) وهو مستمر في برد مخلب (لج): الملكة تريد أن تكوني في أبهى صورك دائماً

(ناسك) وهو يخرج من فروة رأس (لج): الإقامة في رأسك أصبحت أكثر انتعاشاً منذ أن أصرت الملكة على غسله بخليط العنبر

(لج) بتجهم: ماذا تقصد أيها القشري؟!

(غَرنُوق) يضع يد (لج) جانباً برفق متأملاً مخالبها اللامعة: انتهينا

(لج) تهم بالنهوض: أخيراً

(غَرنُوق) يضع يده على صدر (لج) ويجلسها بهدوء: ليس بعد الأميرة.. بقي خليط الطحالب

(لج) متأففة: لقد سئمت الجلوس!

(غَرنُوق) وهو يعجن بيده خليطاً من الطحالب وقشور القريدس الأحمر في صدفة مجوفة: الجمال يحتاج عملاً يا سمو الأميرة..

(ناسك) وهو يراقب (غَرنُوق) خلال خلطه للمعجون: صحيح

(لج) بعصبية: تتحدثان وكأني كنت قبيحة في السابق!

(ناسك): القبح أمر نسبي..

(لج) بغضب: ماذا تقصد؟

(غَرنُوق) وهو يضع كمية من معجون الطحالب على وجه (لج) ويبدأ بفركه: لا عليك من كلامه يا سمو الأميرة.. أنتِ أجمل غرنيقة رأيتها في حياتي

(ناسك) يضحك و(لج) تتجهم..

(غَرنُوق) وهو يفرك المعجون على جبين (لج): وجهك كالقمر المضيء لولا هذه الندبة البشعة

(لج) بتجهم: من فنون الكلام معرفة متى تصمت.. اعمل بصمت كي لا أهديك ندبة مثلها على وجهك

(غَرنُوق) وهو يضحك ويشوح بيده الملوثة بخليط الطحالب: أحب مزاحك الأميرة!

(ناسك): هذا الغرنيق يعيش في عالمٍ مختلف داخل رأسه

(لج) خلال فرد (غَرنُوق) للمعجون على وجهها: كيف تجعل هذا المعجون يمسك بوجهي هكذا؟

(غَرنُوق) وهو مستمر في عمله: السر يكمن في قشور القريدس الأميرة

(لج): ألم تنتهِ حتى الآن؟

(غَرنُوق) يمسح المعجون من على وجه (لج) ويقول مبتسماً: كيف تشعرين الآن؟

(لج) ببرود: بالجوع؟

(غَرنُوق) وهو يلتقط أدواته ويهم بالرحيل: أراكِ غداً الأميرة

(ناسك) يراقب الغرنيق النحيل وهو يعوم خارج المكان: ألم تلاحظي أن هذا الغرنيق يعوم بطريقة غريبة..؟

(لج) تحرك ذيلها وتعوم نحو فتحة الخروج: أخيراً أستطيع الخروج

(ناسك) متشبثاً بشعر (لج): إلى أين؟

(لج): أريد الحديث مع أمي

(ناسك) تاركاً شعر (لج): أنا سأبقى هنا بانتظارك فـ(أمفرتيت) ليست أول شيء أريد رؤيته هذا الصباح..

دخلت (لج) عوماً لمهجع (أمفرتيت) وعند رؤيتها قالت لها وهي مبتهجة: وجهك منيرٌ كالقمر يا جميلة..

(لج) بوجهٍ مكتئب: الفضل يعود لذلك الغرنيق النحيل

(أمفرتيت) وهي تضحك: (غَرنُوق) صاحب لمسة سحرية

(لج) تمسح على الندبة في جبينها: سحره لم يعالج ندبتي

(أمفرتيت) تعوم نحو (لج) وتقبل ندبتها وتقول: ندبتك هذه أجمل شيء فيك..

(لج) مبتسمة: ما نحن يا أمي؟

(أمفرتيت): ماذا تقصدين؟

(لج):.. حور.. غرانيق.. سايرينات.. ماذا؟

(أمفرتيت): نحن أجمل وأعظم من كل ما ذكرتِ..

(لج): نحن مجرد مسوخ قبيحة.. أليس كذلك؟

(أمفرتيت): أخبرني صديقٌ قديم فقدته منذ زمن بعيد بأن من يرى القبح في كل شيء فهو لا يرى سوى نفسه..

(لج): فعلاً أنا قبيحة ولا أنكر ذلك

(أمفرتيت) وهي تضم وجه (لج) بكفيها وتحدق بأعينها وتقول بصرامة: لم يكن يتحدث عن قبح الشكل كما كنت أظن.. ذلك الثعبان البشع كان أجمل شيء رأيته في حياتي لكني لم أرَ جماله إلا عندما فقدته..

(لج) تحدق بـ(أمفرتيت) بصمت..

(أمفرتيت) وهي مستمرة بالتحديق بأعين لج:

لا يظهر جمالنا إلا عندما نكون أنفسنا ونسلخ قشور التصنع والمجاملة..

(لج) وخداها مضغوطان بين كفي (أمفرتيت): هل هذا ما قمتِ به؟

(أمفرتيت): وما ستقومين به أنتِ أيضاً..

(لج) تبتسم وتقول: حاضر يا أمي

(أمفرتيت): هل تناولت مخدرك اليوم؟

(لج): نعم

(أمفرتيت) تبتسم وتصفع خد (لج) بحنان وتقول: لقد أعددت لكِ مفاجأة

(لج): ما هي؟

(أمفرتيت) تعوم لصدفتها الكبيرة وتستلقي عليها: لقد نزفتِ من سرتك بالأمس أليس كذلك؟

(لج): بلى

(أمفرتيت): هذا يعني أنكِ راشدة الآن ويجب أن نحتفل بذلك

(لج): لا يوجد شيء يستحق الاحتفال

(أمفرتيت) مبتسمة: أنا من سيحدد ذلك لكن خلال استعدادنا للحفل يجب أن لا تكوني هنا

(لج): أين سأذهب إذاً؟

(أمفرتيت): هناك مفاجأة بانتظارك بالخارج عند مدخل الجبل مع (جباس).. اذهبي فهو بانتظارك

(لج): ألن تأتي معي يا أمي؟

(أمفرتيت): لا سوف أبقى لأشرف على الاستعداد للاحتفال ببلوغك فالأمر سيستغرق وقتاً

(لج) وهي تهم بالخروج عوماً: حسناً

(أمفرتيت): اطلبي من أحد الحراس أن ينادي على (غَرنُوق) ليأتي لبرد مخالبي

(لج) وهي تخرج مبتسمة: حاضر

خرجت (لج) من جبل «الجير» لترى (جباس) ومجموعة من الغرنيق الضخمة في انتظارها..

(جباس) حانياً رأسه: هل أنت جاهزة الأميرة؟

(لج): جاهزة لماذا؟

(جباس). لرحلة صيدك الأول

(لج): صيد؟.. ماذا سنصطاد؟

(جباس): الد.رافيل.. هذه عادة مشهورة عند شعبنا والمملكة (أمفرتيت) تريد منكِ تجربتها

(لج): وماذا سنفعل بها بعد اصطيادها؟

(جباس) مبتسماً: لحوم الدرافيل هي الأكثر لذة والغرانيق يحبونها

(لج): لم أجرب لحم الدرفيل من قبل

(جباس): ستحبينه يا سمو الأميرة أنا متيقن من ذلك

(لج) تحرك ذيلها وتعوم بين الغرانيق الضخمة: ماذا ننتظر إذاً؟

عامت (لج) بين مجموعة الغرانيق الكبيرة التي اختارتها (أمفرتيت)

لمصاحبتها في رحلة صيدها الأولى وكان (جباس) يعوم بشكلٍ لصيق لها ويلاحقها في كل حركة تقوم بها وبعد ابتعادهم عن جبل «الجير» قالت له: هل ستلاحقني في كل مكان يا (جباس)؟

(جباس): واجبي أن أحميك من أي خطرٍ يمكن أن تتعرضي له يا سمو الأميرة

(لج): هل تظن أني لست قادرة على الدفاع عن نفسي؟

(جباس): البحر مليء بالمفاجآت وإذا كان هناك أي مفاجأة يجب أن تصيبني قبلك

(لج): نحن نحكم البحر بأكمله فهل تظن أن أحداً يمكنه أن يتعرض لنا؟

(جباس): البقاء يتطلب حذراً دائماً..

(لج): ما سر ولائك لأمي؟.. هل تخشاها؟

(جباس): الغرانيق تحترم القوة والملكة (أمفرتيت) هي الأقوى..

(لج): وهل أنت لصيقٌ بي لأنك تحترمني أم تخشاني؟

(جباس): أحترمك لأني أخشاك وأخشى سخط الملكة لو حدث لكِ مكروه

(لج): وإذا رغبت في وقتٍ خاص بي وحدي؟

(جباس): يمكنني أن أتنحى وأجعل المسافة بيننا أبعد يا سمو الأميرة لو رغبتِ

(لج): يستحسن أن تفعل ذلك

تراجع (جباس) للخلف وعام مع الغرانيق الأخرى التي أحاطت بـ(لج) من كل اتجاه وبعد ساعة من العوم وجه (جباس) المجموعة بالتوقف ثم اقترب من (لج) وحنى رأسه قائلاً: سوف نستخدم تياراً قويّاً لينقلنا للبحر الأزرق يا سمو الأميرة

(لج): لمَ البحر الأزرق بالذات؟

(جباس): أسراب الدرافيل تهاجر هذا العام من كل البحور للتزاوج في البحر الأزرق وسنجدها بوفرة هناك

(لج): هل ستقتلونها وهي في موسم تزاوجها؟ أليس ذلك مخالفاً لقوانين البحر؟

(جباس): هذه كانت قوانين الملك (عقيق) وقد غيرتها الملكة (أمفرتيت)

(لج): وما هو القانون الجديد؟

(جباس): يحق لأي مفترسٍ أن يفترس ما يشاء من الكائنات المتوسطة في أي وقت بشرط أن تكون مملكته ضمن الممالكِ الموالية لمملكة الغرانيق

صمتت (لج) وبدأت تجول بنظرها في وجوه الغرانيق المصاحبة لها وهي تمعن النظر في أنيابها ومخالبها البارزة والمتعطشة للدم ثم قالت: ماذا ننتظر إذاً؟

(جباس): ننتظر إذنك بالتقدم

رفعت (لج) يدها وأشارت للتيار القوي المؤدي للبحر الأزرق فتحركت الغرانيق الضخمة واحداً تلو الآخر ودخلت التيار ولم يبقَ منهم سوى (جباس) الذي قال: ألن تدخلي التيار يا سمو الأميرة؟

(لج): سأسير في آخر السرب.. اذهب أنت..

(جباس) وهو يعوم نحو التيار: أمرك

(لج) محدثة نفسها قبل أن تدخل التيار: ترى هل ما زلت على قيد الحياة يا صديقي..

اندفعت بعدها ودخلت التيار القوي المؤدي للبحر الأزرق..

وصلت (لج) مع سربها من الغرانيق لنهاية التيار وبعد خروجهم منه بدؤوا بالصعود للأعلى والعوم بسرعة بالقرب من السطح وكان الوقت نهاراً.

(لج) وهي تسبح بجانب (جباس): إلى أين نحن ذاهبون؟

(جباس) يشير أمامه بصمت..

نظرت (لج) حيث كان الغرنيق الضخم يشير ورأت سرباً كبيراً جدّاً من الدرافيل بأحجام وألوانٍ مختلفة تسبح وتقفز عند السطح مع صغارها.

(لج) وهي خلف غرانيقها الضخمة: هل من نصيحة يا (جباس) قبل أن نبدأ بصيدها؟

(جباس) مبتسماً: الصغار هي الألذ طعماً..

انقضت (لج) مع غرانيقها على سرب الدرافيل الضخم وبدؤوا بافتراسها بلا رحمة ولأن شهية الغرانيق كانت مفتوحة لم تكتفِ

بالقليل منها بل استمرت في قتل وافتراس كميات كبيرة من الدرافيل وصغارها. خلال تلك المجزرة أحست (لج) بألمٍ لاسع على رأسها فتوقفت عن السباحة وحاولت معرفة سبب ذَلك الألم المفاجئ فرأت خلفها مجموعة من الحور ممسكين بأيديهم حراباً بيضاء مدببة وحولهم مجموعة من القناديل الضخمة. في تلك اللحظة وقبل أن تقول (لج) شيئاً أمسك (جباس) معصم يدها بقوة وسحبها من أمامهم بسرعة بينما هجم بقية الغرانيق عليهم.

(لج) و(جباس) يسبح بسرعة ويسحبها بعيداً عن المكان: ما الذي يحدث يا (جباس)؟!

(جباس) وهو يسبح بسرعة عالية بوجهٍ متوتر وبنظر منصب على الطريق أمامه: لا أعرف الأميرة لكننا فيما يبدو نتعرض لهجوم!

(لج) وهي تنظر خلفها وتشاهد سحابة من الدماء من بعيد: هجوم مِن مَن؟!

(جباس) وهو يغوص للقاع: همي الآن حمايتك فقط؟!

(لج): إلى أين أنت ذاهب؟!

(جباس): إلى أقرب تيارٍ قوي يخرجنا من هنا!

شق (جباس) أحد التيارات القوية ساحباً (لج) معه وخلال عبورهما خلال التيار والذي كان يضج بصوت الماء المندفع بقوة قالت الأميرة المفزوعة: ما الذي حدث يا (جباس)؟! من هاجمنا؟!

(جباس) بصوتٍ مرتفع لتجاوز ضجيج التيار: فيما يبدو أنهم حور!

(لج) بتعجب: حور؟!.. هل ما زال هناك حور في البحر؟!

(جباس): يبدو أننا لم نبدهم جميعاً!

خرج الاثنان من التيار القوي بعد دقائق من السباحة السريعة فيه لمكانٍ مجهول. كان ذلك المكان مخيفاً والحياة شبه معدومة فيه فلا كائناتٍ ولا نباتات موجودة في الجوار والتيار ألقى بهما في القاع ونور السطح كان بعيداً جدّاً.

(لج) وحراشفها تضيء: أين نحن يا (جباس)؟

(جباس) وذيله وصدره يضيئان: أعتقد أننا في البحر المظلم

(لج): لنعد للبحر الأبيض بسرعة إذاً

(جباس): لا يوجد تيارات قوية تقود للبحر الأبيض من هنا.. يجب أن نعوم حتى نصل للبحر الأصفر ومن هناك نستطيع العودة للبحر الأبيض بأي تيار متوسط

(لج): هل المسافة بعيدة؟

(جباس): لا تقلقي الأميرة سوف أحميك من أي خطر

(لج): أنا لست قلقة من الخطر لكن أخشى الملل خلال الطريق

(جباس): الطريق لن يكون طويلاً لهذا الحد الأميرة

(لج) وهي تمسح على رأسها: لقد أصابوني بشيء مؤلم

(جباس) بقلق: هل إصابتك بليغة؟

(لج) وهي تتحسس بأطراف أناملها قمة رأسها: لا أعتقد

(جباس): هل تأذنين لي برؤية الإصابة؟

(لج) تمد رأسها: تفضل

أمعن (جباس) النظر في مكان إصابة (لج) وقال: لدغة قنديل..

(لج): هل هي خطرة؟

(جباس): لو أصابت هذه اللدغة أي كائن متوسط لمات على الفور لكنكِ ستكونين بخير

(لج): لم أرَ قناديلَ بتلك الضخامة من قبل

(جباس): تلك القناديل تعيش في أقصى جنوب البحر المظلم في «مملكة النور» وظهورها في البحر الأزرق أمر غريب

(لج): وما الغرابة في الأمر؟

(جباس): شعب «مملكة النور» مسالم ولا يتجاوز حدوده في البحر المظلم

(لج): يبدو أنهم غيروا من نهجهم فعداؤهم كان جليّاً في هجومهم علينا

(جباس): الكلام ينطبق على الحور المرافقين لهم أيضاً

(لج): لم أعهد تلك الوحشية على شعب الحور

(جباس): وهذا أمر آخر مثير للريبة.. الحور ليسوا عدائيين بهذا الشكل.. يجب أن نعود بسرعة ونبلغ الملكة (أمفرتيت) بما حدث

(لج) تحرك ذيلها وتبدأ بالعوم: هل تعتقد أن مملكتنا في خطر؟

(جباس) يتبع (لج) عوماً: ما حدث خرق لسيادة الغرانيق ويجب أن يدفع أحدٌ الثمن والملكة لن تسكت عمّا حدث

(لج): هل تعتقد حقّاً أنه ما زال هناك حور في البحر؟

(جباس): لا شك أن هناك بعض المتبقي منهم بأعدادٍ قليلة متناثرين في البحور السبعة لكن ليس كمملكة كما كان في السابق

(لج): كم سنستغرق في السباحة حتى نصل للبحر الأصفر؟

(جباس): يوماً أو أكثر بقليل يا سمو الأميرة

(لج) بقلق: سوف أحتاج قريباً جرعة من المخدر يا (جباس)

(جباس): لا تقلقي الأميرة البحر المظلم يحتوي على الكثير منها

(لج): لا أريد شيئاً قويّاً كي لا أفقد عقلي

(جباس): أعرف أين أجد النبتة المناسبة

استمر الاثنان بالعوم في قاع البحر المظلم متجنبين سطحه كي لا يصادفا أي كائنٍ قد يعرقل سيرهما ومع حلول الليل وصلا لمجموعة من النباتات أشار إليها جباس قائلاً: هذه النبتة المخدرة التي أخبرتك عنها

(لج) وهي تفرك كتفها: أحضر لي بعض أوراقها بسرعة..

قبل أن يعوم (جباس) نحو النبتات بدأت تظهر حولهما مجموعة من الأخابيط الغريبة بحلقاتٍ زرقاء مضيئة تغطي أجسادها.

(جباس) يمد ذراعه أمام (لج) ويقول: حاذري يا سمو الأميرة هذه الأخابيط سامة جدّاً

(لج): لنَعُمْ للأعلى مبتعدين عنها

(جباس) ينظر للأعلى بنبرة مترددة: ماذا عن المخدر؟

(لج): يمكننا الحصول عليه لاحقاً

(جباس): حسناً

عام الاثنان للأعلى حتى ابتعدا عن تلك الأخابيط وقبل أن يستأنفا تقدمهما ظهر أمامهما قرشٌ ضخم يحمل على جسده ندباتٍ كثيرة وعندما رآه (جباس) قال: تنحَّ أيها القرش عن طريقنا!

(القرش ذو الندوب) وبصوتٍ غليظ ومزمجر: ليس قبل أن يكون أحدكما فريستي..!

(لج): ثقة هذا القرش ليست في محلها

(جباس) بتجهم: مملكة القروش لا يحق لها افتراس الغرانيق منذ أن حكمت الملكة (أمفرتيت)!

(القرش ذو الندوب): لقد كسر الملك (مغلود) عهدنا معكم اليوم وأمرنا بقتل أي غرنيق نواجهه

(جباس) بتعجب: ماذا؟!

اندفع القرش الضخم باتجاه (لج) فاتحاً فكه الكبير لقضمها فاعترضه (جباس) ونطحه في بطنه وقبل أن يشتبك معه سبقته الأميرة واخترقت بطن القرش بمخالبها ومزقته.

(لج) وهي تتنفس بثقل وتنظر بتوتر لمخالبها المغطاة بلحم القرش: سوف تأتيني النوبة يا (جباس)!

(جباس) وهو يعوم للأسفل: سوف أحضر لكِ المخدر تمالكي نفسك!

غاب (جباس) لدقائق ثم عاد ومعه مجموعة من الأوراق المخدرة ومدها لـ(لج) التي دخلت في مراحل السعار الأولى وبعد أن تناولتها هدأت قليلاً وقالت: شكراً يا (جباس) كدت أفقد نفسي..

(جباس): لنكمل المسير الآن..

(لج): انتظر.. لمَ نقض (مغلود) معاهدته مع الغرانيق؟

(جباس): لتجد التفسير لحدثٍ ما أمعن النظر مطولاً في توقيت

حدوثه.. نقض (مغلود) للمعاهدة جاء متزامناً مع الهجوم الذي تعرضنا له اليوم

(لج): ما معنى هذا الكلام؟

(جباس): لا يوجد سوى تفسير واحد وهو أن هناك من يخطط للانقلاب على الملكة (أمفرتيت) وانتزاع العرش منها.. هناك ثورة تحاك في الظلام ويجب أن نوقفها

(لج): يجب أن نعود بسرعة إذاً ونحذر أمي!

(جباس): وهذا ما سنقوم به بالضبط

تقدم (جباس) وعام أمام (لج) فلاحظت أنه مصاب في ظهره فقالت: ما هذه الإصابة؟

(جباس) وهو مستمر بالعوم: لا شيء الأميرة لنستمر في العوم

(لج): هل لدغتك تلك الأخابيط؟

(جباس) يستمر بالعوم بصمت..

(لج) بغضب: لم يكن عليك المخاطرة بحياتك!

(جباس) بهدوء: هذا واجبي..

(لج): واجبك ليس الموت لأجلي!

(جباس): بل هذا صميمه الأميرة

(لج) بعصبية: غرنيق أحمق!

بعد مضي أقل من نصف ساعة من العوم خارت قوى (جباس) وبدأ ينزل للقاع فلحقت به (لج) وهي تقول: ما بك؟!

(جباس) محاولاً إخفاء ألمه: لا شيء الأميرة لنكمل العوم

(لج) وهي تسنده: لا تكابر وانزل معي للقاع

حط الاثنان على أرضٍ رملية استلقى عليها (جباس) المرهق وهو يقول: أعتذر من سموكِ عن تقصيري

(لج): توقف عن الحديث وأخبرني هل يوجد ترياق لهذا السم؟

(جباس): لا..

(لج): سأحضر لك بعض الطعام

(جباس) وقد بدأ يفقد قدرته على الكلام: من العار أن يموت الغرنيق مسموماً..

(لج): تماسك حتى أعود إليك

حركت (لج) ذيلها وبدأت بالعوم في القاع المظلم مستعينة بحراشفها المضيئة بحثاً عن شيء قد يخفف من ألم الغرنيق المحتضر. لم تبتعد كثيراً حتى رأت صخرة تتحرك تنبعث منها رائحة مميزة لم تشمها من قبل. اقتربت منها ومدت يدها لتقلبها لكنها تفاجأت بأنها سمكة بجلدٍ متحجر عندما صرخت فيها قائلة: ابتعد عني أيها المفترس قبل أن أذيقك سمي!

(لج): ومن يريد افتراس سمكة مثلك؟

(السمكة الحجرية) بنبرة غاضبة: ماذا تريدين مني إذاً؟

(لج): رائحتك غريبة وأثارت فضولي

(السمكة الحجرية): أثارت فضولك أم سال لعابك عليها؟!

(لج): أنت حساسٌ جدّاً لسمكة بشعة

(السمكة الحجرية) وهي تبرز إبرة من ظهرها: تراجعي قبل أن تندمي!

(لج): صديقي يحتضر ولا أرى غيرك يمكن أن يكون وجبته الأخيرة

(السمكة الحجرية) بتجهم: حاولي الاقتراب مني!

أمسكت (لج) السمكة بكل سهولة وكسرت إبرتها وقالت لها: ماذا الآن؟

(السمكة الحجرية) بنبرة توسل: طعمي ليس لذيذاً كرائحتي صدقيني!

(لج): لن يموت صديقي جائعاً

(السمكة الحجرية) وهي ترتعد في يد (لج): ما به صديقك؟.. يمكنني المساعدة

(لج): لا تحاول أن تقدم شيئاً لغيرك وأنت لا تستطيع أن تقدمه لنفسك..

(السمكة الحجرية): حاولي.. لن تخسري شيئاً

(لج): تعرض للدغ مثلما كنت تريدين فعله بي وهو الآن بين الحياة والموت

(السمكة الحجرية): أخبريني بالكائن الذي لدغه وقد أستطيع مساعدتك مقابل إطلاق سراحي

(لج): هل هذه حيلة منك للهروب؟

(السمكة الحجرية): لا ، أقسم لكِ.. كائنات البحر المظلم أدرى بسمومها..

(لج): لدغه نوعٌ من الأخابيط بحلقات زرقاء على جلده

(السمكة الحجرية): نعم أعرفها وترياق سمها أعرفه أيضاً

(لج) بحماس: أخبريني بالترياق بسرعة!

(السمكة الحجرية) بتوتر: لقد كسرتِه للتو..

(لج): ماذا؟.. هل سمك كان الترياق؟

(السمكة الحجرية): نعم

(لج): أين يمكنني أن أجد سمكة غيرك من فصيلتك نفسها؟!

(السمكة الحجرية): أنا لم أرَ أحداً مثلي منذ سنين

(لج): هذا لسوء حظك..

(السمكة الحجرية): نعم فالعزوبية أمرٌ مقيت

(لج) وهي تغرس أظافرها في ظهر السمكة الحجرية: لم أقصد ذلك

شقت (لج) ظهر السمكة وأخرجت بعناية كيس سمها ورمت ما تبقى منها وعامت عائدة لـ(جباس). وصلت إليه وهو مغمض

العينين ولا يبدي أي نوع من الحياة لكنه كان لا يزال يتنفس فوضعت سبابتها في فمه وباعدت بين فكيه ورمت بكيس السم في فمه وفقأته داخله بمخلبها. بقيت (لج) بجانب الغرنيق الضخم الذي لم يبدِ أي تحسن حتى بعد مرور ساعة من سقيه السم. لم تستطع الرحيل وتركه بهذه الحالة بعد ما أدركت انه أصيب بالشلل التام ولم تقوَ كذلك على حمله معها طيلة المسافة. تفاقمت مشكلة (لج) عندما أحست بأن نوبة السعار تنتابها مرة أخرى ولم يكن بحوزتها أي مخدر وبدأت تصارع نفسها وتقاوم الألم وشبقها للدم وخلال ذلك الصراع مع نفسها تحدث (جباس) بثقل وقال: لا تقاومي الأميرة..

(لج) وهي في حالة نفسية سيئة:.. (جباس)؟.. هل تشعر بتحسن؟

(جباس) بلسان ثقيل: لقد فقدت القدرة على الحركة وسأموت قريباً

(لج) وهي تفرك أذرعها: لا تقل ذلك.. سوف.. سوف تتحسن..

(جباس): هل تعرفين ما هي أشرف مِيتة يموتها الغرنيق؟

(لج) ومخالبها تحك فروة رأسها بيدٍ راجفة: لا.. أخبرني..

(جباس): أن يفترسه غرنيقٌ آخر..

(لج): لا تحاول أن تخدعني كي أقتلك!

(جباس): أنا ميت لا محالة وأتمنى أن تكرميني بموتٍ لائق..

(لج) وهي تصرخ: أكره ما أنا عليه!!

انقضت (لج) على الغرنيق المشلول وافترسته بوحشية..



تيار الخلاص

بعد موت (جباس) بمخالب وأنياب الأميرة التي كان يحميها لم تجد (لج) سبيلاً سوى أن تعوم مبتعدة عن ما تبقى من جسد حارسها في حلكة ظلام قاع البحر المظلم على أمل أن تلتقط عبق تيارٍ يخرجها من ذلك المكان الموحش. بعد عومٍ دام ساعات اشتمت رائحة بدت مألوفة لها جدّاً وبعد دقائق وصلت لتيارٍ يسير بقوة متوسطة وأحست بتيارات دافئة تداعب جسدها وتسحبها ببطء نحو ذلك التيار. ركبت التيار وسارت فيه بلا علمٍ سابق عن الوجهة التي يسير إليها. استمر عوم (لج) في ذلك التيار حتى ألقى بها عند سطح حدود بحرٍ تجهله.

كان ذلك المكان جميلاً جدّاً فالنبتات الملونة والماء الصافي والصخور الملساء منتشرة في المكان الضحل نسبيّاً فالمسافة بين السطح والقاع لم تكن كبيرة وشعاع الشمس التي أشرقت للتو أنار المكان بأكمله مشكلاً لوحة جميلة وخلابة لكن خلو المنطقة من الكائنات الحية

حتى الصغيرة منها خلق جوّاً من القلق وعدم الارتياح في نفس (لج).

تجاهلت (لج) ذلك الشعور وسبحت بالقرب من السطح ونظرها موجه للقاع القريب منها ومشطت خلال عومها المنطقة بحثاً عن شيء يمكنها تناوله لإحساسها بالجوع. بعد أقل من نصف ساعة لمحت بنظرها القوي حركة خفيفة في رمال القاع فغاصت بسرعة لاستكشاف الأمر ظنّاً منها أنه كائن صغير يحاول الاختباء منها. بدأت تنبش الرمال بحثاً عن الكائن الذي تحرك لكنها لم تجد شيئاً. في تلك اللحظة التقط أنف (لج) رائحة شهية تشبه رائحة القشريات التي تألفها فتتبعت تلك الرائحة إلى أن وصلت لمصدرها وهو حوتٌ مرقط باللونين الأسود والأبيض نائم ومستلقٍ في القاع. دنت منه بحذر واكتشفت أن الرائحة كانت تنبعث من فمه خلال تنفسه.

(لج) وهي تكِز أنف الحوت برأس مخلبها: استيقظ أيها الحوت!

(الحوت المرقط) يفتح عينيه ببطء وينظر لـ(لج) بصمت..

(لج): هل أنت نائم؟

(الحوت المرقط): كنت نائماً يا غرنيقة قبل أن توقظيني

(لج): يمكنك العودة للنوم بعد ما تخبرني كيف أحصل على بعض الطعام في هذا المكان القاحل

(الحوت المرقط) يغمض عينيه مرة أخرى: لا يوجد طعامٌ هنا

(لج) بتجهم: رائحة القريدس تفوح منك!

(الحوت المرقط) بأعين مغمضة: الغرانيق لا تقتات على القريدس

(لج) بعبوس وغضب: لكن يمكنها أن تقتات على الحيتان لو لم تجد ما تسد به رمقها!

(الحوت المرقط) يفتح عينيه ويقول بهدوء: هل تهددينني يا غرنيقة؟

(لج): لمَ أنت عنيد؟.. أخبرني فقط كيف أجد بعض الطعام!

(الحوت المرقط): هذا المكان معبر وليس موطناً

(لج): ماذا تقصد؟

(الحوت المرقط): معنى ذلك أنه مكان تعبر من خلاله أسراب الكائنات المهاجرة ولا تقيم فيه أي كائنات والقريدس الذي تناولته كان سرباً عبر قبل ساعات آتياً من البحر الأخضر متوجهاً للبحر الأصفر وكنت أنا في استقباله

(لج): لكن هذا المكان لا يبدو كالبحر الأصفر

(الحوت المرقط): نحن في البحر الأسود الواقع بين البحر الأخضر والأصفر.. ألا تعرفين أين أنت؟

(لج): بلى بلى كنت أريد اختبارك فقط.. هنا تقع مملكة (مغلود) أليس كذلك؟

(الحوت المرقط): الملك (مغلود) بلى..

(لج): ومتى سيمر سربٌ آخر من الكائنات كي أتناول شيئاً منه؟

(الحوت المرقط): بعد ثلاثة..

(لج): ثلاث ساعات؟

(الحوت المرقط): لا

(لج) بوجهٍ محبط: ثلاثة أيام؟

(الحوت المرقط): لا

(لج) بتجهم: ثلاثة ماذا إذاً أيها المرقط؟!

(الحوت المرقط): ثلاثة أنفاس.. انظري للأعلى..

رفعت (لج) رأسها للأعلى وابتسمت بسعادة عندما شاهدت سرباً كبيراً من السردين يعبر فوقها وقالت وهي مبتهجة: سرب السردين!

حركت ذيلها واندفعت بسرعة نحو سرب السردين الكبير والحوت المرقط أسفل منها يغمض عينيه ويقول: لا تصابي بالتخمة مثلي..

تناولت (لج) ما طاب لها من أسماك السردين وكانت تسبح بينها بسعادة كبيرة لما حمله ذلك السرب لها من ذكرياتٍ جميلة عندما كانت في وادي المرجان خاصة عندما انضم إليها مجموعة من الحيتان في تناولها والسباحة معها وبجانبها. غاصت (لج) للأسفل مرة أخرى نحو الحوت المرقط النائم في القاع وعند وصولها إليه نقرت أنفه بمخلبها مرة أخرى لإيقاظه وهي تقول: شكراً أيها الحوت المرقط!

(الحوت المرقط) يفتح عينيه قائلاً: اشكريني بالرحيل وتركي أهضم ما تناولته..

(لج) وهي تبتسم: لدي طلبٌ أخير

(الحوت المرقط) يزفر بعض الفقاعات من المنخار فوق رأسه ويقول: ماذا تريدين؟

(لج): أريدك أن توجهني إلى أقرب تيارٍ يأخذني للبحر الأصفر كي أعود للبحر الأبيض بسرعة

(الحوت المرقط): ولِمَ كل هذا الدوران؟.. هناك تيارٌ مباشر بين البحر الأسود والبحر الأبيض

(لج) بحماس: أين؟!.. أرشدني إليه!

(الحوت المرقط): شمالاً من هنا.. تيار قوي تستخدمه جميع قروش المملكة

(لج) بقلق: لا أريد الاحتكاك بالقروش خلال رحلتي

(الحوت المرقط): أتفهم ذلك فالقروش رفقاء سفر سيئون

(لج): ألا يوجد تيارٌ آخر أكثر أماناً؟

(الحوت المرقط): بلى وهو قريب من هنا لكنه متوسط القوة وسيستغرق ساعات للوصول لحدود البحر الأبيض

(لج): لا بأس أرشدني إليه

(الحوت المرقط): هناك أمرٌ آخر يخص هذا التيار يجب أن تعرفيه

(لج): ما هو؟

(الحوت المرقط): التيار بارد جدّاً وبعض الكائنات لا تحتمل تلك البرودة وتموت فيه متجمدة

(لج) بقلق: وهل سأتحمله أنا؟

(الحوت المرقط): ما أعرفه أن الغرانيق كائنات تفضل المياه الدافئة.. أليس كذلك؟

(لج): أنا لست..

(الحوت المرقط): لستِ ماذا؟

(لج): لا شيء.. أين يقع هذا التيار؟

(الحوت المرقط) يرفع زعنفته الضخمة مشيراً للشمال: هناك بعد عومٍ أقل من ساعة..

(لج) وهي تنظر حيث كان الحوت يُشير: لدي طلب أخير..

(الحوت المرقط) ينزل زعنفته ويقول بإحباط: يبدو أنني لن أنام اليوم والطلبات الأخيرة لن تنتهي..

(لج) تدير نظرها للحوت مبتسمة: هل تعرف أين أجد بعض النباتات المخدرة؟

(الحوت المرقط) باستغراب: طلباتك تزداد غرابة يا غرنيقة

(لج): أحتاجها كدواء لحالتي

(الحوت المرقط): وما حالتك؟

(لج): لا أنصحك بالانتظار حتى تراها

(الحوت المرقط) يرفع زعنفته الأخرى ويقول: هناك بعضها خلف تلك الصخور

(لج) تحرك ذيلها وتعوم حيث أشار الحوت المرقط مبتسمة: شكراً!

قطفت (لج) بعض الأوراق المخدرة وتناولت واحدة منها على عجالة قبل أن تنطلق نحو التيار المتوسط البارد المؤدي للبحر الأبيض. بعد عومٍ سريع دام أقل من ساعة توقفت (لج) عندما أحست بانخفاض مفاجئ في حرارة الماء وتغير في رائحته فعلمت بأنها اقتربت من التيار المنشود لكن وقبل أن تستأنف العوم سمعت صوت حوارٍ يدور خلف صخرة كبيرة على بُعدٍ يسير منها فعامت نحوها وأطلت بحذر من فوقها لترى منظراً غريباً. رأت حوريّاً بجسدٍ ممشوق وشعرٍ أصفر مُجدل يمسك بعظمة مدببة وبرأسٍ حاد

يتحدث مع قرشٍ أبيض ضخم ويقول له: أبلغ ملككم أن الحاكم الجديد للبحور السبعة يرفض طلبه ويُلزمه بالاتفاق السابق

(القرش الأبيض) بصوتٍ غليظ: الملك (مغلود) لا يأخذ أوامرَ من أحد وما بيننا حلفٌ فقط وليس تبعية!

(الحوري): حان وقت اختيار مع من ستقفون وعهد الغرانيق إلى زوال فكروا جيداً قبل أن تتخذوا قراراً تندمون بعده!

(القرش الأبيض) وهو يزمجر: بدون دعم مملكة القروش ملككم لا يملك سوى حفنة من القناديل تسير خلفه!

(الحوري) بتهكم: عقول القناديل أثبتت منفعتها لنا بعكس أنيابكم المحكومة بعقولٍ صغيرة

اندفع القرش الأبيض بغضب فاتحاً فكه وأنيابه نحو الحوري الذي غرس حربته العظمية أسفل فك القرش ومتجنباً لاندفاعه بحركة سريعة. بدأ القرش ينزف بغزارة لكن لم يفقد قوته بالكامل وحرك ذيله الضخم مندفعاً مرة أخرى تجاه الحوري الواقف عند الصخرة الكبيرة فما كان منه إلا أن تنحى بهدوء عن طريق القرش الأبيض المندفع ليرتطم رأسه بقوة في تلك الصخرة.

(الحوري) وهو يسحب حربته العظمية من فك القرش: بعض الكائنات من السهل التنبؤ بها..

غرس الحوري حربته بقوة في قمة رأس القرش ليهبط جسده الضخم النازف ببطء وهدوء للقاع..

(الحوري) يشد حربته من رأس القرش بنظرة اشمئزاز: قروشٌ حمقاء..

حرك الحوري ذيله وعام مبتعداً عن المكان فخرجت (لج) من خلف الصخرة واقتربت من القرش المستلقي على الأرض الرملية وقالت له: هل مت؟

(القرش الأبيض) وهو يحتضر: أنت غرنيق أليس كذلك؟

(لج): بـ..بلى..

(القرش الأبيض) والدماء تخرج من فتحاته: حذري ملكتكم فوراً.. شعب الحور ينوي..

(لج) تهز جسد القرش بتوتر شديد قائلة: ينوون ماذا؟!

مات القرش ولم يكمل كلامه فعامت (لج) بسرعة مبتعدة عنه نحو التيار البارد لكنها توقفت في منتصف الطريق عندما جذبتها رائحة

دمائه المنتشرة في المكان وعادت وافترسته. ركبت (لج) التيار البارد بعد ما انتهت من وليمتها وما أن دخلت فيه حتى انتفض جسدها من البرودة القارسة التي عانقتها فزادت من سرعة سباحتها كي تخرج منه بأسرع وقت قبل أن تتجمد. قبل دخولها للتيار البارد كانت (لج) تشعر بنوبة السعار وهي تتراكم وتقترب بالرغم من تناولها للمخدر آنفاً لكن ما أن عامت في الماء البارد حتى هدأت وعادت لطبيعتها وقد أثار ذلك فضولها ولفت انتباهها بشدة لذا لم تضطر لتناول ورقة مخدر أخرى من الأوراق التي احتفظت بها تحت لسانها خلال الطريق. أمضت (لج) قرابة نصف الساعة وهي تسبح في ذلك التيار القارس البرودة وكانت نصف الساعة تلك وكأنها ساعات طويلة وفي نهاية المطاف لم تستطع الاستمرار في العوم أكثر وخرجت منه فوراً. وجدت (لج) نفسها في مكان ليس بالغريب عليها وبعد قليلٍ من استرجاع الذاكرة تذكرت أنه المكان الذي توقفت فيه مع (ياقوت) خلال رحلتهما للبحث عن سن (مغلود) في البحر الأسود.

غاصت (لج) بوجهٍ حزين وهي تسترجع حوارها مع (ياقوت)

عن سبب تناوله للنبتات المخدرة عندما كانوا يتناولون الأسماك الصغيرة والقشريات:

«(لج) تقضم رأس سمكة صغيرة: طعم السمك هنا ألذ بكثير منه في البحر الأصفر.. (ياقوت) يقطف ورقة حمراء من نبتة كانت بجانبه: والأوراق المخدرة كذلك.. (لج): لمَ لا تؤجل ذلك حتى نعود؟.. (ياقوت) وهو يضع الورقة في فمه ويبدأ بمضغها: أخبرتك بأني أحتاجها للتحكم بشبقي.. (لج) بسخرية: أعتقد أنك اخترعت تلك الحجة فقط لتتناول ما تريد منها دون مسؤولية.. (ياقوت): لنذهب الآن.. (لج): إلى أين؟.. ألن تكمل كلامك عن التيارات؟.. (ياقوت): حسناً نحتاج للراحة على أي حال.. لنجلس هناك.. جلس الاثنان على صخرة بلونٍ أحمرَ داكن وقالت (لج) وهي تمسح عليها بيدها: حتى الصخور جميلة هنا أيضاً وملمسها مختلف.. (ياقوت): هذا مرجان متحجر وليس صخوراً.. (لج): يبقى جميلاً.. (ياقوت): هل تدركين أن ما تجلسين عليه كان في وقتٍ ما كائناً حيّاً؟ (لج) وهي تمسح على المرجان المتحجر: بعض الأشياء أجمل عندما تموت..».

(لج) وهي تمسح على الصخرة الحمراء نفسها وتدمع:

تحطم القلب القاسي يؤلم صاحبه أكثر من تحطم القلوب المرهفة.. أفتقدك أيها الغرنيق الجميل..

حركت ذيلها وأكملت طريقها بحزنٍ قابضٍ على صدرها..

بعد تلك النقطة لم تجد (لج) صعوبة في إيجاد التيارات التي قادتها للبحر الأبيض ورمت بها عند مشارف حدوده وتحديداً بالقرب من الطريق المرجاني المؤدي لجبل «الجير» وما أن رأت ذلك الطريق حتى سارعت بالعوم فيه للوصول لمقر «مملكة الغرانيق» وإخبار الملكة بما حدث وتحذيرها من الخطر المحتمل الذي قد تتعرض له مملكتها. خففت (لج) من سباحتها عندما ظهر لها جبل «الجير» في الأفق لأنها استغربت من خلو المكان من حشود الغرانيق التي كانت في العادة منتشرة خارجه وحوله ومع اقترابها من الجبل أكثر وأكثر بدا المكان كمدينة أشباح ولا وجود لأحد في الأرجاء حتى الحراسة عند مدخل الجبل لم تكن موجودة. زاد قلق (لج) مما شاهدته وعاودت العوم بسرعة متجاوزة مدخل الجبل نحو المكان الذي فيه عرش (أمفرتيت) وزاد قلقها وتحول لرعب عندما لم تشاهد أحداً في الجبل خلال طريقها نحو العرش.

وصلت (لج) للتجويف الصخري الكبير الذي كانت الملكة

(أمفرتيت) تستخدمه كمقرٍّ تحكم منه ووجدته شبه مظلم لغياب القناديل التي تنير المكان في العادة ولم ترَ حتى نور اللآلئ المصفوفة في السقف وكذلك لم يكن نور حراشفها كافياً لتغطية المكان بالكامل.
عامت (لج) حول المكان بحثاً عن (أمفرتيت) أو عن أي أحدٍ في الجوار وبعد يأسها أخذت تنادي بصوتٍ مرتفع وتقول: هل يوجد أحد هنا؟!

لم تجد (لج) أي إجابة لندائها فحركت ذيلها وخرجت من ذلك المكان الخاوي وتوجهت لمهجعها السابق ودخلت فيه ورأته خالياً كذلك فهمت بالرحيل لكن وقبل خروجها لاحظت أن الصدفة الكبيرة التي كانت تنام عليها مُطبقة وليست مفتوحة فاقتربت منها بحذر وقامت بفتحها ببطء فصرخ صوتٌ مرتعبٌ ورفيع داخلها: أرجوكم لا تقتلوني!!

فتحت (لج) الصدفة بسرعة وقوة عندما سمعت ذلك الصوت لترى (غَرنُوق) يحتضن نفسه ويرتجف خوفاً فقالت باندهاش:.. (غَرنُوق)؟!.. ماذا تفعل هنا؟!.. وأين البقية؟!.. أين أمي؟!.. أين (ناسك)؟!

(غَرنُوق) وهو في حالة من الخوف والتوتر الشديد: لا أعرف!.. لقد اختبأت هنا عندما هاجمونا!

(لج): من الذي هاجمنا؟!.. الحور أليس كذلك؟!

(غَرنُوق): الحور؟!.. لا لم يكن من هاجمنا حوراً!

(لج): من هاجمنا إذاً؟!

(غَرنُوق) وهو لا يزال يرتجف رعباً: غرانيق مثلنا لكنهم..

(لج) بعصبية: لكنهم ماذا؟!

(غَرنُوق): كانوا في حالة غير طبيعية وكأنهم مصابون بالجنون!

(لج): هل كانوا غرانيق من شعبنا؟

(غَرنُوق): لا أعتقد.. بدوا أكثر وحشية وهمجية منا وهجموا بأعدادٍ كبيرة لم نستطع صدها خاصة مع تلك القناديل التي كانت تصاحبهم

(لج) باستغراب: قناديل؟

(غَرنُوق): نعم قناديل.. قناديل ضخمة وبأعداد كبيرة أبادت كل ما في طريقها بلواسعها السامة

(لج): ولمَ رحلوا؟.. لمَ لم يبقوا هنا إذا كان هذا انقلاباً على الحكم؟

(غَرنُوق): لا أعرف.. كل ما أعرفه أني بقيت حبيس هذه الصدفة لفترة طويلة ولم أجرؤ على الخروج منها خشية أن يفتكوا بي ووجهي تشقق لأني لم أستخدم طحالبي الخاصة ببشرتي

صمتت (لج) وهي تحدق بذلك الغرنيق الهزيل المرتعد وخلال تفكيرها قالت وبصوتٍ هادئ: هل ماتت أمي؟.. أخبرني..

(غَرنُوق) وهو يخرج من الصدفة: أخبرتك الأميرة بأني لم أرَ شيئاً سوى هجمتهم الأولى والملكة كانت متحصنة عند عرشها مع حراسها

حركت (لج) ذيلها وهمت بالخروج من المكان دون أن ترد عليه..

(غَرنُوق) بتوتر: إلى أين الأميرة؟!.. لا تتركيني وحدي!

لحق الغرنيق النحيل بأميرته واقتفى أثرها ووجدها عند مدخل جبل «الجير» باسطة نظرها للأفق الخاوي فدنا منها بحذر وقال: ماذا سنفعل الآن يا مولاتي؟

(لج) ونظرها للأمام: أحتاج أجوبة لأسئلة كثيرة..

(غَرنُوق) وهو يفرك يديه بقلق: وأين ستجدين تلك الأجوبة؟

(ناسك) يخرج من تحت صخرة كانت قريبة منهما ويقول: أعتقد أني أستطيع المساعدة..

(لج) تلتفت على (ناسك) وتبتسم بأنيابها الطويلة قائلة: كيف نجوت أيها القشري الصغير؟

(ناسك) يبادلها الابتسام قائلاً: لَمَ يُصر الجميع على الانتقاص من قدرة السلطعونات!

(لج): هل شاهدت ما حدث؟

(ناسك) يسير نحو (لج): لقد شهدت معظم ما جرى..

(لج):.. أمي.. هل ما زالت على قيد الحياة؟

(ناسك) يتسلق ذيلها ويستقر عند أذنها: ليس تماماً

(لج) بقلق: ماذا تقصد؟

(ناسك): أعتقد أنه حان الوقت لزيارة صديقي في البحر الأخضر؟

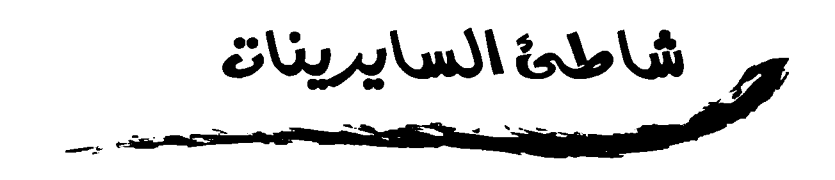
(لج) تلتفت على (غَرنُوق): هل ستأتي معنا أم ستبقى هنا؟

(غَرنُوق): واجبي يُحتم علي أن لا أتركك خاصة وأنتِ بهذه الحالة

(لج): لا تقلق أنا متماسكة..

(غَرنُوق): كنت أتحدث عن شعرك ياسمو الأميرة فهو كارثة لا يمكن السكوت عنها

(لج) تتجهم و(ناسك) يضحك ويقول: يبدو أن هذه الرحلة ستكون ممتعة..



شاطئ السايرينات

عندما رأى (حربة) قبطانه يلوح له من الشاطئ البعيد وبجانبه ذلك الشخص المجهول فهم من إشارته أن المكان آمن فحمل (نجم) المرهق والمبتور الساق حديثاً وهو يخاطبه قائلاً: سوف تشعر ببعض الألم عندما نرتطم بالماء فلا تجزع

قفز الاثنان في البحر وبمجرد ملامستهما الماء صرخ (نجم) عندما عانق جرح ساقه المياه المالحة وبدأ (حربة) بالسباحة نحو الساحل بكل ما أوتي من قوة. لم يكن الأمر يسيراً وكانت الأمواج أقوى منهما لأن السباحة بذراعٍ واحدة لم توفر الدفع الكافي لكسر تلك الأمواج القوية التي استمرت بأخذهما بعيداً عن الشاطئ. لم يستسلم (حربة) وجاهد نفسه وشد من قبضته على رفيقه المرهق وصارع تلك الأمواج التي كانت تلطم وجهه بمياهها المالحة وتعكر عليه سباحته وأنفاسه. عندما رأى (كوفان) ما كان يحدث أمامه قرر القفز في الماء

لمعاونة صديقه لكن العجوز استوقفته قائلة: توقف!.. إلى أين أنت ذاهب!

(كوفان): يجب أن أساعد صديقي فهو لن يستطيع الوصول للشاطئ هكذا!

(العجوز): هذه المياه خطرة وقد تفقد حياتك

(كوفان) وهو يجري نحو الماء: لقد تجاوزتها وسيتجاوزها هو الآخر!

بعد سباحة قصيرة وصل (كوفان) لـ(حربة) بمعاونة الأمواج المنسحبة لداخل البحر وأمسك به وقال له بصوتٍ مرتفع: ستنجو!

(حربة) والإرهاق بادٍ عليه: لقد سحبه شيء..

(كوفان) والأمواج تضرب وجهه: سحب من؟!.. (نجم)؟!

(حربة) وهو يبصق بعض الماء المالح: نعم.. لقد فقدته للتو قبل أن تصل

(كوفان) يسحب رفيقه ويبدأ بالعودة للشاطئ: استجمع قواك واستمر بالسباحة نحو الشاطئ!

سبح (كوفان) ومن خلفه (حربة) والعجوز تراقب ما يحدث من الشاطئ..

(كوفان) وهو يخرج من البحر مرهقاً: أخيراً وصلنا..

التفت خلفه لمعاونة (حربة) في الخروج لكنه لم يجده فبدأ بالمناداة عليه بصوتٍ مرتفع..

(العجوز) بهدوء: لقد مات..

(كوفان) يستمر بالنداء متجاهلاً العجوز..

(العجوز): أقول لك بأن صاحبك قد مات..

(كوفان) يصرخ في العجوز: اخرسي!.. لقد ضل الطريق فقط!

جلست العجوز على رمال الشاطئ تراقب (كوفان) وهو ينادي على صاحبه حتى يئس من عودته ليجثو على ركبتيه محدقاً بالبحر بأعين مصدومة.

(العجوز): هل انتهيت؟

(كوفان) بصوتٍ مندهش وأعين دامعة: لقد كان خلفي.. لا شك أنه وقع فريسة للقروش

(العجوز): القروش تتجنب أماكن تجمع السايرينات.. صاحبك وقع فريسة لها فهي لا تفوت وجبة سهلة مثله..

(كوفان) ملتفتاً على العجوز باستغراب: الماذا..؟

(العجوز): السايرينات..

(كوفان): بماذا تهرطقين؟

(العجوز): لَمَ أتيتم لجزيرة «يوكاي».. هل كنتم تبحثون عن الكنز أيضاً؟

(كوفان) وهو ينهض من على الرمال ويسير نحو العجوز الجالسة ويقول باستنكار: أي كنز وأي سايرينات تتحدثين عنها؟!.. لقد ضللنا الطريق في عرض البحر عندما كنا ذاهبين لمعبر حيتان العنبر عند ملتقى البحر الأسود بالبحر الأخضر

(العجوز): أنتم صيادو حيتان إذاً؟

(كوفان): ليس تماماً.. كنا نبحث عن شيء.. شخص.. كائن ما..

(العجوز) مبتسمة: من منا يهرطق الآن؟

(كوفان) يرمي بنفسه ويجلس بجانب العجوز محدقاً بالبحر بحزن:

لا فائدة من الحديث الآن.. لقد خسرت كل شيء..

(العجوز) تمد يدها نحو (كوفان) مبتسمة: أنا (بلشون) بالمناسبة..

(كوفان) ينظر لثوانٍ لكف العجوز الممتلئ بالندب ثم يمد يده مصافحاً لها ويقول: تشرفنا..

(بلشون) توجه نظرها للبحر وتحديداً لسفينة (كوفان) التي بدأ البحر يسحبها ويبتلعها داخله: هل سفينتكم لا تزال صالحة للإبحار؟

(كوفان) يشاركها النظر للسفينة ويقول بحسرة: لا.. فقدنا الأشرعة والمرساة وهذه الجزيرة كانت أملنا الوحيد للنجاة

(بلشون) تنزل رأسها للأرض مبتسمة: لقد رسوتم في أسوأ مكان في المحيط..

(كوفان) ملتفتاً خلفه ممعناً النظر في الغابة الكثيفة خلفه: ما هذه الجزيرة؟.. ولَمِ بقيتِ فيها أربعين عاماً؟

(بلشون): تتحدث وكأن لي خياراً.. هذه الجزيرة هي لعنتي التي أصبت بها وما زلت أحاول التخلص منها.. هل أحضرت شيئاً مفيداً معك من تلك السفينة؟

(كوفان) وهو يتحسس القارورة في جيبه ويتحقق من أنها لا تزال معه: لا.. لم أحضر شيئاً..

(بلشون) مستأنفة حديثها: من منا سيبدأ؟

(كوفان) باستغراب: يبدأ في ماذا؟

(بلشون) ونظرها للأفق: في سرد قصته.. أنا واثقة أن الأقدار لم ترمِ بك على هذه الجزيرة لأنك فكرت بصيد الحيتان فقط

(كوفان): وما الفائدة من الحديث الآن؟.. لقد أصبت باليأس..

(بلشون): في كل لحظة يأس تذكر أنك ما زلت تتنفس..

(كوفان): هل أفهم من ذلك أنكِ لم تفقدي الأمل

(بلشون): الأمل في النجاة؟.. ربما.. لكن ليس الأمل في الحياة..

(كوفان) وهو يزفر: سنرى..

(بلشون) وهي تنهض وتنفض الرمال عن ملابسها: تعال معي

(كوفان) ينهض ويلحق بها: إلى أين؟

(بلشون) وهي تسير نحو الغابة: أريد أن أريك شيئاً

سار الاثنان في عمق الغابة الكثيفة وبعد ساعة ونصف الساعة من

المسير وصلا للكهف الذي تقيم فيه (بلشون) وأشارت إليه قائلة: أنا أقيم هنا

(كوفان) وهو ينظر لفوهة الكهف: لا يمكنني تصور الحياة التي عشتِها طيلة تلك السنين في هذا المكان الموحش

(بلشون) تكمل السير نحو الكهف وتقول: الحياة هنا ليست بذلك السوء عندما تعتاد عليها لكنْ شيءٌ واحد لن تعتاد عليه أبداً

(كوفان) وهو يلحق بها: ما هو؟

(بلشون): الوحدة..

جلس (كوفان) عند مدخل الكهف بينما أحضرت له (بلشون) بعض الماء والثمار والسمك المجفف وناولتها له وهي تقول: تناول بعضها

(كوفان) وهو يأخذ الماء والثمار من يدها ويرد السمك المجفف: شكراً

(بلشون): ألا تحب السمك؟

(كوفان): أتناوله إذا لم أكن أملك خياراً آخر

(بلشون) تجلس بالقرب منه وتقول: صياد وتكره السمك؟

(كوفان) وهو يقضم ثمرة: ليس لزاماً علي أن أحبه.. أخبريني الآن لم أتيتِ للجزيرة؟

روت (بلشون) مجمل قصتها منذ أن التحقت بطاقم السفينة حتى اليوم الذي مات فيه القبطان..

(كوفان): تحدثت عن كل شيء عن نفسك بالتفصيل دون أي تحفظ أو ممانعة

(بلشون): عندما تقضي أعواماً طويلة تحدث نفسك فقط ستعرف قيمة الحديث مع نفسٍ أخرى عنها..

(كوفان): صحيح فالبعض يتحدث كثيراً عن غيره كي لا يُضطر أن يسمع عن نفسه..

(بلشون): لم يعد هناك شيء آخر عندي لأقوله

(كوفان): ماذا عن القبطان؟.. هل مات بسبب السايرينات؟

(بلشون): نعم فقد خاطر بالإبحار ليلاً وهو أسوأ وقت للنزول في الماء على هذه الجزيرة وعندما لفظت الأمواج ملابسه الممزقة تيقنت من موته

(كوفان): هل وجدتِ هذا الكنز بعد موت القبطان؟

(بلشون): أمضيت أعواماً في فك رموز الخريطة وقمت بزيارة كل المواقع التي أشارت إليها ولم أجد شيئاً يستحق كل تلك التضحيات.. رمز واحد فقط لم أستطع زيارة موقعه..

(كوفان): أين يقع؟

(بلشون): في أخطر مكان على الجزيرة.. تحت الماء.. عند تجمع السايرينات..

(كوفان): ماذا تتوقعين أن تجدي هناك؟

(بلشون): لا أعرف فالرمز غريب ولم أره من قبل.. يبدو أن القبطان كان محقّاً والعملات الذهبية هي الكنز

(كوفان): ومنذ ذلك الوقت وأنت عالقة على هذه الجزيرة وحدك..

(بلشون): لا.. في اللحظة نفسها التي التقطت فيها ملابس القبطان الممزقة عند الشاطئ رأيت في الأفق سفينة تقترب من الساحل فبدأت ألوح لها كي تراني

(كوفان): مثلما فعلتِ اليوم..

(بلشون): نعم لكن طاقم تلك السفينة لم يكونوا مسالمين مثلك

(كوفان): هل كانوا قراصنة؟

(بلشون): أسوأ.. كانوا تجاراً للرقيق وضلوا في عرض البحر مع شحنة من العبيد الذين كانوا ينوون بيعهم

(كوفان): هل رست سفينتهم على الشاطئ؟

(بلشون): علقت ببعض الصخور فبدؤوا ينزلون واحداً تلو الآخر سباحة نحو الشاطئ.. خمسة بحارة بمن فيهم قبطانهم

(كوفان): ماذا عن العبيد؟

(بلشون): تركوهم محبوسين أسفل السفينة

(كوفان): قيمة البشر معدومة عند البعض..

(كوفان): وقتها لم أعلم أنهم نخاسون حتى سمعتهم يتحدثون عن ذلك بعد قبضهم علي

(كوفان): لَم لم تهربي منهم قبل أن يصلوا إليك؟

(بلشون): لم أستوعب أنهم يضمرون لي الشر حتى وقعت في أيديهم

(كوفان): وكيف تحررت منهم؟

(بلشون): كنت أُسابق الزمن في محاولة لإقناعهم بتحريري قبل حلول الليل

(كوفان): ولَمَ قبل الليل؟

(بلشون): قبل أن يأتي السبع الأعمى

(كوفان): السبع الأعمى؟.. هل كان هذا زميلك؟

(بلشون) وهي تبتسم: هذه الجزيرة يحرسها وحشان.. واحدٌ عند الشاطئ وهو كائن يشبه الدب.. فاقد لبصره لكن بصيرته من خلال أنفه قوية..

(كوفان): والآخر؟

(بلشون): الوحش الآخر كائن يشبه الذئب لكنه أضخم منه بكثير أحدب الظهر وقوائمه الخلفية أطول من الأمامية ويجري بسرعة مخيفة ولا يخشى النار كبقية الحيوانات لذا كنت أنام في أعمق نقطة في الكهف كي لا يصل إلي

(كوفان): وكنتِ تريدين العودة للكهف قبل الليل كي لا تفترسك تلك الوحوش..

(بلشون): نعم لكن البحارة الحمقى لم ينصتوا لتحذيراتي وأشعلوا ناراً عند الشاطئ وجلسوا يتسامرون ويتحدثون عن تجارتهم

(كوفان): وماذا حدث عندما غابت الشمس؟ كيف نجوتِ؟

(بلشون): لم يكن الأمر بتلك الصعوبة.. انتظرت حتى حل الليل وجاء السبع والتهم جميع الرجال وأنا أراقب ما يحدث بصمت وسكينة كي لا يشعر السبع بوجودي وفي الصباح حررت نفسي

(كوفان): ماذا عن العبيد؟ هل قمتِ بتحريرهم؟

(بلشون): أصوات استغاثتهم مهما علت لم أكن سألبيها لكن السايرينات استجابت لها وحطمت قاع السفينة وأغرقتها بعد ما افترستهم

(كوفان): مصيبتي تضاءلت في عيني بعد ما سمعت قصتك..

(بلشون) وهي تبتسم بحزن: لقد تحدثت كثيراً عن نفسي وأنت لم تقل شيئاً عن نفسك أو عن طاقمك

(كوفان): قصتي لا يصدقها عاقل.. ولن ينصت لها سوى مجنون..

(بلشون) تبتسم وتقول: إذاً أنا أنسب شخصٍ يمكنه سماع قصتك

(كوفان) مبتسماً: حسناً.. اسمعي..

روى (كوفان) تفاصيل قصته منذ لحظة وقوع الحورية في شباكه حتى وصوله لجزيرة «يوكاي» وأخبرها كذلك بتفاصيل القصة التي روتها (لج) لهم وعندما فرغ من كلامه نظرت له (بلشون) باستغراب وقالت: غريب..

(كوفان) يبتسم وينزل رأسه للأرض ويرسم في الرمال: أخبرتك بأنها قصة لا يقبلها عقل..

(بلشون): هل ما زالت القارورة معك؟

(كوفان) وهو يخرج القارورة ذات الغطاء الذهبي من جيب صدره: نعم..

(بلشون) تمد يدها قائلة: هل تسمح لي برؤيتها عن قرب؟

(كوفان) يمد القارورة لها ويقول: نعم تفضلي

أمسكت (بلشون) القارورة وبدأت تمعن النظر إليها بصمت..

(كوفان) محدقاً بالغابة الكثيفة أمامه: لا يمكنني تخيل كيف سأعيش على هذه الجزيرة طيلة حياتي

(بلشون) وهي لا تزال تحدق بالقارورة: ربما لن تضطر لذلك..

(كوفان) ملتفتاً على (بلشون) ونظرها لا يزال منصبّاً على القارورة: ماذا تقصدين بهذا الكلام؟ هل هناك طريقة للخروج من الجزيرة؟

(بلشون) ترفع القارورة وتنظر لـ(كوفان) وهي تبتسم بصمت..

(كوفان) بنظرة استنكار يخالطها بعض القلق: إلى ماذا تلمحين؟

(بلشون): ألم تقل تلك الحورية بأن هذا الخليط حولها لبشر؟

(كوفان): بلى هذا ما قالته

(بلشون): ماذا سيحدث لو احتسينا أنا وأنت ما تبقى من محتوى القارورة؟

(كوفان): هل جننتِ نحن لا نعرف ما إذا كان سمّاً أو سائلاً آخر قد يقتلنا!

(بلشون): اسمع.. قد تكون لا تزال ممسكاً ببعض الأمل بالنجاة من هذه الجزيرة اللعينة لكني فقدت ذلك الأمل منذ زمن طويل..

انظر إلي.. أنا عجوزٌ ناهزت السبعين من العمر فهل تظن أن بعض السم سيخيفني؟

(كوفان) بتردد: ماذا تتوقعين أن يحدث لو شربنا محتوى القارورة؟

(بلشون) وهي تعيد نظرها للقارورة: في أسوأ الأحوال سنموت..

(كوفان) بقلق: وفي أحسنها؟

(بلشون): أي شيء عدا الموت سأقبل به برحابة صدر..

(كوفان): أنت مصابة بتبلدٍ عظيم

(بلشون): التبلد هو ناتج تجربة جميع المشاعر في نفس الوقت وبنفس القوة.. وقد مررت بذلك منذ زمنٍ بعيد ولم أعد أشعر بشيء من وقتها..

توجه الاثنان للشاطئ وعند وصولهما كانت الشمس على وشك المغيب فأخذا بضع خطواتٍ داخل الماء حتى وصل لخاصرتهما ثم تحدثت (بلشون) والقارورة في يدها والأمواج ترتطم بصدرها: الماء باردٌ جدّاً..

(كوفان) وهو يوازن نفسه بين الأمواج المتلاطمة: من منا سيبدأ؟

(بلشون) وهي تفتح غطاء القارورة: أنا سأبدأ..

(كوفان): لا تشربي محتواها بالكامل واتركي لي جزءاً منها

(بلشون) ترفع القارورة وتبدأ باحتساء محتواها..

(كوفان) وهو يراقبها: يكفي هذا

(بلشون) تنزل القارورة وتمدها لـ(كوفان)..

(كوفان) يأخذها بوجهٍ قلق وأعين منصبة على (بلشون): هل تشعرين بشيء؟

(بلشون): لا.. هيا حان دورك

(كوفان) ينظر للقارورة بتردد..

(بلشون): ما بك؟ هل ستتراجع الآن؟

(كوفان) يرفع القارورة ويشرب ما تبقى منها و(بلشون) تراقبه مبتسمة..

(كوفان) ينزل القارورة بعد ما أفرغ محتواها بالكامل في بطنه ويرمي بها في البحر..

(بلشون) تضحك وتقول بصوتٍ مرتفع: يبدو أن حوريتك كانت كاذبة!

(كوفان) وهو يبتسم: نعم يبدو ذلك

(بلشون) تحرك أذرعها وتسبح تجاه الشاطئ: هيا لنعود قبل أن نصاب بالمرض

(كوفان) يضع يده على رأسه قائلاً: أحس بألم في رأسي

(بلشون) تسبح تجاهه وتقول: الماء البارد يسبب ذلك.. اخرج قبل أن تسوء حالتك أكثر

(كوفان): حسناً

قبل أن يستدير (كوفان) عائداً للشاطئ صرخت (بلشون) وبدأت تتخبط في الماء وكأنها تغرق وكانت على بُعدٍ يسير منه فقفز في الماء وسبح نحوها وقبل أن يصل إليها أحس بمغصٍ شديد وتشنج جسده بالكامل وبدأ يغرق ببطء. فتح (كوفان) عينيه وهو في القاع فحاول السباحة بسرعة للسطح لكن المفاجأة كانت أنه قد تحول لحوري ويمكنه التنفس تحت الماء. بقي (كوفان) يراقب جسده

وذيله الأسود بانبهار ولم ينقطع تركيزه إلا عندما فزع من شيء لمس كتفه من الخلف ليلتفت ويرى (بلشون) وقد تحولت لحورية بذيلٍ أحمر وبوجهٍ شابٍّ ومفعم وهي تقول له:

يجب أن تبدأ بالاعتياد على تناول الأسماك النيئة منذ اليوم أيها القبطان..

تستمر مغامرة (لُجّ) وسعيها لمعرفة الحقيقة

في الجزء الثالث ..

ثورة الحور

«لم تعودي تلك الحورية التي أعرفها..».

موج

الروائي

أسامة المسلم


الشر بذرة تُبذر في النفوس منذ الولادة ،
و تبقى كامنة حتى تُسقى بماء الكره والحقد ،
لتنمو شجرة قبيحة ثمارها مُرة و أشواكها أذى
لكل من يحاول الاقتراب ..
adaba
210
مكتبة
services_book
services_book
www.daapd.com
ADAB
BOOK
9 786038 218976